

بَرْنَامَجُ عِبَادَةِ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ

إعـداد



غـزة - فلسـطين





إشْرافُ فَضيلَةِ الشَّيْخِ



:: لِزيارَةِ المَنَصّاتِ الإلكترونِيَّةِ؛ اضغَطْ على الأيْقُونَةِ المُقابِلَةِ لِكُلِّ مَنَصَّةٍ ::

الموقعُ الرَّسْميُّ | قناةُ اليوتيوب

صفحةُ الفيسبوك | مجموعةُ الفيسبوك

قناةُ التليغرام | مجموعةُ التليغرام

مجموعاتُ الواتساب

حسابُ تويتر | حسابُ إنستغرام

مجموعةُ سنقال - Signal | قناةُ Bip | مجموعةُ Bip





وِقْفَةٌ لَازِمَةٌ

القَارِئُ الكَرِيمُ

- اقْرَأ هَذَا الكِتَابَ بِنِيَّةِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ؛ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ بِلَا عَمَلٍ، وَلَا خَيْرَ فِي عَمَلٍ بِلَا نِيَّةٍ خَالِصَةٍ.
- قِفْ عِنْدَ كُلِّ عُنْوَانٍ، وَأَحْضِرْ لَهُ نِيَّةً خَالِصَةً؛ فَإِنَّ أَجْرَ الْعَبْدِ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَىٰ قَدْرِ نِيَّتِهِ.
- كَتَبَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ: «اعْلَمْ يَا عُمَرُ أَنَّ عَوْنَ اللهِ لِلْعَبْدِ بِقَدْرِ نِيَّتِهِ، فَمَنْ خَلَصَتْ نِيَّتُهُ؛ تَمَّ عَوْنُ اللهِ لَهُ، وَمَنْ نَقَصَتْ نِيَّتُهُ؛ نَقَصَ عَنْهُ مِنْ عَوْنِ اللهِ بِقَدْرِ ذَلِكَ»[1].
- لا تَتْرُكِ الكِتابَ حَتَّىٰ تُتِمَّهُ عَنْ آخِرِهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنْ أَيِّ صَفَحاتِهِ تُصيبُ البَـرَكَةَ، ولَعَلَّ آخِرَهُ أَنْفَعُ لَكَ مِنْ أَوَّلِهِ.

---

(1) انظُرْ: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لِمُرْتَضَىٰ الزّبيدي: 2/ 312.



مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، حَمْدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيهِ، كما يُحِبُّ ربُّنَا، ويَرْضَىٰ، وكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ، حَمْدًا يَمْلأُ السمواتِ والأرضَ وما بينَهما، وما شاءَ ربُّنَا مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، بِمَجَامِعِ حَمْدِهِ كُلِّها: ما عَلِمْنَا مِنْهَا، ومَا لَمْ نَعْلَمْ؛ علىٰ نِعَمِهِ كُلِّها: مَا عَلِمْنَا مِنْهَا، ومَا لَمْ نَعْلَمْ؛ عَدَدَ ما حَمِدَ الحامِدُونَ، وغَفَلَ عن ذِكْرِهِ الغافلونَ، وعَدَدَ ما جَرَىٰ به قَلَمُهُ، وأَحْصَاهُ كتابُهُ، وأَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ.

وصَلَّىٰ اللهُ وسَلَّم ورَضِيَ وبَارَكَ علىٰ سَيِّدِنَا وإِمَامِنَا؛ مُحَمَّدٍ، وعلىٰ سَائِرِ الأَنْبياءِ والمُرْسَلينَ، وعلىٰ آلِهِ، وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وعَنِ التَّابِعينَ لَهُمْ بإحسانٍ إِلَىٰ يومِ الدينِ، وبعد.

طالما تَنَبَّهَ العابدون المحبون ربَّهم لسرعةِ انقضاءِ الأيامِ، فلمْ يشغلْهُم ما همْ فيهِ منْ أهلٍ ومالٍ عنِ السَّيْرِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ بأحسنِ الأعمالِ، ولمْ يَفْتِنْهُمْ فيها محنةٌ أوِ ابتلاءٌ، من سَرَّاءَ أوْ ضَرَّاءَ؛ لعِلْمِهِم

بسرعةِ الزوالِ، وقُرْبِ الفناءِ، وتَبَدُّلِ المنازلِ والدورِ والأحوالِ، ولمَّا أبصرتْ قلوبُ الصَّالِحينَ حَقِيقةَ الدنيا وسُرْعةَ انْقِضَائِها؛ جَدُّوا فيها السَّيْرَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، بأسْرَعِ الخُطَا، وأَحْسَنِ الأحوالِ.

وما أحسنَ ما وصفَ الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهِ سُرْعَةَ انقضاءِ الدنيا، حيثُ قالَ: «الدُّنيا مَزْرَعةُ الآخرةِ، وإنَّما البَذْرُ هو العمرُ، فَمَنِ انقَضَىٰ عليهِ نَفَسٌ منْ أَنْفاسِه، ولمْ يعبدِ اللهَ فيهِ بطاعةٍ، فهو مَغْبونٌ[1] لِضَياعِ ذلك النَّفَسِ، فإنَّهُ لا يعودُ قَطُّ، ومثالُ الإنسانِ في عُمُرِه، مثالُ رجلٍ كانَ يبيعُ الثَّلْجَ وقْتَ الصَّيفِ، ولمْ تَكُنْ لهُ بِضَاعةٌ سواهُ، فكانَ ينادِي، ويقولُ: ارحَمُوا مَنْ رأسُ مالِهِ يذوبُ، فَرَأْسُ مالِ الإنسانِ عُمُرُهُ الذِي هوَ وَقْتُ طاعَتِه، وإنَّهُ ليذوبُ علىٰ الدوامِ، فَكُلَّمَا زادَ سِنُّهُ؛ نَقَصَ بقيَّةُ عُمُرِهِ، فزيادتُه نُقْصانُه علىٰ التَّحْقِيقِ، ومَنْ لمْ يَنْتَهِزْ في أنفاسِهِ حتَّىٰ يَقْتَنِصَ بها الطاعاتِ كلَّها؛ كانَ مغبونًا»[2].

---

(1) المغبون: المخدوع المغلوب في تجارته، يُطْلَقُ الْغَبْنُ عَلَىٰ مُطْلَقِ الْخُسْرَانِ، انظرْ: تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، سورة التغابن: 28/ 275.

(2) فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي: 1/ 196.

فيا فَوْزَ العابدينَ العاملينَ، يومَ تُرْفعُ لَهُم الأعلامُ، وتُنْصَبُ لهم الخيامُ، وتَحُفُّهُم ملائكةُ الرَّحْمنِ، وَتتَزَيَّا لَهُم الجِنانُ، جَعَلَنَا اللهُ منهُمْ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَحُسْنِ مَثُوبَتِهِ.

۞ وَصِيَّةُ ابن الجَوْزِيِّ

ولقدْ كانَ العلماءُ العارفونَ يكتُبُونَ لأبنائِهم وأحبابِهم يُوصُونهمْ بِحِفْظِ أَوْقاتِهمْ، والضَّنِّ بها مِنْ أنْ تَضيعَ في غيرِ ما طاعة ربِّهم. قالَ ابنُ الجَوْزِيِّ: «فانتَبِهْ يا بُنَيَّ لِنَفْسك، وانْدَمْ علىٰ ما مَضىٰ مِنْ تَفْرِيطِكَ، واجْتَهِدْ في لحاقِ الكامِلِينَ؛ ما دامَ في الوقتِ سَعةٌ، واسقِ غُصْنكَ ما دامتْ فيهِ رُطُوبةٌ[1]، واذكرْ ساعاتِكَ التِي ضَاعَتْ، فَكَفَىٰ بها عِظةً، ذهبَتْ لَذَّةُ الكَسَلِ فيها، وفاتَتْ مراتِبُ الفضائِلِ، وقدْ كانَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يُحِبُّونَ جَمْعَ كُلِّ فضيلةٍ، ويَبْكُونَ علىٰ فَواتِ واحدةٍ منها. واعْلَمْ يا بُنَيَّ أنَّ الأيامَ تبسُطُ ساعاتٍ، والساعاتُ تبسُط أنفاسًا، وكلُّ نفَسٍ خِزانةٌ، فاحذرْ أنْ تُذهِبَ نَفَسًا فِي غيرِ شَيْءٍ؛ فَتَرَىٰ يومَ القيامةِ خِزانةً فارغةً؛ فتندم. واعلمْ يا بُنَيَّ -وفَّقكَ اللهُ- أَنَّهُ لمْ يُمَيِّزِ الآدَمِيُّ بالعقلِ إلا ليعملَ بمُقْتَضاهُ، فاستحضرْ عَقْلَكَ وأعْمِلْ فِكرَكَ، واخلُ بِنَفْسِكَ؛ تَعْلَمْ بالدليلِ أَنَّكَ

---

(1) هذا مَثَلٌ، ومعناه: تزود بأعمال البِرِّ ما دامت فيك حياةٌ.

مَخْلوقٌ مُكَلَّفٌ، وأنَّ عليكَ فَرَائِضَ أنتَ مُطالَبٌ بِهَا، وأنَّ المَلَكَيْنِ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ يُحْصِيانِ ألفاظَكَ ونَظَراتِكَ، وأنَّ أنفاسَ الحَيِّ خُطُواتٌ إلىٰ أَجَلِهِ[1]، ومِقْدارُ اللُّبثِ في الدُّنيا قليلٌ، والحَبْسُ في القُبورِ طويلٌ، والعذابُ علىٰ مُوافَقَةِ الهَوَىٰ وَبيلٌ[2]، فأَيْنَ لذةُ أمسِ؟ قدْ رَحَلَتْ، وأبقَتْ نَدَمًا، وأينَ شهوةُ النَّفْسِ؟ نكَّسَتْ رَأْسًا، وأزلّتْ قَدَمًا[3]؛ فاعْتَبِرْ بِمَنْ مَضَىٰ، وكأَنَّهُ ما شَبِعَ مَنْ شَبِعَ، ولا جَاعَ مَنْ جَاعَ. ثمَّ اعلمْ أنَّ طَلَبَ الفضائلِ نهايةُ مُرادِ المُجْتَهِدِينَ، وقدْ عَرَفْتَ بالدليلِ أنَّ الهِمَّةَ مولودةٌ معَ الآدَمِيِّ، وإنَّما تَقْصُرُ بَعْضُ الهِمَمِ في بَعْضِ الأوقاتِ، فإذا حُثَّتْ سارتْ. ومتَىٰ رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ عَجْزًا فَسَلِ المُنعِمَ، أو كَسَلًا فَالْجأْ إلَىٰ المُوَفِّقِ، فلنْ تنالَ خيرًا إلا بطاعَتِه، ولا يَفوتُكَ خيرٌ إلا بمعصِيَتِه، ومَنِ الذي أَقْبَلَ عليهِ فلمْ يرَ كلَّ مرادٍ لديه؟ ومَنِ الذِي أَعْرَضَ عنهُ فَمَضَىٰ بفائدةٍ؟ أوْ حَظِيَ بِغَرَضٍ من أغراضِهِ؟ وقد قَالَ رجلٌ لعامِرِ بنِ عَبْدِ قَيْسٍ: قِفْ

---

(1) هذا مَثَلٌ، ومعناه: كل نَفَسٍ تَتَنَفَّسُهُ، وكل لحظة تمر من عمرك؛ تقربك من أجلك ونهاية حياتك.

(2) وَبيلٌ: شديد، انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد: 1/ 380.

(3) أي: أوقعته في الزلل، وهو الخطأ.

أُكَلِّمْكَ! فقالَ: أمسِكِ الشمسَ[1]. وقَعَدَ قومٌ عندَ معروفٍ الكَرْخِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقالَ: أَما تريدونَ أن تقوموا؟ فإنَّ مَلَكَ الشمسِ يجرُّها، لا يَفْتُرُ[2]»[3].

۞ ولابنِ القيِّمِ موعظةٌ

قالَ ابْنُ القَيِّمِ: «وَإِذَا عَرَفَ العبدُ أَنَّ الدُّنْيَا طَرِيقٌ وَمَمَرٌّ؛ كَانَ حَرِيًّا بِتَهْيِئَةِ الزَّادِ لِقَرَارِهِ[4]، وَيَعْلَمُ حِينَئِذٍ أَنَّهُ لَمْ يَنْشَأْ فِي هَذِهِ الدَّارِ لِلاِسْتِيطَانِ وَالْخُلُودِ، وَلَكِنْ لِلْجَوَازِ إِلَىٰ مَكَانٍ آخَرَ، هُوَ الْمَنْزِلُ وَالْمُتَبَوَّأُ[5]، وَأَنَّ

---

(1) يعني: لا وقت لدي حتىٰ أكلمك؛ فإن الشمس تجري، وتأكل من أعمارنا، فإذا استطعت أن توقف عَدَّادَ حياتنا؛ فساعتها أكلمك، والمقصود الحث علىٰ عدم تضييع شيء من الأوقات.

(2) يعني: الوقت لا يتوقف؛ فإن الملك الموكل بالشمس لا يتوقف لحظة عن سَوْقِهَا؛ فلا ينبغي أن تتوقف عن العمل طالما أن الوقت لا يتوقف.

(3) لَفْتَةُ الكَبِدِ في نصيحةِ الوَلَدِ، لأبي الفرج ابن الجوزي: 1/ 5.

(4) يعني: من عرف سُرعة انقضاء الدنيا؛ كان جديرًا أن يَنْشَطَ فِي إعدادِ الأعمال الصالحة لآخرته.

(5) المقصود بالمَنْزِلِ هنا: مَنْزِلُ آخِرَتِهِ، والمُتبوّأُ: مَحِلُّ إِقَامَتِهِ، وهي منزله في الآخرة.

الْإِنْسَانَ دُعِيَ إِلَىٰ ذَلِكَ بِكُلِّ شَرِيعَةٍ[1]، وَعَلَىٰ لِسَانِ كُلِّ نَبِيٍّ، وَبِكُلِّ إِشَارَةٍ وَدَلِيلٍ، وَنُصِبَ لَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ عَلَمٌ[2]، وَضُرِبَ لِأَجْلِهِ كُلُّ مَثَلٍ، وَنُبِّهَ عَلَيْهِ بِنَشْأَتِهِ الْأُولَىٰ وَمَبَادِئِهِ، وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ، وَأَحْوَالِ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، وَأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ، بِحَيْثُ أُزِيلَتْ عَنْهُ الشُّبْهَةُ، وَأُوضِحَتْ لَهُ الْمَحَجَّةُ[3]، وَأُقِيمَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَأُعْذِرَ إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِعْذَارِ[4]، وَأُمْهِلَ أَتَمَّ الْإِمْهَالِ، فَاسْتَبَانَ لِذِي الْعَقْلِ الصَّحِيحِ وَالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ أَنَّ الظَّعْنَ[5] عَنْ هَذَا الْمَكَانِ ضَرُورِيٌّ، وَالِانْتِقَالَ عَنْهُ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ[6] فِيهِ، وَأَنَّ لَهُ مَحِلًّا آخَرَ[7] لَهُ قَدْ

---

(1) المقصود أن هذه المعاني موجودة في جميع الشرائع السماوية.

(2) عَلَمٌ: عَلَامَةٌ يهتدِي بها، ويَسْتَدِلُّ بها إلىٰ طريق آخرته، انظر: العين، للخليل: 2/ 153.

(3) الْمَحَجَّةُ: جَادَّةُ الطَّرِيقِ، وهي الطريق المستقيمة الواضحة، انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس: 2/ 30.

(4) يعني: أُزِيلَتْ عنه الحُجَجُ، ولم يبقَ له عُذْرٌ يعتذرُ به.

(5) الظَّعْنُ: السفر والارتحال، وانظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، للحميدي: 1/ 54.

(6) مِرْيَةٌ: شَكٌّ، انظر: انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد: 2/ 806.

(7) المقصود بالمَحِلِّ الآخَرِ: مَحِلُّ إقامَتِهِ الأَبَدِيَّةِ فِي الآخِرَةِ.

أُنْشِئَ، وَلِأَجْلِهِ قَدْ خُلِقَ، وَلَهُ هُيِّئَ، فَمَصِيرُهُ إِلَيْهِ، وَقُدُومُهُ -بِلَا رَيْبٍ- عَلَيْهِ، وَأَنَّ دَارَهُ هَذِهِ مَنْزِلُ عُبُورٍ، لَا مَنْزِلُ قَرَارٍ»[1].

«فقَامَتْ شَوَاهِدُ الآخرة فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، حَتَّىٰ صَارَتْ لَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْعِيَانِ، فَفَرَّتْ نُفُوسُهُمْ مِنْ هَذَا الظِّلِّ الزَّائِلِ، وَالْخَيَالِ الْمُضْمَحِلِّ، وَالْعَيْشِ الْفَانِي الْمَشُوبِ[2] بِالتَّنْغِيصِ[3] وَأَنْوَاعِ الْغُصَصِ[4]، رَغْبَةً عَنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَشَوْقًا إِلَىٰ ذَلِكَ الْمَلَكُوتِ[5]، وَوَجْدًا[6] بِهَذَا السُّرُورِ، وَطَرَبًا عَلَىٰ هَذَا الْحَدِّ، وَاشْتِيَاقًا لِهَذَا النَّسِيمِ الْوَارِدِ مِنْ مَحَلِّ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

---

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 3/ 260.

(2) الْمَشُوبُ: المخلوط والممزوج، انظر: لسان العرب، لابن منظور: 1/ 510.

(3) التَّنْغِيصُ: تَكْدِيرُ العَيْشِ وتَنْكِيدُهُ، وذهابُ هَنَاءَتِهِ، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 8/ 61.

(4) الْغُصَصُ: جمع غصة، وهو ما يقف في الحلق من الطعام، والمقصود: التنكيد، انظر: المخصص، لابن سيده: 1/ 451.

(5) الْمَلَكُوتُ: الملكُ العظيمُ في الآخرة، قالَ أهلُ العَرَبِيَّةِ: الملكوتُ أبلغُ مِنَ المُلْكِ لِفَخَامَةِ لَفْظِهِ، انظر: معجم الفروق اللغوية، للعسكري: 1/ 155.

(6) وَجْدًا: حُبًّا شديدًا وفرحًا عظيمًا، انظر: المخصص، لابن سيده: 1/ 379.

وَلَعَمْرُ اللهِ إِنَّ مَنْ سَافَرَ إِلَىٰ بَلَدِ الْعَدْلِ وَالْخِصْبِ وَالْأَمْنِ وَالسُّرُورِ صَبَرَ فِي طَرِيقِهِ عَلَىٰ كُلِّ مَشَقَّةٍ وَإِعْوَازٍ[1] وَجَدْبٍ، وَفَارَقَ الْمُتَخَلِّفِينَ[2] أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِمْ، وَأَجَابَ الْمُنَادِيَ إِذَا نَادَىٰ بِهِ: حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ، وَبَذَلَ نَفْسَهُ فِي الْوُصُولِ بَذْلَ الْمُحِبِّ بِالرِّضَا وَالسَّمَاحِ، وَوَاصَلَ السَّيْرَ بِالْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ[3]، فَحَمِدَ عِنْدَ الْوُصُولِ مَسْرَاهُ، وَإِنَّمَا يَحْمَدُ الْمُسَافِرُ السُّرَىٰ[4] عِنْدَ الصَّبَاحِ.

عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَىٰ * وَفِي الْمَمَاتِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ اللِّقَا**

---

(1) الإِعْوَازُ: الفقر، والحاجة، وسوء الحال، انظرْ: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: 4/ 186.

(2) المقصودُ بالمُتَخَلِّفِينَ: القَاعِدُونَ عنِ السَّيْرِ إلىٰ الله تعالىٰ، وهم المُقَصِّرُون في أعمال الآخرة.

(3) الْغُدُوُّ وَالرَّوَاحُ: أول النهار وآخره، انظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية، لِقُطْرُب: 1/ 57.

(4) السُّرَىٰ: السير ليلًا، والمعنىٰ: أن الناس يحمدون من سار في الليل، ووصل عند الصباح مبكرًا، انظرْ: معجم العين، للخليل: 7/ 291.

وَمَا هَذَا وَاللهِ بِالصَّعْبِ وَلَا بِالشَّدِيدِ، مَعَ هَذَا الْعُمْرِ الْقَصِيرِ، الَّذِي هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ تِلْكَ الدَّارِ كَسَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾[1]، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾[2]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[3]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[4]، ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5]، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَنَا يُجَرُّ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَتَّقِي بِهِ الشَّوْكَ وَالْحِجَارَةَ إِلَىٰ هَذِهِ الْحَيَاةِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَثِيرًا وَلَا غَبْنًا[6] فِي جَنْبِ مَا يُوَقَّاهُ[7].

---

(1) الأحقاف: 35.

(2) يونس: 45.

(3) النازعات: 46.

(4) الروم: 55.

(5) المؤمنون: 112-114.

(6) غَبْنًا: خُسْرَانًا، يُطْلَقُ الْغَبْنُ عَلَىٰ مُطْلَقِ الْخُسْرَانِ، انظرْ: تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، سورة التغابن: 28/ 275.

(7) المقصودُ: أنه يَسْتَقِلُّ عملَهُ مُقابِلَ ما يُحْفَظُ مِنَ العَذَابِ يومَ القيامَةِ.

ولو أفنَىٰ العبدُ عُمُرَهُ مِنْ يَومِ ميلادِهِ حتَّىٰ يلقَىٰ اللهَ تعالَىٰ سَاجِدًا للهِ تَعالىٰ سَجْدَةً واحِدَةً، لا يرفَعُ رأسَهُ مِنْهَا؛ لَكَانَ مُقَصِّرًا فِي طاعَةِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وتَعالَىٰ، وَأَداءِ وَاجِبِ شُكْرِهِ وَمِنَنِهِ؛ فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ، إِلَىٰ أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي طَاعَةِ اللهِ، لَحقَّرَهُ[1] ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوَدَّ أَنَّهُ رُدَّ إِلَىٰ الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ»[2].

فَوَاحَسْرَتَاهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ شَاهَدَتْ هَاتَيْنِ الْحَيَاتَيْنِ عَلَىٰ مَا هُمَا عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ هِمَّةٍ تُؤْثِرُ الْأَدْنَىٰ عَلَىٰ الْأَعْلَىٰ[3]، وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِتَوْفِيقِ مَنْ أَزِمَّةُ الْأُمُورِ بِيَدَيْهِ[4]، وَمِنْهُ ابْتِدَاءُ كُلِّ شَيْءٍ وَانْتِهَاؤُهُ إِلَيْهِ، أَقْعَدَ نُفُوسَ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَاوَةُ عَنِ السَّفَرِ إِلَىٰ هَذِهِ الدَّارِ، وَجَذَبَ قُلُوبَ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ

---

(1) أي: لَرَأَىٰ عَمَلَهُ حَقِيرًا قَلِيلًا فِي مُقَابِلِ مَا يَجِدُ مِنْ عَظِيمِ كَرَامَةِ اللهِ تَعالَىٰ لَهُ فِي الجنَّةِ.

(2) رواه أحمد في مسنده: 29/ 197، رقم: (17650)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(3) أي: تُفَضِّلُ الدُّنْيَا علَىٰ الآخِرَةِ..

(4) الذي بِيَدِه أَزِمَّةُ الأُمُورِ هُوَ اللهُ تعالىٰ، فَهُوَ الذِي يَتَصَرَّفُ بقلوبِ العبادِ كيفَ يشاءُ، كما يَتَصَرَّفُ الذي بيدِهِ أَزِمَّةُ الدَّوابِّ، (وَهِيَ أَرْبِطَتُهَا) بِدَوَابِّهِ.

مِنْهُ الْحُسْنَىٰ، وَأَقَامَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِمْ رُكُوبَ الْأَخْطَارِ، فَأَضَاعَ أُولَئِكَ مَرَاحِلَ أَعْمَارِهِمْ مَعَ الْمُتَخَلِّفِينَ، وَقَطَعَ هَؤُلَاءِ مَرَاحِلَ أَعْمَارِهِمْ مَعَ السَّائِرِينَ، وَعُقِدَتِ الْغَبَرَةُ، وَثَارَ الْعَجَاجُ[1]، فَتَوَارَىٰ عَنْهُ السَّائِرُونَ وَالْمُتَخَلِّفُونَ[2]، وَسَيَنْجَلِي عَنْ قَرِيبٍ، فَيَفُوزُ الْعَامِلُونَ، وَيَخْسرُ الْمُبْطِلُونَ»[3].

۞ التَّوبةُ مِنْ تَضْيِيعِ الأوقاتِ

ولقد كان السَّابقونَ من خواصِّ العُبَّادِ في الزمان الأول يَعُدُّونَ ذهابَ أوقاتِهِمْ في غيرِ طاعَةِ اللهِ زلَّةً وذنبًا، يتوبونَ إلىٰ الله -تعالىٰ- مِنْهُ، ويَسْتَدْرِكُونَ ما فَرَطَ منهُ، قالَ ابْنُ القَيِّمِ: «تَوْبَةُ الْخَوَاصِّ[4] تَكُونُ مِنْ

---

(1) العَجاجُ: الغَبَرَةُ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ اشْتِدَادِ السَّيْرِ فِي السَّفَرِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

(2) يعني: قَعَدَ عَنِ السَّفَرِ المقصرُونَ؛ لِمَا رأَوْهُ من انْبعاثِ الغَبَرَةِ، فلمَّا ذَهَبَ غبارُ السَّفَرِ، ووصَلَ السَّائِرُونَ، ووجدوا كرامة الله تعالىٰ لهم؛ يَعْلَمُ المُسافرونَ بِفَوْزِهِمْ والقَاعِدُونَ بِخُسْرانِهِمْ.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 3/ 258.

(4) المقصودُ بالخَواصِّ: خواصُّ المؤمنينَ، وهُمْ صَفْوَتُهُمُ المُقَرَّبُونَ المُجْتَهِدُونَ فِي الطَّاعاتِ.

تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِمْ مَعَ اللهِ، وَأَمَّا تَضْيِيعُ الْأَيَّامِ فَنَوْعَانِ أَيْضًا: تَضْيِيعُهَا بِخُلُوِّهَا عَنِ الطَّاعَاتِ[1]، وَتَضْيِيعُهَا بِخُلُوِّهَا عَنْ مَوَاجِيدِ الْإِيمَانِ[2]، وَذَوْقِ حَلَاوَتِهِ، وَالْأُنْسِ بِاللهِ، وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ مَعَهُ. ولَيْسَ المُرَادُ بِتَضْيِيعِ الْوَقْتِ إِضَاعَتَهُ فِي الاشْتِغَالِ بِمَعْصِيَةٍ أَوْ لَغْوٍ، أَوِ الْإِعْرَاضِ عَنْ وَاجِبِهِ وَفَرْضِهِ، وإنما إضاعةُ وقتِهِ في غيرِ طاعَةٍ، فَإِضَاعَةَ الْوَقْتِ الصَّحِيحِ يَدْعُو إِلَىٰ دَرْكِ النَّقِيصَةِ[3]، إِذْ صَاحِبُ حِفْظِهِ مُتَرَقٍّ عَلَىٰ دَرَجَاتِ الْكَمَالِ[4]، فَإِذَا أَضَاعَهُ لَمْ يَقِفْ مَوْضِعَهُ، بَلْ يَنزِلُ إِلَىٰ دَرَجَاتٍ مِنَ النَّقْصِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي تَقَدُّمٍ فَهُوَ مُتَأَخِّرٌ وَلَابُدَّ، فَالْعَبْدُ سَائِرٌ لَا وَاقِفٌ، فَإِمَّا إِلَىٰ فَوْقُ، وَإِمَّا إِلَىٰ أَسْفَلُ، إِمَّا إِلَىٰ أَمَامُ، وَإِمَّا إِلَىٰ وَرَاءُ، وَلَيْسَ فِي الطَّبِيعَةِ وَلَا فِي الشَّرِيعَةِ وُقُوفٌ

---

(1) يعني: إذا مضىٰ شَيْءٌ مِنْ أوقاتِهِمْ فِي غير طاعَةٍ؛ عدُّوهَا مَعْصِيَةً؛ تستوجِبُ توبَةً.

(2) يعني: إذا مضىٰ شَيْءٌ مِنْ أوقاتِهِمْ، لم يَشْتَغِلُوا فيها بالأعمالِ التِي يَجِدُونَ بِهَا حلاوةَ الإيمانِ، ومحَبَّةَ اللهِ تعالىٰ؛ عدُّوهَا مَعْصِيَةً؛ تستوجِبُ توبَةً.

(3) المقصودُ بِدَرَكِ النَّقِيصَةِ: هبوطُ درجاتِهِ إِلَىٰ أسفلَ، ونزولُ منزِلَتِهِ عندَ اللهِ تعالىٰ، فالدَّرجَةُ النازِلَةُ يُقَالُ لَهَا دَرَكَةٌ، والصَّاعِدَةُ دَرَجَةٌ.

(4) أي: الذِي يَعْمُرُ وقتَهُ فِي الطاعاتِ؛ يَتَرَقَّىٰ ويصعَدُ فِي الدَّرَجاتِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ بَحَسَبِ اجْتِهَادِهِ؛ فَكُلَّمَا كانَ أكْثَرَ اجتهادًا؛ كانَ أَرْقَىٰ دَرَجَةً، وأَقْرَبَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

أَلْبَتَّةَ[1]، مَا هُوَ إِلَّا مَرَاحِلُ تُطْوَىٰ أَسْرَعَ طَيٍّ إِلَىٰ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ، فَمُسْرِعٌ وَمُبْطِئٌ، وَمُتَقَدِّمٌ وَمُتَأَخِّرٌ، وَلَيْسَ فِي الطَّرِيقِ وَاقِفٌ أَلْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا يَتَخَالَفُونَ فِي جِهَةِ الْمَسِيرِ، وَفِي السُّرْعَةِ وَالْبُطْءِ: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾[2]، وَلَمْ يَذْكُرْ وَاقِفًا، إِذْ لَا مَنْزِلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَلَا طَرِيقَ لِسَالِكٍ إِلَىٰ غَيْرِ الدَّارَيْنِ أَلْبَتَّةَ، فَمَنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَىٰ هَذِهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَهُوَ مُتَأَخِّرٌ إِلَىٰ تِلْكَ بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ»[3].

وَلا أُرَانَا إِلَّا بِحَاجَةٍ إِلَىٰ تَوْبَةٍ عَاجِلَةٍ مِنْ تَضْيِيعِ أَعْمَارِنَا، والمُبَادَرَةِ بالعَمَلِ والاجْتِهَادِ فِي طَاعَةِ رَبِّ العِبَادِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(1) أَلْبَتَّةَ: قَطْعًا، مِنَ البَتِّ: وَهُوَ القَطْعُ، انظر، تهذيب اللغة، للأزهري: 14/ 183.

(2) المدثر: 35-37.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 3/ 229.

۞ حِفْظُ الأَعْمَارِ دَأَبُ الصَّالِحِينَ

وَلَقَدْ كانَ الصَّالحونَ أحفظَ لأوقاتِهِمْ مِنْ ذخائِرِهِمْ، وأَضَنَّ[1] بها مِنْ أموالِهِمْ، لِمَا عَلِمُوا أنّها بضاعَتُهُمُ التي بها يَتَّجِرُونَ، وَرَأْسُ أموالِهِمُ التي بها يَسُومُونَ[2]، قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: «أَدْرَكْتُ أقوامًا كَانُوا عَلَىٰ أوقاتِهِمْ أَشَدَّ منكمْ حرصًا عَلَىٰ دراهِمِكُمْ ودنانِيرِكُمْ»[3]. فَحِفْظُ الأعمارِ مِنَ الضَّياعِ هُوَ شُغْلُ العلماءِ العامِلِينَ، والأئمةِ السابقِينَ، التي بها يتفاوتُونَ وَيَسْتَبِقُونَ، قالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي رَأَيْتُ الْعُمْرَ بِضَاعَةً لِلآدَمِيِّ، فَعَجِبْتُ مِنْ تَفْرِيطِ النَّاسِ فِيهِ، كَأَنَّهُمْ مَا عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا مَيْدَانُ شِقَاقٍ، وَأَنَّ غَايَةَ الْعُمْرِ الْغَايَةُ، إِلا أَنَّ التَّفَاضُلَ فِي السِّبَاقِ عَلَىٰ مِقْدَارِ الْهَمِّ، وَتَفَاوُتَ الْهِمَمِ عَلَىٰ قَدْرِ الإِيمَانِ بِالآخِرَةِ، فَمَنْ صَدَقَ يَقِينُهُ جَدَّ، وَمَنْ تَيَقَّنَ طُولَ الطَّرِيقِ اسْتَعَدَّ، ولقد جَعَلَ اللهُ تعالىٰ عُمُرَ الآدَمِيِّ سَفَرًا إِلَىٰ الأُخْرَىٰ

---

(1) أَضَنَّ: أبخل، والضن بالشيء: البخل به، انظرْ: جمهرة اللغة، لابن دريد: 1/ 148.

(2) يسومونَ: المُساوَمَة المُجاذَبَة بَيْن البَائِع والمُشْتَرِي علىٰ السِّلعَةِ وفَصْلُ ثَمنِها، انظرْ: تاج العروس، للزبيدي: 32/ 429.

(3) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، لعبد العزيز السلمان: 3/ 29.

طَوِيلًا وَقَصِيرًا، فَسَارَ النَّاسُ بِبَضَائِعِ الأَعْمَالِ، فَرَبِحَ الْمُتَيَقِّظُونَ رِبْحًا كَثِيرًا، وَهَلَكَ الْمُفَرِّطُونَ، فَكُلٌّ مِنْهُمْ عَادَ مِسْكِينًا فَقِيرًا. ومَنْ عَلِمَ أَنَّ الْعُمْرَ بِضَاعَةٌ يَسِيرَةٌ، يُسَافِرُ بِهَا إِلَىٰ الْبَقَاءِ الدَّائِمِ فِي الْجَنَّةِ؛ لَمْ يُضَيِّعْهُ، فَأَمَّا مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ، وَضَعُفَ إِيمَانُهُ بِالْجَزَاءِ، وَخَسَّتْ هِمَّتُهُ؛ فَإِنَّهُ يُؤْثِرُ الرَّاحَةَ بِالْبَطَالَةِ[1]، وَيُقْنِعُهُ مَا يَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَلا يَنْظُرُ فِي فَوْتِ الدَّرَجَاتِ»[2].

وَلَقَدْ كانَ يشتغلُ فِكْرُ العامِلِينَ العابِدِينَ بأعمارِهِمْ وَيَعْظُمُ اهتمامُهُمْ بأوقاتِهِمْ، وَيُحْصُونَ عَدَّها أكثرَ مِمَّا يُحْصِي أهلُ الدنيا أموالَهُمْ وَمَمَالِكَهُمْ، قالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ: «وَمَنْ تفكَّرَ في الدنيا قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ؛ رَأَىٰ مدةً طويلةً، فإذا تفكَّرَ فيها بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ؛ رأىٰ مدةً قصيرةً، وَعَلِمَ أَنَّ اللُّبْثَ في القبورِ طويلٌ، فإذا تفكَّرَ في يومِ القيامةِ؛ عَلِمَ أنه خمسونَ ألفَ سنةٍ، فإذا تفكَّرَ في اللُّبْثِ في الجنةِ أَوِ النارِ؛ عَلِمَ أنه لا نهايةَ له، فإذا عادَ إِلَىٰ النَّظَرِ في مِقْدَارِ بقائِهِ في الدنيا -فَرَضْنَا ستينَ سنةً مَثَلًا- فإنه يَمضي منها ثلاثونَ في النومِ، وَنَحْوٌ مِنْ خَمْسَ عَشَرَ في الصِّبَا، فإذا حَسَبْتَ الباقي، كان

(1) البَطَالَةُ: تَرْكُ العَمَلِ، انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 4/ 1635.

(2) انظرْ: حِفْظ العمر، لابن الجوزي: 1/ 30.

أكثرُهُ في الشهواتِ والمَطَاعِمِ والمَكَاسِبِ، فإذا خَلُصَ ما للآخرةِ؛ وَجَدَ فيهِ مِنَ الرياءِ والغفلةِ كثيرًا، فَبِمَاذَا تشتري الحياةَ الأبديَّةَ، وإنَّما الثَّمَنُ هذهِ الساعاتُ؟!»[1].

«فَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أَعَزَّ الأَشْيَاءِ شَيْئَانِ: قَلْبُهُ وَوَقْتُهُ، فَإِذَا أَهْمَلَ وَقْتَهُ، وَضَيَّعَ قَلْبَهُ؛ ذَهَبَتْ مِنْهُ الْفَوَائِدُ»[2].

«وينبغي له أَنْ يعرفَ شَرَفَ زمانِهِ، وَقَدْرَ وقتِهِ، فلا يَضيعُ منه لحظةً في غَيْرِ قُرْبَةٍ، وَيُقَدِّمُ الأفضلَ فَالْأَفْضَلَ مِنَ القولِ والعَمَلِ. وَلْتَكُنْ نيّتُهُ في الخيرِ قائمةً مِنْ غيرِ فُتُورٍ بِمَا لا يَعْجَزُ عنهُ البَدَنُ مِنَ العَمَلِ، وَقَدْ كانَ جماعةٌ مِنَ السَّلَفِ يُبَادِرُونَ اللَّحظَاتِ»[3].

ولقَدْ أكثرَ العُلَمَاءُ مِنْ ذِكْرِ أقوالُ المُجْتَهِدِينَ فِي العبادَاتِ، الحَرِيصينَ علَىٰ الأوقاتِ، وأَجَادُوا، مِنْ ذَلِكَ:

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: إِنِّي لَأُبْغِضُ الرَّجُلَ فَارِغًا، لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِ الدُّنْيَا، وَلا مِنْ عَمَلِ الآخِرَةِ. وعنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّكُمْ فِي مَمَرِّ

---

(1) صيد الخاطر، لابن الجوزي: 505-506.

(2) حِفْظ العمر، لابن الجوزي: 59.

(3) صيد الخاطر، لابن الجوزي: 33.

اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِي آجال منقوصةٍ، وأعمالٍ محفوظةٍ، وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً، فَمَنْ زَرَعَ خَيْرًا؛ يُوشِكُ أَنْ يَحْصُدَ رَغْبَةً، وَمَنْ زَرَعَ شَرًّا؛ يُوشِكُ أَنْ يَحْصُدَ نَدَامَةً، وَلِكُلِّ زَارِعٍ مَا زَرَعَ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ: أَحَدُهُمْ لَوْ سَقَطَ مِنْهُ دِرْهَمٌ؛ لَظَلَّ يَوْمَهُ يَقُولُ: إِنَّا للهِ!! ذَهَبَ دِرْهَمِي، وَهُوَ يُذْهِبُ يَوْمَهُ؛ وَلا يَقُولُ: ذَهَبَ يَوْمِي مَا عَمِلْتُ فِيهِ؟!

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ إِذَا نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ السُّوقِ؛ قَالَ: مَا أَغْفَلَ هَؤُلاءِ عَمَّا قد أُعِدَّ لهم!

وَعَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، قَالَ: كَانَ صِلَةُ بْنُ أَشْيَمَ يَخْرُجُ إِلَىٰ الْجَبَّانَةِ[1] فَيَتَعَبَّدُ فِيهَا، وَكَانَ يَمُرُّ عَلَيْهِ شَبَابٌ يَلْهُونَ وَيَلْعَبُونَ، فَيَقُولُ: أَخْبِرُونِي عَنْ قَوْمٍ أَرَادُوا سَفَرًا، فَحَادُوا[2] النَّهَارَ عَنِ الطَّرِيقِ، وَنَامُوا بِاللَّيْلِ؛ مَتَىٰ يَقْطَعُونَ سَفَرَهُمْ؟! قَالَ: وَكَانَ كَذَلِكَ يَمُرُّ بِهِمْ فَيَعِظُهُمْ، فَمَرَّ بِهِمْ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَالَ لَهُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، فَقَالَ شَابٌّ مِنْهُمْ: يَا قَوْمُ، إِنَّهُ وَاللهِ مَا يَعْنِي

---

(1) الجَبَّانَة: الصحراء، وتُسَمَّىٰ بهما المَقَابِرُ؛ لأنَّها تكونُ فِي الصحراء؛ تسميةً للشّيْءِ بِمَوْضِعِهِ، انظرْ: لسان العرب، لابن منظور: 13/ 85.

(2) حَادُوا: مَالُوا، وابْتَعَدُوا، انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس: 2/ 123.

بِهَذَا غَيْرَنَا؛ نَحْنُ بِالنَّهَارِ نَلْهُو، وَبِاللَّيْلِ نَنَامُ. ثُمَّ تَبِعَ صِلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَعَبَّدُ مَعَهُ حَتَّىٰ مَاتَ.

وَقَالَتْ رَابِعَةُ العدوية لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: إِنَّمَا أَنْتَ أيامٌ مَعْدُودَةٌ، فَإِذَا ذَهَبَ يَوْمُكَ ذَهَبَ بَعْضُكَ، وَيُوشِكُ إِذَا ذَهَبَ الْبَعْضُ أَنْ يَذْهَبَ الْكُلُّ، وَأَنْتَ مَتَىٰ تَعْلَمُ؛ فَاعْمَلْ.

وَقَالَتْ دَايَةُ[1] دَاوُدَ الطَّائِيِّ: أَمَا تَشْتَهِي الْخُبْزَ؟ فَقَالَ: بَيْنَ مَضْغِ الْخُبْزِ وَشُرْبِ الْفَتِيتِ قِرَاءَةُ خَمْسِينَ آيَةً[2].

وعَنْ أَشْعَثَ بْنِ سَوَّارٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، فَجَعَلَ يَقُولُ: سَبَقَنِي الْعَابِدُونَ، وَقُطِعَ بِي[3]، وَالَهْفَاهْ[1]. وَقَالَ: صَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

---

(1) الدَّايَةُ: القَابِلَةُ التِي تُوَلِّدُ النِّساءَ، انظر: معجم الصواب اللغوي، لأحمد مختار عمر: 1/ 368.

(2) المعنَىٰ: أنَّهُ كانَ لا يأكُلُ الخُبْزَ حتَّىٰ يُفَتَّ في الماءِ أو المَرَقِ؛ فَيُسْرِعُ بلعُهُ؛ حتَّىٰ لا يضيعَ وقتُهُ في المَضْغِ، وقد حَسَبَ الوقتَ الذي يَقْتَصِدُهُ في هذا الأمر، فوجدَهُ يَكْفِي لقراءَةِ خمسينَ آيةٍ من كتابِ اللهِ تعالَىٰ؛ فانظرْ إلىٰ أَيِّ حدٍّ بلغَ حِرْصُهُمْ علَىٰ أَوْقَاتِهِمْ، وبُخْلِهِمْ فِيهَا أن تضيع في غيرِ طاعةٍ رَاجِحَةٍ؟!

(3) يعنِي: سبَقَنِي العُبَّادُ المُجْتَهِدُونَ، ولَمْ أَسْتَطِعْ إدرَاكَهُمْ؛ فهو يَتَّهِمُ نفسَهُ بالتَّقْصِيرِ؛ علىٰ ما بِهِ من اجْتِهادٍ عظيمٍ في العباداتِ، رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَبَّاسِيِّ، قال حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَضَيْتُ يَوْمًا فِي صُحْبَةِ خَالِي إِلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَىٰ الْبَاقِلانِيِّ، فَتَلَقَّيْنَاهُ خَارِجًا مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَىٰ دَارِهِ، وَهُوَ يُسَبِّحُ، فَقَالَ لَهُ خَالِي: ادْعُ لِي، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ شَغَلْتَنِي[2]، انْظُرْ مَا تَظُنُّهُ فِيَّ فَافْعَلْهُ، وَادْعُ اللهَ لِي[3]، فَقُلْتُ لَهُ: بِاللهِ ادْعُ لِي، فَقَالَ لي: رَفَقَ اللهُ بِكَ، فَاسْتَزَدْتُهُ[4]، فَقَالَ: الزَّمَانُ يَذْهَبُ، وَالصَّحَائِفُ تُخْتَمُ[5].

---

(1) وَالَهْفَاهْ: اللَّهْفُ: الاسْتِغَاثَةُ، فهو يتوجع ويستغيث من تقصيره علىٰ ما به من اجتهاد، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 6/ 161.

(2) يعني: مُدَّةَ ما كَلَّمْتَنِي بكلامِكَ هَذَا؛ شَغَلْتَنِي، وأَضَعْتَ وَقْتِي، وأَنْقَصْتَ مِنْ حَظِّي مِنْ تَسْبِيحِ اللهِ تَعَالَىٰ.

(3) يعني: إن كُنْتَ تظنُّ بِي أَنَّنِي مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ، فاعْمَلِ الأَعْمَالَ التِي لِأَجْلِهَا تُسْتَجَابُ الدَّعْوَةُ، ثمَّ ادعُ أَنْتَ لِي ولَكَ.

(4) يعني: طَلَبْتُ منه مزيدَ الدُّعاءِ لِي.

(5) يعني: لا وَقْتَ لَدَيَّ للمَزِيدِ، فَتُوشِكُ أَنْ تنتهِيَ أيامُ عُمُرِي، ويُخْتَمَ عليها.

وَكَانَ عُثْمَانُ[1] دَائِمَ الذِّكْرِ، وَكَانَ يَقُولُ: إِذَا كَانَ وَقْتُ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَحْسَسْتُ بِرُوحِي كَأَنَّهَا تَخْرُجُ؛ لاشْتِغَالِهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِالإِفْطَارِ عَنِ الذكر»[2].

«وكانَ الخليلُ بْنُ أَحْمَدَ الفَرَاهِيدِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- يقولُ: أثقلُ الساعاتِ عَلَيَّ ساعةٌ آكُلُ فيها[3]»[4].

وعن عُبَيْدِ بْنِ يَعِيشَ، قال: أَقَمْتُ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَا أَكَلْتُ بِيَدِي -يَعْنِي بِاللَّيْلِ- كَانَتْ أُخْتِي تُلْقِمُنِي وَأَنَا أَكْتُبُ[5].

وَدَخَلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَقْبَرَةً، فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، مَا فِيهِمْ أَحَدٌ إِلا وَلَهُ حَوَائِجُ مَا قَضَاهَا، يَقُولُ: سَأَفْعَلُ[1].

---

(1) انظرْ: هُوَ عثمانُ بنُ عِيسَىٰ، أَبُو عُمَرَ البَاقلاوِي، كانَ أَحَدَ الزُّهَّادِ المُتَعَبِّدِينَ، وكانَ مُنْقَطِعًا عَنِ الخَلْقِ، مُلازِمًا للخُلْوَةِ، وكانَ يُقَالُ لَهُ: العابِدُ الصَّمُوتُ؛ لِإِمْسَاكِهِ عَنِ الكَلامِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، انظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي: 1/ 554.

(2) انظرْ مَا سَبَقَ: حِفْظ العمر، لابن الجوزي: 1/ 35.

(3) وذلك أنه يَضِيعُ فِيها وقْتُهُ فِي غَيْرِ فائدَةٍ كبيرَةٍ لآخِرَتِهِ.

(4) صلاح الأمة في علو الهمة، لـ د. سيد العفاني: 4/ 166.

(5) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي: 2/ 178.

وقال مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ: إِنِّي خَلَّفْتُ زِيَادَ بْنَ أَبِي زِيَادٍ، وَهُوَ يُخَاصِمُ نَفْسَهُ فِي الْمَسْجِدِ يَقُولُ: اجْلِسِي، أَيْنَ تُرِيدِينَ تَذْهَبِينَ؟ أَتَخْرُجِينَ إِلَىٰ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ؟ تُرِيدِينَ أَنْ تُبْصِرِي دَارَ فُلانٍ وَدَارَ فُلانٍ؟ مَا لَكِ فِي الطَّعَامِ إِلا هَذَا الْخُبْزُ وَالزَّيْتُ، وَمَا لَكِ مِنَ الثِّيَابِ إِلا هَذَانِ الثَّوْبَانِ، وَمَا لَكِ مِنَ النِّسَاءِ إِلا هَذِهِ الْعَجُوزُ، أَفَتُحِبِّينَ أَنْ تَمُوتِي؟ قَالَتْ: أَنَّا أَصْبِرُ عَلَىٰ هَذَا[2].

وَقَالَ الْحَسَنُ: يُعْرَضُ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَاتُ عُمْرِهِ، فَكُلُّ سَاعَةٍ لَمْ يُحْدِثْ فِيهَا خَيْرًا؛ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَيْهَا حَسَرَاتٍ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الإِنْسَانَ يَتَنَفَّسُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَفَسٍ، اثْنَا عَشَرَ تَدْخُلُ وَاثْنَا عَشَرَ تَخْرُجُ، وَكُلُّ نَفَسٍ كَخِزَانَةٍ، فَانْظُرْ مَاذَا تَجْعَلُ فِيهَا.

---

(1) يعني: كان يُؤَجِّلُ، ويَقُولُ: سَأَفْعلُ، وسَأَفْعَلُ؛ حتَّىٰ انْقَضَىٰ الأَجَلُ، وَمَا فَعَلَ كل الذي كانَ يُؤَمِّلُ.

(2) يعني: كأنَّ نَفْسَهُ أَجَابَتْهُ بِأَنَّها تَصْبِرُ علَىٰ طُولِ العِبَادَةِ للهِ تَعَالَىٰ.

وَلْيَتَفَكَّرِ الإِنْسَانُ فِي صَائِمٍ جَلَسَ وَقْتَ الْعِشَاءِ لِيُفْطِرَ مَعَ مَنْ كَانَ مُفْطِرًا، وَكِلاهُمَا يَشْبَعُ حِينَئِذٍ[1]، وَقَدْ ذَهَبَ تَعَبُ الصَّوْمِ وَرَاحَةُ الإِفْطَارِ وَتَبَايَنَ الْحَالُ فِي الثَّوَابِ»[2].

۞ النوافلُ بعدَ الفرائضِ خَيْرُ ما تُنْفَقُ فيها الأعمارُ

لا أنفعَ لِعَبْدٍ ساعٍ إلىٰ محبةِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ أَنْ يُنَظِّمَ حياتَهُ وأوقاتَهُ، ويَضَعَ لِنَفْسِهِ برنامَجَ حياةٍ جديدًا، يقومُ علىٰ جَمْعِ الهِمَّةِ علىٰ اللهِ تعالَىٰ، واسْتِفْراغِ الوُسْعِ بغايةِ النصيحةِ، وبَذْلِ الجهدِ كُلِّهِ في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، بالتَّقَرُّبِ إليه سبحانه بالنوافلِ بعد استكمالِ الفرائضِ، قالَ ابْنُ القَيِّمِ: «فَالْأَمْرُ كُلُّهُ دَائِرٌ عَلَىٰ جَمْعِ الْهِمَّةِ عَلَىٰ اللهِ، وَاسْتِفْرَاغِ الْوُسْعِ بِغَايَةِ النَّصِيحَةِ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ، بَعْدَ تَكْمِيلِ الْفَرَائِضِ، وَالطَّرِيقُ

---

(1) يعني الصائِمُ يَشْبَعُ، والمُفْطِرُ يَشْبَعُ عند غروبِ الشَّمْسِ، ولكِنْ شَتَّانَ بَيْنَهُمَا، فيعودُ الصائِمُ بالأَجْرِ الذِي فَوَّتَهُ المُفْطِرُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وقد انقضَىٰ النَّهارُ عَلَىٰ هَذَا وهَذَا.

(2) انظرْ: حفظ العمر، لابن الجوزي: 1/ 59.

بِمَجْمُوعِهَا لَا تَخْرُجُ عَنْ هَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ[1]، وَإِنْ طَوَّلُوا الْعِبَارَاتِ، وَدَقَّقُوا الْإِشَارَاتِ، فَلَا تُطَوِّلُ وَلَا يُطَوَّلُ عَلَيْكَ[2]»[3].

وفي الحديثِ الإِلَهِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: «مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ

---

(1) يعني: الطَّرِيقُ التي يسلُكُهَا العُبَّادُ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ أَمْرَيْنِ: الأَوَّلِ: بذلِ أقصىٰ جهدٍ مُمْكِنٍ فِي طاعةِ اللهِ تعالَىٰ. والثاني: إتقانِ العِبَادَةِ بِأَدَائِهَا عَلَىٰ وَجْهِهَا الصَّحِيحِ.

(2) يعني: لَسْتَ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ أَنْ تُطَوِّلَ الوَقْتَ فِي البَحْثِ عَنِ النَّصِيحَةِ والمَوْعِظَةِ بَعْدَ هَذِهِ النَّصِيحةِ الجَامِعَةِ، ومَهْمَا تَكَلَّمُوا وَأَكْثَرُوا؛ فَلَنْ تَجِدَ خيرًا مِنَ هذهِ الوَصْفَةِ الجَامِعَةِ المَانِعَةِ النَّافِعَةِ فِي أَقْصَرِ طُرُقِ العُبُودِيَّةِ فِي الوُصُولِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، بِأَقْصَىٰ سُرْعَةٍ.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 3/ 258.

الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1]. وفي روايةٍ بزيادة: «فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[2].

* قالَ ابْنُ دَقِيقِ العِيدِ: «التقربُ بالنوافلِ يكونُ بِتِلْوِ أداءِ الفرائضِ، ومتىٰ أَدامَ العَبْدُ التَّقَرُّبَ بالنوافلِ؛ أَفْضَىٰ ذلكَ بِهِ إِلَىٰ أَنْ يُحِبَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»[3].

* قالَ ابْنُ القَيِّمِ: «فَتَضَمَّنَ هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ الْإِلَهِيُّ -الَّذِي حَرَامٌ عَلَىٰ غَلِيظِ الطَّبْعِ، كَسِيفِ الْقَلْبِ[4] فَهْمُ مَعْنَاهُ وَالْمُرَادُ بِهِ- حَصْرَ أَسْبَابِ مَحَبَّتِهِ فِي أَمْرَيْنِ: أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ. وَأَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ أَدَاءَ فَرَائِضِهِ أَحَبُّ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ الْمُتَقَرِّبُونَ، ثُمَّ بَعْدَهَا النَّوَافِلُ، وَأَنَّ الْمُحِبَّ لَا يَزَالُ يُكْثِرُ مِنَ النَّوَافِلِ حَتَّىٰ يَصِيرَ مَحْبُوبًا

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: 5/ 2384، حديث رقم: (6137).

(2) انظرْ: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية: 3/ 334، وصحَّحه الألباني في تحقيق الإيمان لابن تيمية.

(3) شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد: 1/ 128.

(4) يعنىٰ لا يستطيعُ غليظُ القلبِ، وهو قَاسِي القلب البَليدُ، ولا الكَسِيفُ، وهو الذِي انْكَسَفَ قَلْبُهُ وانْقَطَعَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَفْهَمَ مَعْنَىٰ هذا الحَديثِ حَقَّ الفَهْمِ.

للهِ تعالىٰ، فَإِذَا صَارَ مَحْبُوبًا للهِ ﷻ؛ أَوْجَبَتْ مَحَبَّتُهُ للهِ تعالىٰ لَهُ مَحَبَّةً أُخْرَىٰ مِنْهُ فَوْقَ الْمَحَبَّةِ الْأُولَىٰ، فَشَغَلَتْ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ قَلْبَهُ عَنِ الْفِكْرَةِ وَالاِهْتِمَامِ بِغَيْرِ مَحْبُوبِهِ، وَمَلَكَتْ عَلَيْهِ رُوحَهُ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ سَعَةٌ لِغَيْرِ مَحْبُوبِهِ أَلْبَتَّةَ، فَصَارَ ذِكْرُ مَحْبُوبِهِ وَحُبُّهُ مَثَلَهُ الْأَعْلَىٰ، وَمَالِكًا لِزِمَامِ قَلْبِهِ، مُسْتَوْلِيًا عَلَىٰ رُوحِهِ اسْتِيلَاءَ الْمَحْبُوبِ عَلَىٰ مَحَبَّةِ الصَّادِقِ فِي مَحَبَّتِهِ، الَّتِي قَدِ اجْتَمَعَتْ قُوَىٰ مَحَبَّةِ حُبِّهِ كُلُّهَا لَهُ»[1].

فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ[2]، قبلَ فواتِ الأعمارِ؛ «فالدنيا مِضْمَارُ سِبَاقٍ، وَقَدِ انعقدَ الغُبَارُ، وَخَفِيَ السابِقُ[3]، والناسُ في المِضْمَارِ بَيْنَ فَارِسٍ[4]، وَرَاجِلٍ[5]، وَأَصْحَابِ حُمُرٍ مُعَقَّرَةٍ[1]:

---

(1) الداء والدواء، لابن قيم الجوزية: 1/ 184.

(2) الْبِدَارَ: الإسراعُ، والمبادَرَةُ، وَعَدَمُ التَّوَانِي، وتَكْرِيرُهَا للتَّوْكِيدُ، انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي: 6/ 2520.

(3) يعني: ثارَ الغُبَارُ فِي سَاحَةِ السِّبَاقِ، وَلَمْ يَعُدْ يُرَىٰ أَحَدٌ لِكَثْرَتِهِ وعُلُوِّهِ.

(4) فارس: راكبٌ فرسًا، انظرْ: مختار الصحاح، للرازي: 1/ 237.

(5) راجِلٌ: إِذا لم يكن لَهُ فرس أو دابة يركبها فِي سفر فمشىٰ علىٰ رِجْلِهِ، انظرْ: المخصص، لابن سيده: 1/ 175.

وَسَوْفَ تَرَىٰ إِذَا انْجَلَىٰ الغُبَارُ ❊❊❊ أَفَرَسٌ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارُ؟[2]

❊ وقال الغَزَالِيُّ: «اعلَمْ أَنَّ أَوَامِرَ اللهِ تَعَالَىٰ فرائِضُ ونوافِلُ؛ فَالْفَرْضُ رأسُ المالِ، وهو أَصْلُ التجارةِ، وَبِهِ تَحْصُلُ النجاةُ، والنَّفْلُ هو الرِّبْحُ، وَبِهِ الفَوْزُ بالدرجاتِ. وَلَنْ تَقْدِرَ علىٰ ذلكَ إِلَّا بِأَنْ تُوَزِّعَ أوقاتَكَ، وَتُرَتِّبَ أورادَكَ مِنْ صباحِكَ إِلَىٰ مسائِكَ، وَلَيْلِكَ، فَأَصْغِ إِلَىٰ ما يُلْقَىٰ إليكَ مِنْ أوامرِ اللهِ تَعَالَىٰ عليكَ مِنْ حِينِ تستيقظُ مِنْ منامِكَ إِلَىٰ وقتِ رُجُوعِكَ إِلَىٰ مَضْجَعِكَ»[3].

وإننا رأينا أَنْ نُعِدَّ بَرْنَامَجًا للعبادةِ علىٰ قاعدةِ هذا الحديثِ، يَسْتَغْرِقُ وَقْتَ العَبْدِ كُلَّهُ؛ يُفْنِي فيهِ أيامَهُ ولياليهِ، ويُتْلِفُ فيهِ بَدَنَهُ وَجَسَدَهُ، فَلَا خَيْرَ

---

(1) الحُمُرُ: جَمْعُ حِمَارٍ، ومُعَقَّرَةٌ مِنَ العَقْرِ، وَأَصْلُ العَقْرِ: ضَرْبُ قوائمِ البعيرِ والشاةِ بالسيفِ وهو قائِمٌ، انظرْ: معجم العين، للخليل: 1/ 149.

❊ والقصودُ أَنَّ الناسَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالىٰ مُتَفَاوِتُونَ، فمنهُمُ السَّرِيعُ، كالذِي يَرْكَبُ فَرَسًا سَرِيعًا، ومِنْهُمُ البَطِيءُ، كالذِي يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْهِ، ومِنْهُمُ المُنْقَطِعُ عنِ السَيرِ، كالذِي يَرْكَبُ حِمارًا عُقِرَتْ قَوَائِمُهُ وَقُطِعَتْ؛ فلا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ.

(2) الفوائد، لابن قيم الجوزية: 1/ 50.

(3) بداية الهداية، لأبي حامد الغزالي: 1/ 28.

فِي عُمُرٍ يُقضَىٰ فِي غيرِ مرضاةِ اللهِ، ولا خَيْرَ فِي جَسَدٍ يُتْلَفُ فِي غيرِ طاعةِ مَوْلَاهُ؛ لِيَكُونَ مُقْتَرَحًا لِأَعْمَالِ العَبْدِ فِي اليومِ والليلةِ، وَلِيَكُونَ عَوْنًا لِلْعَبْدِ عَلَىٰ اسْتِحْضَارِ ما يَلْزَمُهُ مِنَ العبادةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ؛ فَلَا يَضِيعُ شَيْءٌ مِنْ أوقاتِهِ فِي غَيْرِ طاعةِ رَبِّهِ ﷻ؛ ولا يَضِيعُ جُهْدٌ مِنْ جَهْدِهِ فِي غَيْرِ مَرْضَاتِهِ، مُعْتَمِدِينَ فِي إعدادِها عَلَىٰ كتابَيْ: (بدايةِ الهدايةِ، لِلْغَزَالِيِّ)، وَ(طريقِ الهِجْرَتَيْنِ وبابِ السَّعَادَتَيْنِ، لِابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ)، ثُمَّ أَثْرَيْنَاهُ بِمَا فَتَحَ اللهُ بِهِ علينا، مِمَّا رأينا مِنَ المُنَاسِبِ ذِكْرَهَ وإيرادَهُ فِي هذهِ المَادَّةِ المُبَارَكَةِ؛ رَاجِينَ اللهَ تعالَىٰ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنَّا -عَلَىٰ قِلَّةِ البِضَاعَةِ، وعظيمِ حَقِّ الرَّبِّ تَعَالَىٰ- وَأَنْ يُعِينَنَا وإخوانَنَا المُسْلِمِينَ -بِفَضْلِهِ وَعَوْنِهِ وَكَرَمِهِ وَتَوْفِيقِهِ- عَلَىٰ العَمَلِ بِمَا فيهِ، عَلَىٰ الوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّ، فَمَا عبدَهُ مَنْ عَبَدَه إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ، وَمَا حُرِمَ مَنْ حُرِمَ إِلَّا بِخِذلَانِ اللهِ تعالىٰ لَهُ، إنهُ خَيْرُ مسؤولٍ، وأعظمُ مطلوبٍ.

وكتبه

زكريا بن طه شحادة



الفَصْلُ الأَوَّلُ: أَعْمَالُ وَقْتِ أَوَّلِ النهارِ

(مِنَ الاستيقاظِ إلى صلاةِ الصُّبْحِ)

۞ أولًا: التهيُّؤُ لِصَلاةِ الفَجْرِ

إذا استيقظْتَ مِنَ النومِ، فَاجْتَهِدْ أَنْ تَستيقِظَ قبلَ طلوعِ الفَجْرِ، وَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما يجري علىٰ قلبِكَ ولسانِكَ ذِكْرُ اللهِ تعالَىٰ بِمَا صَحَّ مِنْ أذكارِ الاستيقاظِ مِنَ النَّوْمِ، فيقول: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[1]، أو «الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»[2] أو غَيْرَهُ مِنَ الأَذْكَارِ الثَّابِتَةِ.

فإذا لَبِسْتَ ثوبَكَ فَانْوِ بِهِ امتثالَ أَمْرِ اللهِ تعالَىٰ في سَتْرِ عورتِكَ، واحْذَرْ أَنْ يكونَ قصدُكَ مِنْ لباسِكَ مُراءاةَ الخَلْقِ فَتَخْسَرَ. وَادْعُ دعاءَ اللِّبَاسِ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةٍ» فإِنَّ مَنْ قالَ ذلك؛ «غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[3].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: 8/ 69، حديث رقم: (6312).

(2) رواه الترمذي في سننه: 5/ 472، حديث رقم: (3401)، وحسَّنه الألباني.

(3) رواه أبو داود: 2/ 440، حديث رقم: (4023)، وحسَّنه الألباني.

فإذا قَصَدْتَ الخَلَاءَ لِقَضَاءِ الحَاجَةِ، فَقَدِّمْ فِي الدُّخُولِ رِجْلَكَ اليُسْرَىٰ، وفِي الخُرُوجِ رِجْلَكَ اليُمْنَىٰ، وَقُلْ عِنْدَ الدُّخُولِ: بِاسْمِ اللهِ، «أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الخُبْثِ وَالخَبَائِثِ»[1]. وعندَ الخُرُوجِ: «غُفْرَانَكَ»[2].

۞ ثانيًا: عِبَادَةُ الوُضُوءِ

فإذا فَرَغْتَ مِنَ الاسْتِنْجاءِ، انْوِ رَفْعَ الحَدَثِ، واسْتِبَاحَةَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ اسْتَعِدَّ للوُضُوءِ بِنِيَّةِ التَّحَبُّبِ إِلَىٰ اللهِ تعالَىٰ بِإِسْبَاغِهِ[3] وإحسانِهِ؛ فإنَّ اللهَ تعالَىٰ يُحِبُّ التَّوَابِينَ، وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ. وَتَوَضَّأْ وُضوءَ النبيِّ ﷺ، ولا تُكْثِرْ صَبَّ الماءِ مِنْ غيرِ حاجةٍ بمجردِ الوسوسةِ، وَادْعُ أثناءَ الوضوءِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي»[4].

---

(1) رواه أحمد في مسنده: 21/ 410، حديث رقم: (13999)، وأبو داود: 1/ 48-49، حديث رقم: (4، 6)، وصحَّحه الألباني.

(2) رواه أحمد في مسنده: 42/ 124، حديث رقم: (25220)، وأبو داود: 1/ 55، حديث رقم: (30)، وصحَّحه الألباني.

(3) إِسْبَاغُ الوُضُوءِ: تَكْمِيلُهُ وَإِتْمَامُهُ بِاسْتِيعَابِ الْمَحَلِّ بِالْغُسْلِ وَتَطْوِيلُ الْغُرَّةِ وَتَكْرَارُ الْغُسْلِ ثَلَاثًا، انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 1/ 344.

(4) رواه النسائي في السنن الكبرىٰ: 6/ 24، حديث رقم: (9908)، وصحَّحه الألباني.

فإذا فَرَغْتَ مِنْ وضوئِكَ؛ فَقُلْ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»[1]، «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»[2]، فإنَّ مَنْ قالَ ذلك: «فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ». وَقُلْ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ وُضُوئِهِ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، كُتِبَ فِي رَقٍّ[3]، ثُمَّ جُعِلَ فِي طَابَعٍ، فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[4]. ثُمَّ تَسَوَّكْ؛ فَإِنَّهُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ ﷻ، وَمَسْخَطَةٌ لِلشيطانِ.

---

(1) رواه مسلم: 1/ 209، حديث رقم: (234).

(2) رواه الترمذي في سننه: 1/ 78، حديث رقم: (55)، وصحَّحه الألباني.

(3) الرَّقُّ: صَحِيفَةٌ مِنْ جِلْدٍ مُرَقَّقٍ أَبْيَضَ، انظرْ: معجم العين، للخليل: 5/ 24.

(4) رواه النسائي في السنن الكبرىٰ: 6/ 25، حديث رقم: (9909)، وصحَّحه الألباني.

ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ لِوُضُوئِكَ؛ يُغْفَرْ بِهِمَا ذَنْبُكَ، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[1]. وإنَّ المُحَافَظَةَ عَلَيْهِمَا سُنَّةٌ.

فإذا أَرَدْتَ الخروجَ مِنْ بيتِكَ فَصَلِّ ركعتَيْنِ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِذَا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ؛ تَمْنَعانِكَ مَخْرَجَ السَّوْءِ، وَإِذَا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ؛ تَمْنَعَانِكَ مَدْخَلَ السَّوْءِ»[2]. وَإِنْ تَوَضَّأْتَ وَصلَّيْتَ ركعتَيْنِ، وخرجْتَ لِتَوِّها؛ تَكْفِيانِكَ مِنْ رَكْعَتَيِ الخُرُوجِ.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: 1/ 43، حديث رقم: (159)، ومسلم: 1/ 204، حديث رقم: (226).

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 3/ 124، حديث رقم: (3078)، وحسَّنه الألباني.

۞ ثالثًا: الخُطَا إلَى المَساجِدِ

ثُمَّ تَوَجَّهْ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ تَعَالَىٰ بِسَكِينَةٍ وَوَقارٍ، مُسْتَحْضِرًا نِيَّةَ طَاعَةِ اللهِ تعالَىٰ، ونَيْلَ فَرَحِهِ جَلَّ جَلَالُهُ بِكَ وَضَحِكِهِ لَكَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ما تَوَطَّنَ رَجُلٌ مسلمٌ المساجدَ للصلاةِ والذِّكْرِ؛ إلا تَبَشْبَشَ[1] الله له منْ حين يَخْرُجُ من بيتِهِ، كما يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الغائبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عليهِمْ»[2].

ويَحْسُنُ أَنْ تَسْتَحْضِرَ نِيّةَ تَعَلُّمِ خيرٍ وتَعْلِيمِهِ، ولو آيةً تقْرَأُها أو تُعَلِّمُها مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعالَىٰ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ؛ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا، أَوْ يُعَلِّمَهُ؛ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامٍّ حَجَّتُهُ»[3].

---

(1) التَّبَشْبُشُ: الفَرَح والمَسَرَّةُ بِهِ والإقبالُ عَلَيْهِ، واللُّطْفُ في المسألة، وَتَلَقِّيهِ بِبِرِّهِ وتَقْرِيبِهِ وإِكْرامِهِ وإِنْعامِهِ، انظرْ: مشكل الحديث وبيانه، لابن الجوزي: 1/ 188.

(2) رواه ابن ماجه في سننه: 1/ 262، حديث رقم: (800)، وصححه الألباني.

(3) رواه الطبراني في الكبير: 8/ 94، حديث رقم: (7473)، وقال الألباني: «حسن صحيح».

وبوُسْعِكَ أنْ تستحضرَ من النَّوايَا الكثيرَ؛ فَتُؤْجَرَ بِكُلِّ نيَّةٍ خيرٍ ما شاءَ اللهُ تعالىٰ.

مستحضرًا رفقةَ المَلَائِكَةِ لَكَ، وَأَنَّها تُحْصِي عَلَيْكَ خُطُواتِكَ، فترتفعُ بكلِّ خطوةٍ عندَ اللهِ درجةً، وتحطُّ عنكَ مِنَ الخطايا ما اللهُ به عليمٌ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ، وَأَتَىٰ المَسْجِدَ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً»[1].

ثُمَّ لْيَكُنِ الشَّوْقُ إلىٰ بلوغِ بيتِ اللهِ تعالَىٰ يَحْدُوكَ[2] في ممشاكَ، وَلْيَسْبِقْكَ قَلْبُكَ ونَفْسُكَ إليهِ.

وَقُلْ عندَ خروجِكَ مِنْ بيتِكَ: «بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»؛ فإنَّ مَنْ قالَ ذلك، يُقالُ له: «حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّىٰ لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟»[3]. ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وقُلْ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: 1/ 103، حديث رقم: (477).

(2) يحدو: يَسْبِقُكَ، ويَقُودُكَ، انظر: لسان العرب، لابن منظور: 14/ 168.

(3) رواه أبو داود: 2/ 746، حديث رقم: (5095)، وحسَّنه الألباني.

بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: «مَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَقَالَ: ذلك»[1]. والْزَمْ هذا عندَ كُلِّ خُرُوجٍ إِلَىٰ المَسْجِدِ أَوْ غَيْرِهِ.

وَسِرْ إلىٰ بيتِ ربِّك ﷻ بِسَكِينَةٍ وخُشُوعِ قَلْبٍ وخَفْضِ بَصَرٍ، واعلمْ أنَّ لِخُشُوعِ البَصَرِ أثرًا عظيمًا فِي خشوعِ القلبِ، فإذا خَفَضَ العبدُ رأسَهُ في مَمْشَاهُ وحَرَكَتِهِ وسُكُونِهِ، وَرَمَىٰ بِبَصَرِهِ إلىٰ الأرضِ، وأمسكَ عَنِ التَّلَفُّتِ في وجوهِ الخَلْقِ وأَعْرَاضِ الدُّنْيا، وأطلَقَ لسانَهُ بِذِكْرِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ، وأَعْمَلَ فِكْرَهُ فيما يَذْكُرُ، وَحَرَّكَ به قلبَهُ؛ حتىٰ يَعْظُمَ الرَّبُّ سبحانَهُ في نَفْسِهِ؛ فسيحصلُ له بذلكَ الخشوعُ. وكلما هَجَمَتْ عليه وارداتُ الدُّنْيَا وخواطِرُها؛ نَادَىٰ: (**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**!) حتىٰ يعودَ له قلبُهُ.

وهذه وَصْفَةٌ للخُشُوعِ مُجَرَّبَةٌ نافعةٌ، فَإِنْ دَاوَمَ عليها العبدُ؛ دامَ له خشوعُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ. قالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «فَخُشوعُ القلبِ يَسْتَلْزِمُ خُشُوعَ البَصَرِ وذُلَّه وَخَفْضَهُ وَسُكُونَهُ عِنْدَ تَقْلِيبِهِ فِي الْجِهَاتِ، وذلك يُنَافِي

---

(1) رواه أبو داود: 2/ 746، حديث رقم: (5094)، وصحَّحه الألباني.

رَفْعَه»[1]. فَلَا أَنْفَعَ للعبدِ في حُصُولِ خُشُوعِ قلبِهِ واجتماعِ هَمِّهِ عَلَىٰ ربِّه ﷻ مِنْ خشوعِ بَصَرِهِ، وإسقاطِهِ عَلَىٰ الأرضِ، مَعَ اللَّهْجِ بِذِكْرِ اللهِ تعالَىٰ.

۞ رَابِعًا: استحضارُ عَظَمَةِ بُيُوتِ اللهِ تَعالَى

فَإِذا أَرَدْتَ الدُّخولَ إِلَىٰ المَسْجِدِ؛ فَقِفْ ببابِهِ، وَاسْتَحْضِرْ أَنَّكَ ستدخلُ ضيفًا نَزِيلًا عَلىٰ ربِّكَ المَلِكِ العظيمِ ببيتِهِ، وعَظِّمْ قَدْرَهُ في نفسِكَ وقلبِكَ مِنْ أَنْ تُحْدِثَ فيه ما يُخِلُّ بأدبِ النُّزُولِ عَلَىٰ الملوكِ، ثم قَدِّمْ رِجْلَكَ اليُمْنَىٰ، وادْخُلْ بِخُشوعٍ وسَكِينَةٍ وإِخْبَاتٍ وإِنَابةٍ؛ لَيْسَ لكَ شأنٌ إلا مَرْضَاةَ رَبِّكَ ﷻ، ثُمَّ قُلْ: «بِسْمِ اللهِ، اللهمّ صلِّ علىٰ محمدٍ، وعلىٰ آلِ محمدٍ، وصحبِهِ وسلّم»؛ «اللهم اغفرْ لي ذنوبي، وافتحْ لي أبوابَ رحمَتِكَ»[2]. «أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». فَإِنْ قالَ ذَلِكَ؛ «قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»[3].

---

(1) انظرْ: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية: 7/ 24، والقواعد النورانية، لابن تيمية: 1/ 76.

(2) رواه الترمذي في سننه: 2/ 127، حديث رقم: (314)، وصحَّحه الألباني.

(3) رواه أبو داود: 1 / 180، حديث رقم: (466)، وصحَّحه الألباني.

فإذا دخلتَ المَسْجِدَ، فَانْوِ الاعْتِكَافَ مَا دُمْتَ فِي المَسْجِدِ، وَلَا تَجْلِسْ حَتَّىٰ تُصَلِّيَ رَكْعَتَيِ التَّحِيَّةِ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ؛ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ»[1].

فإذا فرغتَ مِنَ الركعتين، فاشتغلْ بذكرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتِلَاوَةِ القُرآنِ، حتىٰ رَفْعِ الأذانِ، فإذا رُفِعَ الأذانُ، فَقُلْ كما يقولُ المُؤَذِّنُ، ثم قلْ بعد الفراغِ مِنَ الأذانِ: «وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا»[2]، فَمَنْ قال ذلك؛ غُفِرَ له ذنبُهُ. «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[3].

«اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: 1/ 96، حديث رقم: (444)، ومسلم: 1/ 495، حديث رقم: (714).

(2) رواه الترمذي في سننه: 1/ 411، حديث رقم: (210)، وصحَّحه الألباني.

(3) رواه مسلم: 1/ 305، حديث رقم: (405).

وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي أَنْتَ وَعَدْتَهُ». فمَنْ قالَ ذَلِكَ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَةُ رسولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيامَةِ[1].

ثُمَّ سَلِ اللهَ تَعَالَىٰ حَاجَاتِكَ؛ فَإِنَّ الدُّعَاءَ بَعْدَ الأَذَانِ مُسْتَجَابٌ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «قُلْ كَمَا يَقُولُونَ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ، فَسَلْ؛ تُعْطَهْ»[2]. وفِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ[3]، وَعِنْدَ الْبَأْسِ[4] حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[5].

ثُمَّ صَلِّ السُّنَنَ الرَّاتِبَةَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ سُنَّةٌ رَاتِبَةٌ؛ فَصَلِّ رَكْعَتَيْ سُنَّةِ مَا بَيْنَ الأَذَانِ والإِقَامَةِ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: 1/ 222، حديث رقم: (589).

(2) رواه أبو داود: 1 / 144، حديث رقم: (524)، وصحَّحه الألباني.

(3) النِّدَاءُ: الأذانُ، انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 2/ 570.

(4) الْبَأْسِ: القِتَالُ، انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 2/ 570.

(5) رواه أبو داود: 3 / 21، حديث رقم: (2540)، وصحَّحه الألباني.

كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ»، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «لِمَنْ شَاءَ»[1].

والمَقْصُودُ بِالأَذَانَيْنِ: الأَذَانُ والإِقَامَةُ.

ثم اشتغلْ بذكرِ اللهِ تَعَالَىٰ والدُّعَاءِ إِلَىٰ وَقْتِ الإِقَامَةِ، فإِنَّهُ مِنْ أوقاتِ الإجابةِ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «لَا يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»[2].

خامسًا: صَلاةُ الفَجْرِ جماعةً

فإذا أُقِيمَتِ الصلاةُ للفجرِ؛ فَقِفْ بِخُشوعٍ، وتَهَيَّأْ للصلاةِ، وتَذَكَّرْ بينَ يَدَيْ مَنْ تَقِفُ، وتَذَكَّرْ إقبالَ اللهِ عليكَ بوجهه، وَسَلْهُ أَنْ يعينَكَ علىٰ إحسانِ الصلاةِ، وأدائها علىٰ الوجهِ الذي يُحِبُّ.

واحْذَرْ أَنْ تَفُوتَكَ سُنَّةُ الفَجْرِ فَتَعْظُمَ خَسَارَتُكَ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[3]، والمَقْصُودُ بِهِمَا رَكْعَتَا السُّنَّةِ.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: 1/ 127، حديث رقم: (624)، ومسلم: 1/ 573، حديث رقم: (838).

(2) رواه أبو داود في سننه: 1/ 144، حديث رقم: (521)، وصححه الألباني.

(3) رواه مسلم: 1/ 501، حديث رقم: (725).

ولا تَنْسَ أنْ تَسْتَاكَ لِكُلِّ صَلَاةٍ؛ بِنِيَّةِ بُلوغِ مَرْضاةِ اللهِ تَعالىٰ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»[1]، وَبِقَصْدِ تَطْهِيرِ الفَمِ؛ لاسْتِقْبالِ المَلَكِ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِذَا قَامَ الرَّجُلُ يَتَوَضَّأُ لَيْلًا أَوْ نَهارًا، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، واسْتَنَّ[2]، ثُمَّ قَامَ، فَصَلَّىٰ؛ أَطَافَ بِهِ المَلَكُ، وَدَنَا مِنْهُ، حَتَّىٰ يَضَعَ فَاهُ عَلَىٰ فِيهِ، فَمَا يَقْرَأُ إِلَّا فِي فِيهِ، وَإِذَا لَمْ يَسْتَنَّ، أَطَافَ بِهِ، وَلَا يَضَعُ فَاهُ عَلَىٰ فِيهِ»[3].

فَإِذَا أَحْرَمَ الإِمَامُ بالفَرْضِ، فَلا تَشْتَغِلْ إِلَّا بالاقْتِدَاءِ بِهِ، وصَلِّ الفَرْضَ كَمَا أُمِرْتَ مُكَمِّلًا لَهَا بِشَرَائِطِهَا، وأَرْكَانِها، وَسُنَنِهَا، وحَقَائِقِهَا البَاطِنَةِ مِنَ الخُشُوعِ والمُرَاقبةِ، والحُضُورِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ تعالَىٰ، وَلْتَنْصَرِفْ مِنَ الصَّلاةِ، وَقَدْ أَثَّرَتْ فِي قَلْبِكَ وبَدَنِكَ وسَائِرِ أَحْوالِكَ، آثارًا تَبْدُو عَلَىٰ صَفَحَاتِ وَجْهِكَ ولِسَانِكَ وجَوَارِحِكَ، وَتَجِدُ ثَمَرَتَها فِي قلبِكَ مِنَ الإنابةِ إلىٰ دارِ الخُلودِ، والتَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ، وقِلَّةِ التَّكَالُبِ والحِرْصِ عَلَىٰ

---

(1) رواه النسائي في سننه: 1/ 10، حديث رقم: (5)، وصححه الألباني.

(2) اسْتَنَّ: تَسَوَّكَ، انظرْ: التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي: 2/ 238

(3) رواه محمد بن نصر في الصلاة: 2/ 832، حديث رقم: (836)، وصحَّحه الألباني.

الدُّنْيا وعَاجِلِها، قَدْ نَهَتْكَ صَلاتُكَ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ، وَحَبَّبَتْ إليكَ لقاءَ اللهَ تَعَالىٰ، وَنَفَّرَتْكَ مِنْ كُلِّ قَاطِعٍ يَقْطَعُكَ عَنِ اللهِ ﷻ، فَتَبْقَىٰ مَغْمُومًا مَهْمُومًا كَأَنَّكَ فِي سِجْنٍ حَتَّىٰ تَحْضُرَ الصَّلاةُ الأُخْرَىٰ، فَإِذا حَضَرَتْ؛ قُمْتَ إلىٰ نعيمِكَ وسرورِكَ وقُرَّةِ عينِكِ وحياةِ قلبِكَ، فلا تطيبُ لكَ الحياةُ إلّا بالصلاةِ.

ويَحْسُنُ بالمَرأةِ أن تُصَليَّ الفجرَ فِي بَيْتِها جَمَاعَةً إِذَا تَيَسَّرَ ذَلِكَ، عَلَىٰ النَّحْوِ الذِي تَقَدَّمَ؛ فَتَجْتمعَ نساءُ البَيْتِ للصلاةِ، تَأُمُّهُن إِحْداهُنَّ، لِيَنَلْنَ بَرَكَةَ صَلَاةِ الجَمَاعَةِ وعَظِيمِ أَجْرِهَا. تَفْعَلُ هَذا المَرْأَةُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ مِنْ صَلَوَاتِهَا.

۞ سادسًا: الأذكارُ بعدَ الصلاةِ

ثُمَّ تَأْتِي بَعْدَ الفَرِيضَةِ بِالأَذْكَارِ المَشْرُوعَةِ، فَتَسْتَغْفِرُ ثَلاثًا، ثُمَّ تَقُولُ: «اللهمَّ أَنْتَ السَّلامُ، ومنكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ يا ذا الجَلَالِ والإكرامِ»[1].

وَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحدًا: «اللَّهُمَّ أجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فإنَّكَ إذَا قُلْتَ ذلكَ، ثُمَّ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ؛ كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْها، وإذَا صَلَّيْتَ

(1) رواه مسلم: 1/ 414، حديث رقم: (591).

الصُّبْحَ، فَقُلْ كذَلِكَ، فإِنَّكَ إنْ مُتَّ مِنْ يَوْمِكَ؛ كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْها»[1].

وَهَذَا الذِّكْرُ خَاصٌّ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ المَغْرِبِ.

وقُلْ قَبْلَ أَنْ تتَكَلَّمَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ»؛ فَمَنْ قَالَ ذَلِكَ؛ «كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ إِلَّا الشِّرْكَ بِاللهِ»[2]. وفي روايةٍ عندَ أحمدَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ وَيَثْنِيَ رِجْلَهُ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَالصُّبْحِ... وَكَانَ مِنْ

---

(1) رواه أحمد في مسنده: 29/ 592، حديث رقم: (18054)، وابن حبان في صحيحه: 2/ 86، حديث رقم: (2022)، وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار، وتخريج الأذكار، وشعيب الأرنؤوط في تخريج الأذكار للنووي.

(2) رواه الترمذي في سننه: 5/ 515، حديث رقم: (3474)، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

أَفْضَلِ النَّاسِ عَمَلًا، إِلَّا رَجُلًا يَفْضُلُهُ، يَقُولُ: أَفْضَلَ مِمَّا قَالَ»[1]. وَهَذَا الذِّكْرُ خَاصٌّ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ المَغْرِبِ.

وقُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»[2]، «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»[3].

ثم تُسبِّحُ اللهَ تعالىٰ ثلاثًا وثلاثينَ، وتَحْمَدُ ثلاثًا وثلاثينَ، وتُكَبِّرُ ثلاثًا وثلاثينَ؛ فَذَلِكَ تِسعٌ وتِسْعُونَ، وَتُتِمُّ المِائَةَ بِقَوْلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا

---

(1) رواه أحمد في مسنده: 29/ 512، حديث رقم: (17990)، وقال شعيب الأرنؤوط: «حسن لغيره».

(2) رواه مسلم: 1/ 414، حديث رقم: (593).

(3) رواه مسلم: 1/ 415، حديث رقم: (594).

شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». فَمَنْ قَالَ ذَلِكَ دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ؛ غُفِرَتْ خَطايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ[1].

ثُمَّ سَلْ رَبَّكَ العَوْنَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ عَلَىٰ أَحْسَنِ الوُجُوهِ التِي يَرْضَاهَا اللهُ تَعَالَىٰ، بِقَوْلِ: «اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[2].

ثُمَّ اقْرَأْ: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، والمُعَوَّذَتَيْنِ). واقْرَأْ: (آيَةَ الكُرْسِيِّ) عُقَيْبَ كُلِّ صَلاةٍ؛ «فَمَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ؛ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»[3].

وإن كُنْتَ عَلَىٰ عَجَلٍ مِنْ أَمْرِكَ؛ فَحَسْبُكَ أَنْ تُسَبِّحَ عَشْرًا، وَتحْمَدُ عَشْرًا، وَتكَبِّرُ عَشْرًا؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «خَصْلَتَانِ، أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ، يُسَبِّحُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ

---

(1) رواه مسلم: 1/ 418، حديث رقم: (597).

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد: 1/ 239، حديث رقم: (690)، وصحَّحه الألباني.

(3) رواه النَّسائي في السنن الكبرىٰ: 6/ 30، حديث رقم: (9928)، وصحَّحه الألباني.

عَشْرًا، وَيُكَبِّرُ عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ[1]»[2].

(1) أَيِ: الْعَشَرَاتُ الثَّلَاثُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، (خَمْسُونَ وَمِائَةٌ) أَيْ: فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ حَاصِلَةٌ مِنْ ضَرْبِ ثَلَاثِينَ فِي خَمْسَةٍ، الَّتِي هِيَ عَدَدُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، أَيْ: مِائَةٌ وَخَمْسُونَ حَسَنَةً، (بِاللِّسَانِ) أَيْ: بِمُقْتَضَىٰ نُطْقِهِ فِي الْعَدَدِ، (وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ)؛ لِأَنَّ كُلَّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا عَلَىٰ أَقَلِّ مَرَاتِبِ الْمُضَاعَفَةِ الْمَوْعُودِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، انظرْ: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 4/ 1669.

(2) رواه أبو داود: 4/ 316، حديث رقم: (5065)، وصحَّحه الألباني.

الفَصْلُ الثَّانِي:
أعْمَالُ الوَقْتِ مِنْ صَلاةِ الصُّبْحِ إلَى صَلاةِ الظُّهْرِ

۞ أولًا: لُزُومُ المُصَلَّى إلَى شُرُوقِ الشَّمْسِ

فإذا أَدَّيْتَ فَرْضَ الصُّبْحَ، فاجْتَهِدْ أَنْ تَلْزَمَ مُصَلَّاكَ إلىٰ شُرُوقِ الشَّمْسِ؛ فإنَّها سُنَّةٌ؛ فعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ كَثِيرًا، «كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ، أَوِ الْغَدَاةَ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ»[1]، فهي سَاعَةٌ فِيهَا مِنَ الخَيْرِ مَا لَا يُحْصَىٰ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ صَلَّىٰ الغَدَاةَ[2] فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ؛ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ»[3].

---

(1) رواه مسلم: 1/ 463، حديث رقم: (670).

(2) صلاة الغداة: صلاة الصبح، انظرْ: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 2/ 769.

(3) رواه الترمذي في سننه: 2/ 481، حديث رقم: (586)، وحسَّنه الألباني.

ولَقَدْ كَانَ العُلَمَاءُ العَامِلُونَ، والعُبَّادُ والصَّالِحُونَ يُحافِظُونَ عَلَيْهَا، وَيَتَقَوَّوْنَ بِهَا عَلَىٰ أَشْغَالِهِمْ وَسَائِرِ أَوْقَاتِهِمْ؛ فعَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، وَقَدْ صَلَّىٰ الْفَجْرَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ: لَوْ قُمْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ كَانَ أَوْطَأَ لَكَ[1]، فَقَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّىٰ الْفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ فِي مُصَلاهُ؛ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ، وَصَلاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَمَنْ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ، وَصَلاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»[2].

ومِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَ ابنُ القَيِّمِ عَنْ شَيْخِهِ ابنِ تَيْمِيَّةَ، قالَ: «حَضَرْتُ شَيْخَ الإِسْلامِ، ابْنَ تَيْمِيَّةَ مَرَّةً، صَلَّىٰ الفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللهَ تَعالَىٰ إِلَىٰ قَرِيبٍ

---

(1) أَوْطَأُ: أَلْيَنُ وأَمْهَدُ، وفرَاشٌ وَطِيءٌ وَثِيرٌ، لَا يُؤْذِي جَنْبَ النَّائِمِ، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي: 2/ 474.

(2) رواه أحمد في مسنده: 2/ 407، حديث رقم: (1251)، وحسَّنه أحمد شاكر، وشعيب الأرنؤوط.

مِن انْتِصَافِ النَّهارِ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ، وقالَ: هَذِهِ غَدْوَتِي[1]، لَوْ لَمْ أَتغَدَّ الغَدَاءَ؛ سَقطَتْ قُوَّتِي»[2].

واحْذَرِ الحَذَرَ كُلَّهُ أَنْ تَخُوضَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، وأَنْتَ فِي المَسْجِدِ، فِي كَلَامِ الدُّنْيا، أَوْ تَذْكُرَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهَا؛ فَتَفْسَدَ عِبادَتُكَ، وَتَبُوءَ بالخُسْرانِ؛ فإنَّ ذِكْرَ الدُّنْيا فِي بيوتِ اللهِ -وَقْتَ انْتِظَارِ الشُّرُوقِ، وَفِي كُلِّ وَقْتِ- سوءُ أَدَبٍ مَعَ اللهِ تَعالَىٰ؛ إِذِ المَساجِدُ لَمْ تُبْنَ إِلَّا للعِبَادَةِ، واللهُ تعالىٰ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادَةِ مَنْ يُسِيءُ أَدَبَهُ في بَيْتِهِ، ويخُوضُ فِي ذِكْرِ الدُّنْيا، ولَقَدِ اشْتَدَّ نَكِيرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مَنْ يَتَحَدَّثُ فِي أُمُورِ الدُّنْيا فِي المَسَاجِدِ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ، لَيْسَ للهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ»[3]. وَفِي رِوَايةٍ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَأْتِي علَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ يَتَحَلَّقُونَ فِي

---

(1) شَبَّهَ العبادَةَ فِي هذه الساعَةِ بطعامِ الغَدَاءِ، الذي تَقُومُ به الأبدانُ، ويَتَقَوَّىٰ بِهِ سَائِرَ نَهَارِهِ، وهذه الساعة من الخلوة والعبادة تقوم به الأنفس والأرواح، فَيَتَقَوَّىٰ بها علىٰ سَائِرِ الأَوْقَاتِ.

(2) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية: 1/ 42.

(3) رواه ابن حبان: 15/ 163، حديث رقم: (6761)، وصحَّحه الألباني.

مَسَاجِدِهِمْ، ولَيْسَ هِمَّتُهُمْ إلَّا الدُّنْيا، لَيْسَ للهِ فِيهِمْ حاجَةٌ؛ فَلَا تُجالِسُوهُمْ»[1].

۞ ثانيًا: أذكارُ الصَّباحِ

وَاخلُ بِنَفْسِكَ فِي هَذِه السَّاعَةِ المباركَةِ، وَلَا تَخْتَلِطْ بِإِخْوانِكَ؛ فَإِنَّها قُوَّتُكَ وَقُوَّتُكَ سَائِرَ النَّهارِ، واشْتَغِلْ بالتِّلَاوَةِ والأَذْكَارِ إِلَىٰ حِينِ تَطْلُعُ الشَّمْسُ.

وابدأْ نهارَكَ بتلاوةِ أذكارِ الصباحِ المأثورةِ المشروعةِ، بقلبٍ حاضرٍ خاشعٍ مُنِيبٍ، بِنِيَّةِ التَّقَرُّبِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، والتَّحَصُّنِ به سُبْحَانه مما يَعْرِضُ لهُ سائرَ النهار؛ فَإِنَّ العَبْدَ لَا يَزَالُ فِي حِفْظِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ مَا دَاوَمَ عَلَىٰ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ والمَسَاءِ، فَهِيَ حِصْنٌ حَصِينٌ، وَحِرْزٌ مَنِيعٌ مِنْ سَائِرِ العَوَارِضِ والآفَاتِ.

ولا بَأْسَ أن تَسْتَعِينَ بكتابٍ مِنْ كُتُبِ الأذكارِ المُعْتَبَرَةِ عندَ أَهْلِ العلمِ -إنْ لَمْ تكُنْ تَحْفَظُهَا- فإذا حفظتَها، وقرأتَها من ذاكِرَتِك؛ فهو أرجىٰ لِحُضُور القَلْبِ وخُشُوعِهِ. واجعلْ هذه الأذكارَ وِرْدًا دائمًا لك لا تُخِلُّ بها

(1) رواه الحاكم في المستدرك: 4/ 359، حديث رقم: (7916)، وصحَّحه الألباني.

أبدًا، ثُمَّ زِدْ عَلَيها مَا تَشَاءُ مِنَ الأَذْكَارِ الفَاضِلَةِ، أَوْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ حتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ. مُرَاعِيًا جَمْعَ هَمِّكَ وَفِكْرِكَ علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، مُتفكِّرًا فِي مَعَانِي مَا تَقْرَأُ ومَا تَذْكُرُ، وَحَرِّكْ بِهَا قَلبَكَ؛ حَتَّىٰ تَجِدَ لَهَا أَثَرًا وَحلاوَةً فِي قلبِكَ ونَفْسِكَ.

ولْتَجْعَل لِنَفِسكَ وِرْدًا مِنَ الذِّكْرِ المُطْلَقِ فِي هَذَا الوَقْتِ الشَّرِيفِ تُداوِمُ عَلَيْهِ بَعْدَ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ: مِائةً: (سُبْحانَ اللهِ)، وَمِائةً: (الحَمْدُ للهِ)، ومِائةً: (لَا إله إِلَّا اللهُ)، وَمِائةً: (اللهُ أكبرُ)، ومِائةً: (سُبْحَانَ اللهِ وبحمدِهِ)، ومِائَةً: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ علىٰ كلِّ شَيْءٍ قَديرٌ)، ومِائةً: (سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ)، ومِائةً: (حَسْبِيَ اللهُ، ونِعْمَ الوَكِيلُ)، ومِائةً: (أَسْتَغْفِرُ اللهَ)، وتَخْتِمُها بِمِائةٍ: (اللَّهمَ صلِّ علىٰ مُحَمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِه، وسائرِ النَّبِيِّينَ، وسَلِّمْ وبارِك)، فَهَذِهِ أَلْفِيَّةٌ مُقْتَرحَةٌ مِنَ الذِّكْرِ المُطْلَقِ، ولَكَ أَنْ تَزِيدَ أَوْ تُنْقِصَ، بِحَسَبِ وُسْعِكَ، ثُمَّ تُعِيدُها عِنْدَ غروبِ الشَّمْسِ بَعْدَ أَذْكَارِ المَسَاءِ؛ وَلْتَلْهَج بِذِكْرِ الرَّحْمنِ مَا بَيْنَهُمَا، وَفِي أَعْقابِ الصَّلَواتِ بالأَذْكَارِ المَخْصُوصَةِ؛ فإنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، وَأَقْرَبِهِمْ مِنَ اللهِ تَعالَىٰ، وأَحَبِّهِمْ إِلَيْهِ؛ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا، وَأَفْضَلُ كُلِّ أَهْلِ عَمَلٍ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا للهِ تَعالَىٰ، وذَاكِرُ اللهِ تَعالَىٰ اللهُ تَعالَىٰ

مَعَهُ بِتَأْيِيدِهِ وتَسْدِيدِهِ وتَوْفِيقِهِ مَا دَامَ يَلْهَجُ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَفِي الحَدِيثِ الإِلَهِيِّ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»[1].

وَلْتَكُنْ أوقاتُكَ بعد الصلاةِ إلىٰ طلوعِ الشمسِ، موزعةً علىٰ أَرْبَعِ وظائِفَ: وظيفةٍ في الدعواتِ، ووظيفةٍ في الأذكارِ، ووظيفةٍ في قراءةِ القرآنِ، ووظيفةٍ في التَّفَكُّرِ، فَتَفَكَّرْ فِي ذُنُوبِكَ وخَطَاياكَ وَتَقْصِيرِكَ فِي عِبَادَةِ مَوْلاكَ، وَتَعَرُّضِكَ لِعِقَابِهِ الأَلِيمِ، وَسَخَطِهِ العَظِيمِ.

فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَكَ لُزُومُ المَسْجدِ إِلَىٰ شُرُوقِ الشَّمْسِ، فَاحْرِصْ عَلَىٰ الإِتْيَانِ بِأَذْكَارِ الصَّبَاحِ فِي بَيْتِكَ، أَوْ فِي مَمْشَاكَ إِلَىٰ البَيْتِ، أَوْ عَلَىٰ فِرَاشِكَ، أَوْ فِي طَرِيقِكَ إِلَىٰ العَمَلِ، ولا تُخِلَّ بِأَذْكَارِ الصَّبَاحِ والمَسَاءِ والنَّوْمِ أَبَدًا؛ فإنَّكَ في حِرْزِ اللهِ وحِفْظِهِ وكِفَايَتِهِ؛ ما لَجَأْتَ إليهِ، وتَحَصَّنْتَ بالأَذْكَارِ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ.

۞ ثالثًا: صلاةُ الضُّحَى

ثم اركعْ ما تَيَسَّرَ لَكَ مِنَ الضُّحىٰ؛ فَهِيَ وصية رسول الله ﷺ لِمَنْ يُحِبُّ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ، لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّىٰ

---

(1) رواه أحمد في مسنده: 16/ 572، حديث رقم: (10976)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

أَمُوتَ: «صَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَىٰ، وَنَوْمٍ عَلَىٰ وِتْرٍ»[1]، مُتَضَرِّعًا إِلَىٰ رَبِّكَ فِيهَا، سَائِلَهُ أَنْ تكونَ ضَامِنًا عَلَيْهِ، مُتَصَرِّفًا فِي مَرْضاتِهِ بقيَّةَ يَوْمِكَ. والزَمْ هَذَا الوِرْدَ حياتَكَ مَا اسْتَطَعْتَ.

فإنْ لمْ يتيسّرْ لَكَ لزومُ مصلاكَ إِلَىٰ شُرُوقِ الشَّمْسِ وَصَلاةِ الضُّحَىٰ بَعْدَهَا، واشتغلْتَ بأمُورِ مَعَاشِكَ التِي لابُدَّ لكَ مِنْهَا، فاجْتهِدْ أَنْ تَقْطَعَ أَشْغَالَكَ وَقْتَ الضُّحَىٰ، وتصلّيَ مَا شَاءَ اللهُ لَكَ أَنْ تُصَلِّيَ مِنْ رَكَعَاتٍ؛ تَكُنْ صَدَقةً لَكَ عَنْ نفسِكَ، فإنَّ عَلَىٰ كُلِّ عُضْوٍ منكَ عَلَيْكَ صدقةً، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلَامَىٰ[2] مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ»[3].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: 2/ 58، حديث رقم: (1178)، ومسلم: 1/ 498، حديث رقم: (721).

(2) سُلَامَىٰ، يعنىٰ: مَفْصِل وعَظْم وَإِنْ صَغُرَ، انظرْ: شرح صحيح البخاري، لابن بطال: 8/ 98.

(3) رواه مسلم: 1/ 498، حديث رقم: (720).

ثُمَّ إنَّ مَنْ يُحَافِظُ عَلَىٰ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ أَوَّلَ نَهارِهِ مِنَ الضُّحَىٰ؛ يَكْفِهِ اللهُ تَعَالَىٰ كُلَّ ما يَخَافُ ويُحاذِرُ إلىٰ آخرِ نَهَارِهِ؛ فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَأَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ قَالَ: «ابْنَ آدَمَ ارْكَعْ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ؛ أَكْفِكَ آخِرَهُ»[1].

وَصَلاةُ الضُّحَىٰ صَلاةُ الأَوَّابِينَ؛ فَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه أَنَّه رَأَىٰ قَوْمًا يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَىٰ، فَقَالَ: أَمَا لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي غَيْرِ هَذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمَضُ الْفِصَالُ»[2].

❋ وقوله ﷺ: «أَمَا لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي غَيْرِ هَذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلُ»، ذَلِكَ أَنَّهُمْ صَلَّوْهَا أَوَّلَ وَقْتِ الضُّحَىٰ؛ فَأَرْشَدَهُمْ إِلَىٰ أَفْضَلِ وَقْتِهَا، وَهُوَ حِينَ تَشْتَدُّ حَرَارَةُ الشَّمْسِ.

ومعنىٰ (الأَوَّابُ): المُطِيعُ الرَّجَّاعُ، كَأَنَّهُ أذْنَبَ ثُمَّ رَجَعَ بِالتَّوْبَةِ.

والفِصالُ: صِغَارُ الإِبلِ. وَمعنىٰ تَرْمِضُ: يُصِيبُهَا حَرُّ الرَّمْضاءِ: وَهُوَ الرَّمْلُ يُحْمَىٰ بِحَرِّ الشَّمْسِ؛ فَتَبْرُكُ الفِصالُ مِنْ شِدَّةِ احْتِراقِ أَخْفافِها، وَالْمعْنَىٰ:

---

(1) رواه الترمذي في سننه: 2/ 340، حديث رقم: (475)، وصحَّحه الألباني.

(2) رواه مسلم: 1/ 515، حديث رقم: (748).

أَفْضَلُ أَوْقَاتِ صَلَاة الْأَوَّابِينَ عِنْد شدَّة ارْتِفَاع الشَّمْس. إِشَارَةً إِلَىٰ صَلَاةِ الضُّحَىٰ»[1].

فَيَحْسُنُ بِمَنْ يَلْزَمُ مُصَلَّاهُ بَعْدَ الفَجْرِ فِي المَسْجِدِ، ويُصَلِّي فِي أَوَّلِ الوَقْتِ بُعَيْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ مُبَاشَرَةَ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُ نَصِيبًا مِنَ الرَّكَعَاتِ فِي أَفْضَلِ وَقْتِهَا؛ حَتَّىٰ يُصِيبَ الخَيْرَيْنِ، بَرَكَةَ الصَلَاةِ عَقِبَ الشُّرُوقِ، وَأَفْضَلَ وَقْتِ الضُّحْىٰ.

وللعَبْدِ أَنْ يُصَلِّيَ وَقْتَ الضُّحَىٰ فِي بَيْتِهِ مَا كَتَبَ اللهُ تَعالَىٰ لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ، فإِنَّ صَلَاةَ العَبْدِ فِي بيتِهِ -حَيْثُ لَا يَرَاهُ النَّاسُ- أَرْجَىٰ للإِخْلَاصِ، وإِنَّ دِيوانَ السِّرِّ خَيْرٌ مِنْ دِيوانِ العَلَنِ، وأَبْرَكُ فِي الأُجُورِ.

وَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ قُوَّةً عَلَىٰ الإِخْلَاصِ؛ فَلْيَقْصِدِ المَسْجِدَ لِصَلَاةِ الضُّحَىٰ فِيهِ؛ فَإِنَّ أَجْرَهَا حَيْنَهَا مُضَاعَفٌ جِدًا؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ مَشَىٰ إِلَىٰ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ وَهُوَ مُتَطَهِّرٌ؛ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ مَشَىٰ إِلَىٰ سُبْحَةِ الضُّحَىٰ؛ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ، وَصَلَاةٌ

---

(1) كشف المشكل من حديث الصَّحِيحَيْنِ، لابن الجَوْزِيّ: 3/ 228.

عَلَىٰ إِثْرِ صَلَاةٍ لَا لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ» وقَالَ أَبُو أُمَامَةَ: الْغُدُوُّ وَالرَّوَاحُ إِلَىٰ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ[1].

وسُبْحَةِ الضُّحَىٰ: صَلَاةُ الضُّحَىٰ. وقوله ﷺ: (فِي عِلِّيِّينَ) أَيْ: تَصْعَدُ المَلَائِكَةُ المقربون بِعَمَلِهِ إِلَىٰ عِلِّيِّينَ، وَعِلِّيُّونَ اسْمٌ لِدِيوانِ المَلَائِكَةِ الحَفَظَةِ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ أَعْمَالُ الصُّلَحَاءِ؛ لِكَرَامَةِ المُؤْمِنِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ[2].

۞ رَابِعًا: عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ[3]

وَيَجْمُلُ بالعَبْدِ المُجْتَهِدِ أَنْ يُصَلِّيَ مِنَ الضُّحَىٰ ثَمانِيَ رَكْعَاتٍ حِسَانٍ طَوِيلَاتٍ: رَكْعَتَيْنِ، رَكْعَتَيْنِ. يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ سُورَةً قَدْرَ صَفْحَةٍ، يُطِيلُ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا: يَكُونُ رُكُوعُهُ فِيهَا قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ وَقِرَاءَتِهِ، وَيَكُونُ

---

(1) رواه أحمد في مسنده: 36/ 640، حديث رقم: (22304)، وأبو داود: 1/ 153، حديث رقم: (558)، وحسَّنه الألباني والأرنؤوط.

(2) انظر: فيض القدير، للمُنَاوِيِّ: 4/ 226.

(3) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ بِعُنْوَانِ: (عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ)، فِيهِ بيانُ فَضْلِ الإكثارِ مِنَ السجودِ، وأَنَّهَا أَرْجَىٰ العِبَادَاتِ وأَنْفَعُهَا، وأَشْرَفُهَا فِي دِيوانِ العَبْدِ، وفيهِ تَرْغِيبٌ كَبِيرٌ فِي الإِكْثَارِ مِنَ السُّجُودِ، كما صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ إِلْكترونِيٌّ بعنوان: (صلاةُ المُحِبِّينَ، مَشَاهِدُ وأَحْوالٌ).

سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ رُكُوعِهِ وَقِيَامِهِ. وَيَجْتَهِدُ فِي سُجُودِهِ بِالدُّعَاءِ لِنَفْسِهِ وَلِعُمُومِ المُسْلِمِينَ، وَلِأُمَّةِ الإِسْلَامِ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يَقْرَأَ عَنِ المُصْحَفِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ حِفْظِ القُرْآنِ.

ولَهُ أَنْ يُخَفِّفَ الصَّلَاةَ، وَيُكْثِرَ مِنَ الرَّكَعاتِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ بَعْضِ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ، فَلَقَدْ رُوِيَ عَنْ عبدِ اللهِ بْنِ أحمدَ بنِ حنبلٍ، قالَ: «كان أَبِي يُصَلِّي في كُلِّ يومٍ وليلةٍ ثلاثَ مِائَةَ ركعةٍ، فَلَمَّا مَرِضَ مِنْ تلكَ الأسواطِ التي أَضْعفَتْهُ؛ فكانَ يُصَلِّي في كُلِّ يومٍ وليلةٍ مِائَةً وخمسينَ ركعةً، وقدْ كانَ قَرُبَ مِنَ الثمانِينَ»[1]، وقالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ ابنِ النّجّارِ فِي وَصْفِ عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ، صَاحِبِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ: «وكَانَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- وَرِعًا زَاهِدًا عَابِدًا، مُتَمَسِّكًا بِالسُّنَّةِ عَلَىٰ قَانُونِ السَّلَفِ، يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ ثَلاثَمِائَةِ رَكْعَةٍ مثلَ وِرْدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَصُومُ عَامَّةَ السَّنَةِ، فَكَانَ يُصَلِّي الفَجْرَ وَيُلَقِّنُ القُرْآنَ، وَرُبَّمَا لَقَّنَ

---

(1) انظرْ: تاريخ دمشق، لابن عساكر: 5/ 300، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 11/ 212.

الحَدِيثَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي ثَلاثَمِائَةِ رَكْعَةٍ بالفَاتِحَةِ والمُعَوَّذَتَيْنِ إِلَىٰ قُبَيْلِ الظُّهْرِ»[1].

وإِنَّ العَبْدَ كُلَّمَا سَجدَ للهِ تَعَالَىٰ سَجْدَةً؛ ارْتَفَعَ بِهَا عِنْدَ اللهِ تعالَىٰ دَرَجَةً، وَلَقَدْ كانَ مِنْ وَصِيَّةِ النَّبيِّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ أَنْ يُكْثِرُوا مِنَ السُّجُودِ؛ فَعَنْ مَعْدَانِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ، قَالَ: «لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ، فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ للهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً». قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ لِي: مِثْلَ مَا قَالَ لِي: ثَوْبَانُ[2].

وإِنَّ كَثْرَةَ السُّجُودِ سَبَبٌ فِي العِتْقِ مِنَ النَّارِ، ونَيْلِ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، ورُفْقَتِهِ فِي الجَنَّةِ؛ فَعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: «كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ

---

(1) انظرْ: البداية والنهاية، لابن كثير: 13/ 39، وتذكرة الحفاظ، للذهبي: 4/ 114، وطبقات الحفاظ، للسيوطي: 1/ 488.

(2) رواه مسلم: 1/ 353، حديث رقم: (488).

رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[1]. وَفِي رِوَايَةٍ: قالَ رَبِيعةُ: «فَنَظَرْتُ فَقُلْتُ: إِنَّ أَمْرَ الدُّنْيَا يَنْقَطِعُ، فَلَا أَرَىٰ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ شَيْءٍ آخُذُهُ لِنَفْسِي لِآخِرَتِي، فَدَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْفَعْ لِي إِلَىٰ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيُعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ، فَقَالَ: مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنِّي نَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَرَأَيْتُ أَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ مِنْ أَهْلِهَا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ آخُذَ لِآخِرَتِي، قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[2].

وَيَحْسُنُ بالعَبْدِ أَنْ يَشْهَدَ فِي صَلَاةِ الضُّحَىٰ مَا للهِ تعالىٰ عليهِ مِنْ نِعْمَةِ الصِّحَّةِ والعافِيَةِ فِي بَدَنِهِ وَجَوارِحِهِ ومَفَاصِلِهِ؛ أنْ أقامَهُ وأَصَحَّهُ وأَقْدَرَهُ عَلَىٰ الاشْتِغالِ بأُمُورِ مَعَاشِهِ ومَعَادِهِ؛ وأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَ أَعْضاءَهُ شُكْرًا للهِ تعالىٰ عَلَىٰ نَعْمَتِها؛ فَيَقْطَعُ أَشْغَالَه، ويَخْتَلِي بِصَلاتِهِ فِي ساعةِ انْشغالِ

---

(1) رواه مسلم: 1/ 353، حديث رقم: (489).

(2) رواه أحمد في مسنده: 27/ 107، حديث رقم: (16579)، وحسَّنه شعيب الأرنؤوط.

النَّاسِ بِدُنْياهُمْ. ثُمَّ هِيَ فُرْصةٌ للأَوْبَةِ للصَّلاةِ بعدَ الانْقطاعِ عنْ صلاةِ اللَّيْلِ التِي طالَمَا حَزِنَ لانْقِضَائِها، وهِيَ كَذلِكَ إِيابٌ وَرُجوعٌ إِلَىٰ اللهِ تَعالىٰ لِيَتَخَلَّصَ مِمَّا عَلَقَ بِهِ مِنْ غُبارِ المَعاصِي بِسَبَبِ خُلْطَتِهِ للخلقِ!

۞ خامسًا: الصَّلَاةُ والذِّكْرُ لِدُخُولِ البَيْتِ والخُرُوجِ مِنْهُ

فَإِذَا خَرَجْتَ مِنَ المَسْجِدِ بَعْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ؛ فَاخْرُجْ بِيَسَارِكَ، وَقُلْ: «بِسْمِ اللهِ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[1].

فإذا عُدْتَ إلىٰ بيتِكَ، فَلْتَدْعُ بِدُعاءِ دُخُولِ المَنْزِلِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللهِ خَرَجْنَا، وَعَلَىٰ اللهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَىٰ أَهْلِهِ»[2]. يعني تقول: السلامُ عَلَيْكُمْ، ورحمةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

ثُمَّ صَلِّ ركعتين؛ تمنعانِكَ مَدْخَلَ السُّوءِ، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِذَا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ؛ تَمْنَعانِكَ

---

(1) انظر: سنن ابن ماجه: 1/ 254، حديث رقم: (773)، وصحَّحه الألباني.

(2) رواه أبو داود: 2/ 747، حديث رقم: (5096)، وحسَّنه الأرنؤوط، انظر: تحقيق الأرنؤوط لزاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية: 2/ 348.

مَخْرَجَ السَّوْءِ، وَإِذَا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ؛ تَمْنَعانِكَ مَدْخَلَ السَّوْءِ»[1]. وإذا وَافَقَتْ وَقْتَ سُنَّةٍ رَاتِبَةٍ؛ تَكْفِيانِكَ مِنْ رَكْعَتَيِ الدُّخُولِ، وَدَاوِمْ عَلَيْهِمَا عندَ كلِّ دُخُولِ بيتِكَ والخُرُوجِ مِنْهُ؛ يَدُمْ حِفْظُ اللهِ تَعَالَىٰ لَكَ.

۞ سادسًا: وَفِي الطَّعَامِ أَجْرٌ

ثمَّ تَنَاوَلْ طُعْمَةَ الفَطُورِ، بِنِيَّةِ التَّقَوِّي بِطَعَامِكَ عَلَىٰ مُوَاصَلَةِ عِبَادَةِ اللهِ تعالَىٰ، والتَّقَلُّبِ فِي مَرْضَاتِهِ؛ ولا تَمْلَأِ المَعِدَةَ؛ فَتَثْقُلَ عَنِ العَمَلِ فِي سَعْيِكَ الذِي لابُدَّ لَكَ مِنْهُ. وَلْتَدْعُ بِدُعاءِ الطَّعَامِ، فَتَقُولَ قبلَ الطَّعامِ: «بِسْمِ اللهِ»، فإذا لَمْ تُسَمِّ؛ شارَكَكَ الشَّيْطانُ طَعَامَكَ، وكَانَ لَهُ نَصِيبٌ فِي كُلِّ لُقْمَةٍ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِذَا نَسِيتَ التَّسْمِيَةَ؛ فَقُلْ حِينَ تَذْكُرُ: «بِسْمِ اللهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ»، فإنك إن قُلْتَ ذلك؛ تقيَّأَ الشيطانُ ما أَكَلَهُ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اللهَ فِي أَوَّلِ طَعَامِهِ فَلْيَقُلْ حِينَ

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 3/ 124، حديث رقم: (3078)، وحسَّنه الألباني.

يَذْكُرُ: بِسْمِ اللهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ طَعَامَهُ جَدِيدًا، وَيَمْنَعُ الْخَبِيثَ مَا كَانَ يُصِيبُ مِنْهُ»[1].

وَلْتَقُلْ عِنْدَ الفَرَاغِ مِنَ الطَّعامِ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ»، فإنَّ مَنْ قال ذلك؛ «غُفِرَ لَهُ مَا تقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[2]، وافْعَلْ هَذَا عِنْدَ كُلِّ طَعَامٍ وَشَرَابٍ. وَاحْذَرْ أَنْ تَأْكُلَ بِشِمَالِكَ، فتكونَ مُسْتَنًّا بالشَّيْطَانِ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»[3]. فَإِنْ فَعَلْتَ ذلكَ كانَ لَكَ في طعامِكَ أَجْرٌ.

۞ سابعًا: السَّعْيُ في طَلَبِ الرِّزْقِ خيرٌ

وإِنْ كَانَ لَكَ عَمَلٌ؛ فاذهبْ إِلَىٰ مَا أقامَكَ اللهُ فيهِ مِنْ أسبابِ العَيْشِ، بِنِيَّةِ السَّعْيِ علَىٰ كَسْبِ الرزقِ؛ للتقوِّي علَىٰ طاعةِ اللهِ تعالَىٰ، وإطعامِ العِيَالِ، والصَدَقَةِ علَىٰ الفُقَراءِ والمَسَاكِينِ، وصَوْنِ النَّفْسِ عَنْ سُؤَالِ الخَلْقِ، واجتهدْ أنْ تَنْصَحَ المسلمينَ في عملِكَ، وأَنْ تُؤَدِّيَهُ علَىٰ أكملِ

---

(1) رواه ابن حبان في صحيحه: 12/ 12، حديث رقم: (5213)، وصححه الألباني.

(2) رواه أبو داود: 2/ 440، حديث رقم: (4023)، وحسَّنه الألباني.

(3) رواه مسلم: 3/ 1598، حديث رقم: (2020).

الوجوهِ: إِنْ في تجارةٍ، أو في صناعةٍ، أو وظيفةٍ. وإِيَّاكَ والغِشَّ أوِ التَّقْصيرَ أَوِ الإِسَاءَةِ، أَوِ التَّفْريطَ فِي عَمَلِك، فَإِنَّ مَنْ أَخذَ الأجرَ؛ حاسَبَهُ اللهُ علىٰ العَمَلِ.

واحْتَسِبْ سَعْيَكَ عَلَىٰ رِزْقِ عِيَالِكَ كَمَا تَحْتَسِبُ صَلَاتَكَ وعِبَادَتَكَ؛ فَإِنَّ السَّعْيَ عَلَىٰ كِفَايَةِ العِيَالِ مِنْ أَعْمَالِ البِرِّ الزَّاكِيَةِ.

واحرصْ أَلَّا تنقلبَ في أمرٍ مِنَ الأمورِ إلَّا في شيْءٍ يَظْهرُ لكَ فيه مرضاةُ رَبِّكَ ﷻ؛ وَإِنْ كانَ مِنَ الأفعالِ العاديةِ الطبيعيةِ قَلَبْتَهُ عبادةً بالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ، وقَصْدِ الاسْتِعَانةِ بِهِ عَلَىٰ مَرْضاةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَلْتَقِفْ عندَ أَوَّلِ الدَّاعِي إِلَىٰ فِعْلِهِ، ثم فَتِّشْ؛ لِتَسْتَخْرِجَ منه مَنْفَذًا وَمَسْلَكًا تَسْلُكُ مِنْهُ إِلَىٰ إِصْلَاحِ نِيَّةِ العَمَلِ الذِي تَقْصِدُهُ؛ فينقلبَ فِي حَقِّكَ عِبَادَةً وقُرْبةً، وشَتَّانَ بينَ هَذَا، وبَيْنَ مَنْ إذا عرضَ لَهُ أَمْرٌ مِنْ أَوَامِرِ الربِّ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ، لابُدَّ له مِنْ فِعْلِهِ؛ فَتَّشَ فيهِ عَلَىٰ مُرَادٍ لِنَفْسِهِ وغَرَضٍ لِطَبْعِهِ؛ فَفَعَلَهُ لِأَجْلِ ذلكَ، وجعلَ الأمرَ طَرِيقًا لَهُ، ومَنْفَذًا لِمَقْصِدِهِ، فَسُبْحَانَ مَنْ فَاوَتَ بينَ النُّفُوسِ إِلَىٰ هَذَا الحَدِّ والغَايَةِ، فَهَذَا عِبَادَاتُهُ عَادَاتٌ، والأَوَّلُ عاداتُهُ عباداتٌ (1).

---

(1) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية: 1/ 214.

وَلْتَحْتَرِزْ مِنَ التَّعَرُّضِ لِسَخَطِ اللهِ تعالَىٰ في يومِكَ، وَلْتَنْوِ الخيرَ لِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ، وَلْتَعْزِمْ أَلَّا تُشْغَلَ في جميعِ نهارِكَ إلا بطاعةِ اللهِ تعالَىٰ، ولتَقْصِدْ فِي قَلْبِكَ الطَّاعَاتِ التِي تَقْدِرُ عَلَيْها، ولتَخْتَرْ أفضلَها، وتتأملْ تَهْيِئَةَ أَسْبَابِها لِتَشْتَغِلَ بِهَا؛ ولا تَدَعْ عَنْكَ التَّفَكُّرَ في قُرْبِ الأَجَلِ، وحُلُولِ المَوْتِ القَاطِعِ للأَمَلِ، وخُرُوجِ الأَمْرِ عَنِ الاخْتِيَارِ[1]، وحُصُولِ الحَسْرَةِ والنَّدَامةِ بِطُولِ الاغترارِ[2].

۞ ثامنًا: نومُ القَيْلُولَةِ عَوْنٌ على اللَّيْلِ

ثمَّ إذا تيسرَ لكَ نومُ القيلولةِ قبلَ الظهرِ؛ بِنِيَّة الاستجمامِ والتَّقَوِّي علىٰ طاعةِ اللهِ فافعلْ، فَإِنْ لم يتيسّرْ قبلَ الظهرِ فَبَعْدَهُ؛ فإنّهُ قُوَّةٌ لَكَ على الطَّاعَاتِ سَائِرَ اليَوْمِ، وَعَوْنٌ لَكَ عَلَىٰ قِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «قِيلُوا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقِيلُ»[3].

---

(1) أي: إنْ جاءَ المَوْتُ؛ لَمْ يَكُنِ لكَ سَاعَتَهَا أَنْ تَخْتَارَ مِنْ أَمرِكَ شَيْئًا، فَالأَمْرُ عِنْدَها خَرَجَ مِنْ يَدِكَ.

(2) انظر: بداية الهداية، للغزالي: 1/ 37.

(3) رواه الطبراني في الأوسط: 1/ 13، حديث رقم: (28)، وحسَّنه الألباني.

۞ تاسعًا: صلاةُ الظُّهْرِ

فإذا حضَرَ فَرْضُ الظُّهْرِ؛ فاقْطَعْ أَشْغَالَكَ، وَبَادِرْ إِلَىٰ التَّطَهُّرِ والسَّعْيِ إِلَىٰ الصَّفِّ الأَوَّلِ مِنَ المَسْجِدِ، فَأَدِّ فَرِيضَتَهُ كَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَأَحْضِرْ قلبَكَ فِيمَا أَنْتَ فيهِ، وَفَرِّغْهُ مِنَ الوَسَاوِسِ التِي تَوارَدَتْ عَلَيْهِ بِسَبَبِ خُلْطَةِ الخَلْقِ، والاشْتِغَالِ بِأَسْبَابِ المَعَاشِ، وانْظُرْ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ تقومُ، ومَنْ تُناجِي، واسْتَحِ أَنْ تُنَاجِيَ مَوْلَاكَ بِقَلْبٍ غَافِلٍ، وصَدْرٍ مَشْحُونٍ بِوَسَاوِسِ الدُّنيا وَوَارِدَاتِ الشَّهَواتِ. واعْلَمْ أنَّهُ تعالَىٰ مُطَّلِعٌ علَىٰ سريرتِكَ، ناظِرٌ إلىٰ قلبِكَ، فَإِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ تَعالَىٰ مِنْ صلاتِكَ بِقَدْرِ خشوعِكَ وخضوعِكَ وتواضُعِكَ وتضرُّعِكَ، واعبدْهُ فِي صَلاتِكَ كأَنَّكَ تراهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تراهُ فإنهُ يَرَاكَ.

فَإِنْ لَمْ يَحْضُرْ قَلبُكَ، وَتَسْكُنْ جَوارِحُكَ، فَاسْتَدْعِ ذِكْرَ هُجُومِ المَوْتِ عَلَيْكَ، ولَيْسَ لَكَ حِيلَةٌ إِلَىٰ دَفْعِهِ وَرَدِّهِ عَنْكَ، وَأَنَّها آخِرُ صَلاةٍ تُصَلِّيها، وَأَنَّكَ إِذَا مِتَّ؛ حَاسَبَكَ اللهُ تَعالَىٰ علَىٰ هَذِه الصَّلاةِ التِي لَمْ تُحْسِنْ خُشُوعَهَا، فإذا عزَّ عليكَ اسْتِحْضارُ موتِكَ، فَتَذَكَّرْ مَوْتَ عزيزٍ حَبِيبٍ، قَرِيبِ عَهْدٍ بِمَوْتٍ، كيفَ خرجَ مِنَ الدنيا أسرعَ ما يكونُ؛ فلا دواءَ أَنْفَعُ لِخشوعِ العبدِ في صلاتِهِ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ؛ إِذْ هِيَ وَصْفَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ

يَقُولُ: «اذْكُرِ المَوْتَ فِي صَلَاتِكَ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ[1] إِذَا ذَكَرَ المَوْتَ فِي صَلَاتِهِ؛ فَحَرِيٌّ أَنْ يُحْسِنَ صَلَاتَهُ، وَصَلِّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنَّهُ يُصَلِّىٰ صَلَاةً غَيْرَهَا، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ»[2].

فَإِذَا عَزَّ عَلَيْكَ تَذْكَارُ المَوْتِ؛ فَقَدِّرْ أَنَّ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ وُجُوهِ النَّاسِ يَنْظُرُ إِلَيْكَ، فَرَآكَ وأنتَ تَلْتَفِتُ بِوَجْهِكَ وبَصَرِكَ فِي الصَّلاةِ يَمِينًا وشِمَالًا، وأَمَامًا وخَلْفًا، كيفَ كُنْتَ سَتَفْعَلُ؟ وكيفَ سَيكونُ اسْتِحْيَاؤُكَ مِنْهُ؟ ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّكَ حينَ تَلْتَفِتُ بِبَصَرٍ قَلْبِكَ إِلَىٰ الدُّنيا، وتَجُولُ بِفِكْرِكَ فِيها؛ فإنَّ اللهَ تعالَىٰ يَرَىٰ الْتِفاتَ قَلْبِكَ عنهُ، فَيَمْقُتُكَ، وَيُغْلِقُ بابَهُ دونَكَ، ثم ارجِعْ إلىٰ نفسِكَ، وَقُلْ: يا نَفْسَ السُّوءِ، أَلَا تَسْتَحِينَ مِنْ خالِقِكِ ومَوْلَاكِ؟ إِذْ قَدَّرْتِ اطِّلاعَ عَبْدٍ ذليلٍ مِنْ عبادِهِ عَلَيْكِ، ولَيْسَ بيدِهِ ضُرُّكِ ولا نَفْعُكِ؛ خَشَّعْتِ جوارِحَكِ، وَحَسَّنْتِ صلاتَكِ، ثُمَّ إِنَّكِ تَعْلَمِينَ أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ قَلْبِكَ، ولا تَخْشَعِينَ لِعَظَمَتِه، أَهُوَ تعالىٰ عندكِ أَقَلُّ مِنْ عِبادِهِ؟! فَمَا أشدَّ

---

(1) ذِكْرُ الرَّجُلِ هُنَا علىٰ التَّغْلِيبِ، ويَدْخُلُ فِي الخَبَرِ المَرْأَةُ، إِذْ هِيَ مَأْمُورَةٌ كَذَلِكَ بِإِحْسَانِ صَلَاتِهَا.

(2) رواه السيوطي في الجامع الكبير: 1/ 1319، وحسَّنه الألباني.

طُغْيانَكِ وَجَهْلَكِ! ومَا أَعْظَمَ عَدَاوَتَكِ لنَفْسِكِ! فَعِنْدَ ذلكَ سَيأْخُذُكَ الحياءُ مِن ربكَ كُلَّ مَأْخَذٍ، ويَحْضُرُ قَلْبُكَ، وتَسْكُنُ جَوَارِحُكَ.

وعَالِجْ قَلْبَك بِهَذِهِ الحِيَلِ فِي صلاتِك كُلِّهَا؛ فَعَسَىٰ أَنْ يَحْضُرَ قَلْبَكَ مَعَكَ فِي صَلَاتِكَ؛ فإِنَّه لَيْسَ لكَ مِنْ صَلاتِكَ إلا ما عَقلْتَ مِنْهَا، وأَمَّا مَا أَتَيْتَ مَعَ الغَفْلَةِ والسَّهْوِ فَهُوَ إِلَىٰ الاسْتِغْفَارِ والتَّكْفِيرِ أَحْوَجُ[1].

فَعِمَادُ الصلاةِ الخشوعُ، وحُضُورُ القَلْبِ مَعَ القِرَاءَةِ والذِّكْرِ بالتَّفَهُّمِ. قال الحسنُ البصريُّ -رحمَهُ اللهُ تعالَىٰ-: كُلُّ صلاةٍ لا يَحْضُرُ فيها القلبُ فهي إلىٰ العقوبةِ أَسْرَعُ. وقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا نِصْفُهَا»[2]. وإنما يُكْتَبُ للعَبْدِ مِنْ صَلاتِهِ بِقَدْرِ ما عَقلَ مِنْهَا[3].

وَلْيَكُنْ هذا دأبَكَ في كلِّ فَرِيضَةٍ.

---

(1) انظر هذه المعاني كتاب: بداية الهداية، للغزالي: 1/ 45.

(2) رواه أحمد في مسنده: 31/ 189، حديث رقم: (18894)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

(3) انْظُرْ كِتَابَنَا: (الصلاةُ طريقُ العودَةِ وتقريرُ المَصِيرِ)، ذَكَرْنَا فيه أَهَمِيَّةَ الصلاةِ فِي تحديدِ مَصِيرِ العبدِ فِي آخِرَتِهِ، ثمَّ ذَكَرْنَا شُرُوطَ الصلاةِ التِي يُكْتَبُ للعبدِ فيها الفَلاحُ،

وإن كنتَ فِي عملٍ لا يُؤْذَنُ لكَ بالخروجِ منه إلىٰ الجامعِ؛ فَلْتُخَصِّصُوا فِي العَمَلِ مَكَانًا لِصَلَاةِ الجَمَاعَةِ، يَكُونُ لَكُمْ مَسْجِدًا ومُصَلَّىٰ، وَلَوْ صَغِيرًا، تَجْتَمِعُونَ فِيهِ لِصَلاةِ الجَمَاعَةِ مَا دُمْتُمْ فِي العَمَلِ.

وَإِنْ أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ وَأَنْتَ فِي مَكَانٍ لَا تَسْمَعُ فِيهِ صَوْتَ الأَذَانِ؛ فَتَرَقَّبِ المَوْعِدَ، وارْفَعِ الأَذَانَ، وأَشْهِدْ عَلَيْهِ الإِنْسَ والجَانَّ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ الأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رضي الله عنه، قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: «لَا يَسْمَعُ مَدَىٰ صَوْتِ المُؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؛ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

ثُمَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ، وَصَلِّ ومَنْ حَضَرَ مَعَكَ جَمَاعَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَكَ أَحَدٌ؛ فَصَلِّ مُنْفَرِدًا؛ تَعْظُمُ لَكَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الصَّلَاةُ فِي جَمَاعَةٍ تَعْدِلُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ

وقدْ أَطَلْنَا النَّفَسَ فِي الحَدِيثِ عَنِ الخُشُوعِ وتَعْرِيفَاتِهِ، وحُكْمِهِ، وأَسْبَابِهِ ودَوَاعِيهِ، ومَشَاهِدِهِ، ونَمَاذِجَ لِعُبَّادٍ خَاشِعِينَ.

(1) رواه البخاري في صحيحه: 1/ 125، حديث رقم: (609).

صَلَاةً، فَإِذَا صَلَّاهَا فِي فَلَاةٍ[1] فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا بَلَغَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً»[2].

عاشرًا: نافلةُ البيتِ خيرٌ منْ نافلةِ المسجدِ

ثمَّ احرصْ أَنْ تُصَليَ السُّنَّةَ في بيتِك علَىٰ أَحْسَنِ الوُجُوهِ. فَإِنَّ صلاةَ الرَّجُلِ السُّنَّةَ في بيتِهِ خيرٌ مِنْ صلاتِها في المَسْجِدِ، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي مَسْجِدِي هَذَا، إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ»[3].

وَلَكَ أَنْ تُصَلِّيَ سُنَّةَ الظُّهْرِ الرَّاتِبَةَ، وَهِيَ عَلَىٰ مَرَاتِب:

الأُولَىٰ: رَكْعَتَيْنِ قَبْلِيَّةً، ورَكَعْتَيْنِ بَعْدِيَّةً؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا»[4].

---

(1) الفلاةُ: الصَّحْرَاءُ، والمَكَانُ الذِي لَا عَمَارَ وَلَا سَكَنَ فِيهِ، وَلَا تُقَامُ فِيهِ الجَمَاعَاتُ، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 15/ 270.

(2) رواه أبو داود: 1/ 153، حديث رقم: (560)، وصحَّحه الألباني.

(3) رواه أبو داود: 2/ 340، حديث رقم: (1044)، وصحَّحه الألباني.

(4) رواه البخاري في صحيحه: 2/ 58، حديث رقم: (1180).

الثَّانِيَةُ: أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلِيَّةً، ورَكَعْتَيْنِ بَعْدِيَّةً؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ ثَابَرَ عَلَىٰ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ السُّنَّةِ؛ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ: أَرْبَعٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ»[1].

الثَّالِثَةُ: أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلِيَّةً، وأَرْبَعًا بَعْدِيَّةً؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرُمَ عَلَىٰ النَّارِ»[2].

تَلْزَمُ مَرْتَبَةً مِنَ المَرَاتِبِ الثَّلاثَةِ؛ بِحَسَبِ جُهْدِكَ وَوَقْتِكَ وَهِمَّتِكَ، وأَنْ تَلْزَمَ إِحْدَىٰ المَرْتَبَتَيْنِ: الثَّانِيَةِ أو الثَّالِثَةِ؛ خَيْرٌ لَكَ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، يَعْدِلْنَ بِصَلَاةِ السَّحَرِ»[3]. يَعْنِي يُسَاوِينَ فِي الأَجْرِ صَلَاةَ قِيَامِ اللَّيْلِ وَقْتَ السَّحَرِ.

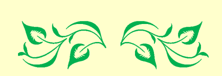
---

(1) رواه ابن ماجه: 1/ 361، حديث رقم: (1140)، وصحَّحه الألباني.

(2) رواه أبو داود: 2/ 23، حديث رقم: (1269)، وصحَّحه الألباني.

(3) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: 2/ 16، حديث رقم: (5940)، وحسنه الألباني.

وَلْتَتَّخِذْ لِصَلاتِكَ مُنْفَرِدًا سُتْرَةً؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُصَلِّ إِلَّا إِلَىٰ سُتْرَةٍ، وَلَا تَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ»[1]، أمّا إذا صليتَ جماعةً، فَسُتْرَةُ الإمامِ تَكْفِيكَ.



(1) رواه ابن حبان في صحيحه: 6/ 126، حديث رقم: (2362)، وصحَّحه الألباني.

الفَصْلُ الثَّالِثُ:

أعْمَالُ الوَقْتِ مِنَ الظُّهْرِ إِلَى صَلَاةِ العَصْرِ

ثُمَّ تناولْ طُعْمَةَ الغَدَاءِ إنْ لَمْ تَكُنْ صَائِمًا، ولا تَمْلأِ المَعِدَةَ؛ فَتَثْقُلَ عَنْ مواصلةِ عَمَلِكِ. وَلْتَدْعُ دعاءَ الطعامِ عند أوّلِهِ وآخِرِهِ.

فإِنْ كُنْتَ لَمْ تَزَلْ فِي عملِكَ الذي تَقْتَاتُ مِنْهُ، فَالْزَمْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ نَصِيحَةِ المُسْلِمِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ، وأَدَائِها عَلَىٰ أَكْمَلِ الوُجُوهِ.

وإنْ كُفِيتَ رِزْقَكَ، أَوْ كُنْتَ فِي إِجَازَةٍ، أَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ عملٌ مِنْ أمورِ المَعَاشِ؛ فاحْرِصْ أَنْ تَنَامَ نَوْمَةَ القَيْلُولَةِ قُبَيْلَ الظُّهْرِ، وأَنْ تَشْتَغِلَ بَعْدَ الظُّهْرِ إِلَىٰ العَصْرِ بِتَعَلُّمِ عِلْمٍ، أَوْ إِعانةِ مُسْلِمٍ، أَوْ قراءةِ قرآنٍ، أَوْ أَنْ تُصَلِّيَ مَا شاءَ اللهُ لكَ أنْ تُصَلِّيَ مِنَ النافلةِ، ولْتُكْثِرْ مِنْهَا مِثْلَمَا تَقَدَّمَ فِي وَقْتِ الضُّحَىٰ؛ فَإِنَّهُ وقتٌ شريفٌ، يَغْفلُ عَنْهُ أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ، وَقَدْ كانَ صَالِحُو السَّلَفِ يُحْيُونَهُ بِالصلاةِ؛ فَطُوبَىٰ، ثُمَّ طُوبَىٰ، ثُمَّ طُوبَىٰ لِمَنْ كَانَ رَأْسُ مَالِهِ وأَرْبَاحُهُ الصَّلاةَ؛ فَإِنَّ الصَّلاةَ أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَخَيْرُ مَا يَجِدُهُ العَبْدُ فِي صَحِيفَتِهِ يَوْمَ يَلْقَىٰ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.



الفَصْلُ الرَّابِعُ:
أعْمَالُ الوَقْتِ مِنَ العَصْرِ إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ

۞ أولًا: صَلَاةُ العَصْرِ

فإذا حَضَرَ فَرْضُ العَصْرِ؛ فَبَادِرْ إلىٰ بيتِ اللهِ تَعَالَىٰ، واجتهِدْ أَنْ تكونَ أَوَّلَ مَنْ يدخلُ المَسْجِدَ، وَإِنِ استطعْتَ أَلَّا يُؤَذَّنَ إِلَّا وَأنتَ في المسجدِ فافْعَلْ؛ فَإِنَّ التهجيرَ والتبكيرَ إلىٰ المساجدِ سُنَّةٌ، والرسولُ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ، وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ؛ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ[1]؛ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ؛ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»[2].

---

(1) التَّهْجِيرُ: أَصْلُهَا السَّيْرُ فِي الهَاجِرَةِ، وهِيَ شِدَّةُ الحَرِّ، ومَعْنَاهَا هُنَا التَّبْكِيرُ والمُسَارَعَةُ إِلَىٰ الصَّلَواتِ كُلِّها قَبْلَ دُخُولِ أَوْقَاتِهَا، انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال: 2/ 280.

(2) رواه البخاري في صحيحه: 2/ 955، حديث رقم: (2543).

ثُمَّ صَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ فَرْضِ العَصْرِ بِنِيَّةِ نَوَالِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَهِيَ سُنَّةٌ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّىٰ قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا»[1]، فاجتهدْ أنْ يُصْيبَكَ دُعاؤُهُ ﷺ.

وَلْتَشْتَغِلْ بعدَ العصرِ بِمُطْلَقِ العِبَادَاتِ؛ فَتَقُومَ بِحُقُوقِ أهلِكَ وعِيَالِكَ وأَرْحَامِكَ، وتَقُومَ بِحُقُوقِ العِبَادِ مِنْ عِيَادَةِ المَرْضَىٰ، وتَشْيِيعِ الجَنَائِزِ، والمُعَاوَنَةِ للمُسْلِمِينَ بالجَاهِ والبَدَنِ والنَّفْسِ والمَالِ، وزيارَتِهِمْ وتَفَقُّدِهِمْ، فَتَبْقَىٰ مُتَنَقِّلًا فِي مَنَازِلِ العُبُودِيَّةِ كَيْفَمَا اقْتَضَىٰ الوَقْتُ والحَالُ.

فإذا وَقَعَ منكَ تفريطٌ في حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَبادِرْ إِلَىٰ الاعتذارِ والتَّوْبَةِ والإِكْثارِ مِنَ الاسْتِغْفارِ، وَمَحْوِهِ ومداواتِهِ وجَبْرِهِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ يزيلُ أَثَرَهُ، واجْعَلْ هَذِهِ وظيفَتُكَ دائِمًا فِي هَذَا الوَقْتِ.

ولا تَنْسَ أَنْ تَذْكُرَ قَبْلَ قِيامِكَ مِنْ مَجَالِسِكَ كُلِّهَا مع النَّاسِ كَفَّارَةَ المَجْلِسِ؛ تَكُنْ لَكَ طُهْرَةً، وكَفَّارَةً لِمَا فَرطَ مِنْكَ مِنْ زَلَّاتٍ؛ فإِنَّ كُلَّ عَبْدٍ خَطَّاءٌ، وَلَا يَدْرِي أَحَدٌ كَمْ فَرطَ مِنْهُ مِنْ زَلَّاتٍ، وكَفَّارَةِ المَجْلِسِ: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ)؛ فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: إِذَا

---

(1) رواه أحمد في مسنده: 10/ 188، حديث رقم: (5980)، وحسَّنه الألباني.

أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَىٰ، فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»[1]. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: «كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ؛ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسِ خَيْرٍ وَمَجْلِسِ ذِكْرٍ؛ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ، كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَىٰ الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[2].

وينْبَغِي ألَّا تكونَ أوقاتُكَ مهملةً، فَتَشْتَغِلَ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا اتَّفَقَ، وكَيْفَ اتَّفَقَ؛ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ، وَتُرَتِّبَ أَوْرَادَكَ فِي لَيْلِكَ ونَهَارِكَ، وَتُعَيِّنَ لِكُلِّ وَقْتٍ شُغْلًا لا تَتَعَدَّاهُ، وَلَا تُؤْثِّرَ فِيهِ سِوَاهُ؛ فبذلِكَ تَظْهرُ بَرَكَةُ الأَوْقَاتِ. فَأَمَّا إِذَا تَرَكْتَ نَفْسَكَ سُدًىٰ مُهْمَلًا إِهْمَالَ البَهَائِمِ، لا تَدْرِي بِمَاذَا تَشْتَغِلُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، فَيَنْقَضِي أَكْثَرُ أَوْقَاتِكَ ضَائِعًا، وأَوْقَاتُكَ عُمُرُكَ، وعُمُرُك رأسُ مَالِكَ، وعَلَيْهِ تِجَارَتُكَ، وَبِهِ وُصُولُكَ إِلَىٰ نِعِيمِ دَارِ

(1) رواه أبو داود: 4/ 265، حديث رقم: (4859)، وصحَّحه الألباني.

(2) رواه أبو داود: 4/ 265، حديث رقم: (4857)، وصحَّحه الألباني.

الأَبَدِ في جِوارِ اللهِ تعالَىٰ؛ فَكُلُّ نَفَسٍ مِنْ أنفاسِكَ جَوْهَرةٌ لَا قِيمَةَ لَهَا[1]؛ إِذ لَا بَدَلَ لَهُ، فإذا فاتَ فلا عَوْدَ له. فلا تَكُنْ كالحَمْقَىٰ المغرورِينَ الذِينَ يَفْرَحُونَ كُلَّ يَوْمٍ بِزِيَادَةِ أَمْوالِهِمْ مَعَ نُقْصَانِ أَعْمَارِهِمْ، فَأَيُّ خَيْرٍ فِي مَالٍ يَزِيدُ وَعُمُرٍ يَنْقُصُ؟! فَلا تَفْرَحْ إِلَا بِزِيادَةِ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ؛ فَإِنَّهُمَا رَفِيقَاكَ يَصْحَبَانِكَ فِي القَبْرِ حَيْثُ يَتَخَلَّفُ عَنْكَ أَهْلُكَ ومَالُكَ، ووَلَدُكَ، وأَصْدِقَاؤُكَ[2].

ثانيًا: أذكارُ المَسَاءِ

ثُمَّ إذا اصْفَرَّتِ الشَّمسُ، فاجتهِدْ أَنْ تعودَ إلىٰ المسجدِ قبلَ الغروبِ، وتشتغلْ بالتسبيحِ والاستغفارِ، وَلْتَتْلُ أذكارَ المَسَاءِ بحُضُورِ قَلْبٍ وإِخْلَاصِ نِيَّةٍ؛ وَلْتَشْتَغِلْ فيهِ شُغلَكَ مَا بَيْنَ الفَجْرِ والشُّرُوقِ؛ فإنَّ فَضْلَ هذا الوقتِ كَفَضْلِ مَا قَبْلَ الطُّلُوعِ، قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[3]. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(1) لَا قِيمَةَ لَهَا، أَيْ: لَا تُقَدَّرُ بِقِيمَةٍ؛ فَهِيَ أَثْمَنُ مِنْ كُلِّ ثَمِينٍ.

(2) صَلَاةُ الْغَدَاةِ: صَلَاةُ الصُّبْحِ، انظر: بداية الهداية، للغزالي: 1/ 41.

(3) طه: 130.

ﷺ: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَىٰ[1] مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ[2]، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ، مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَىٰ، أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً»[3]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً؛ أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّىٰ فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ»[4].

فَإِنْ لم يتيسَّرْ لكَ الرجوعُ إلىٰ المسجدِ، فاقْطَعْ أشغالَكَ، واقرأْ أذكارَ المَسَاءِ حيثُمَا كُنْتَ. فإنه يَرُدَّ عنكَ كُلَّ بلاءٍ، ولا تزالُ في حِصْنٍ وحِرْزٍ مِنْ كُلِّ مكروهٍ سَائِرَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ مَا دَاوَمْتَ عَلَيْهَا.

---

(1) المَقْصُودُ أنْ يَذْكُرَ اللهَ تَعَالَىٰ فِي هذينِ الوَقْتَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ سَوَاءٌ ذَكَرَ وَحْدَهُ، أم فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ، انظرْ: التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني: 9/ 15.

(2) انظر: شرح النووي علىٰ مسلم: 5/ 10.

(3) رواه أبو داود: 3/ 324، حديث رقم: (3667)، وصحَّحه الألباني.

(4) رواه البخاري في صحيحه: 8/ 145، حديث رقم: (6715)، ومسلم: 2/ 1147، حديث رقم: (1509).

الفَصْلُ الخَامِسُ:
أعْمَالُ الوَقْتِ مِنَ المَغْرِبِ إِلَى العِشَاءِ

أولًا: صَلاةُ المَغْرِبِ

وَلْتَغْرُبْ عليكَ الشَّمْسُ وأَنْتَ فِي الاسْتِغْفَارِ والأَوْرَادِ، فَإِذَا سمعتَ الأذانَ فَأَجِبْهُ كَمَا سَبَقَ، ثم صَلِّ ركعتَيْنِ مَا بَيْنَ الأَذَانِ والإِقَامَةِ، قَبْلَ الفرضِ؛ إحياءً لِمَا بينَ الأذانَيْنِ؛ فَفَضْلُ ذلكَ كثيرٌ، وفي الخَبَرِ: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ؛ فَادْعُوا»[1].

ثَمَّ صلِّ الفرضَ بَعْدَ الإِقَامَةِ، كَمَا سَبَقَ فِي صَلَاتِكَ مِنْ خُشُوعٍ وحُضُورِ قَلْبٍ، ثُمَّ صلِّ بَعْدَهُ ركعتَيْنِ، فَهُمَا راتِبَتَا المَغْرِبِ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ»[2]. فَإِذَا أَرَدْتَ الرجوعَ إِلىٰ بيتِكَ، فَصَلِّ رَكْعَتَيْ سُنَّةِ المَغْرِبِ فِي بيتِكَ، فَإِنَّ النبيَّ ﷺ رَأَىٰ قَوْمًا يَتَطَوَّعُونَ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَقَالَ: «هَذِهِ صَلَاةُ الْبُيُوتِ»[3].

---

(1) رواه أحمد في مسنده: 20/41، حديث رقم: (12584)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

(2) رواه ابن ماجه: 1/ 361، حديث رقم: (1140)، وصحَّحه الألباني.

(3) رواه أبو داود: 1/ 415، حديث رقم: (1300)، وصحَّحه الألباني.

۞ ثانيًا: إحْيَاءُ مَا بَيْنَ المَغْرِبِ والعِشَاءِ

وإِذَا أَمْكَنَكَ أنْ تَنْوِيَ الاعْتَكافَ إِلَىٰ العِشَاءِ، وَتُحْيِيَ ما بينَ العشاءَيْنِ -المغربِ والعشاءِ- بالصَّلَاةِ فَافعَلْ، فَقَدْ وَرَدَ فِي فضلِ ذلك ما لا يُحْصَىٰ، وهي ناشئةُ الليلِ؛ لأنه أولُ نَشْأَةٍ.

وقد كانَ جَمْعٌ مِنَ السلفِ يُحْيُونَ ما بينَ المغربِ والعشاءِ بالصلاةِ، وكانُوا يَعُدُّونَ ما بَيْنَ صلاةِ المَغْرِبِ إِلَىٰ العِشاءِ مِنْ قِيامِ اللَّيْلِ؛ فَيُحْيُونَهُ بِالصَّلَاةِ؛ فعنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[1]، قَالَ: كَانُوا يَتَيَقَّظُونَ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، يُصَلُّونَ، وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: قِيَامُ اللَّيْلِ[2].

فعنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ الأَسْوَدِ، عَنْ أَبِيهِ، قالَ: مَا أتيْتُ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ رضي الله عنه فِي تلكَ الساعةِ إلَّا وَجدْتُهُ يُصلِّي، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذلكَ، فقالَ: «نعمْ، سَاعَةُ الغَفْلَةِ، يَعْنِي: مَا بَيْنَ المَغْرِبِ والعِشَاءِ»[3]. قَالَ العراقيُّ: «وَمِمَّنْ كَانَ يُصَلِّي مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ: عَبْدُ اللهِ بْنُ

---

(1) السجدة: 16.

(2) رواه أبو داود: 2/ 35، حديث رقم: (1321)، وصحَّحه الألباني.

(3) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: 1/ 353.

مَسْعُودٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، وسلمانُ الفَارِسِيُّ، وابْنُ عُمَرَ، وَأَنَسٌ، ومِنَ التابعينَ: الأَسْوَدُ بنُ يزيدَ، وأَبُو عثمانَ النَّهْدِيُّ، وابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، وسَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُحَمَّدُ بنُ المُنْكَدِرِ، وشُرَيْحٌ القَاضِي، وغَيْرُهُم، ومِنَ الأَئِمَّةِ: سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ، رَضِيَ اللهُ تَعالَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ»[1].

ثالثًا: صَلَاةُ العِشَاءِ

فَإِذَا دَخَلَ وَقْتُ العِشَاءِ، فَافْعَلْ فِعْلَكَ فِي سَائِرِ الصَّلَوَاتِ، ثُمَّ صَلِّ الْفَرْضَ جماعةً، ثُمَّ صَلِّ الراتبةَ ركعتَيْنِ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ»[2].

ثُمَّ الوَصِيَّةُ بِالمُحَافَظَةِ عَلَىٰ صَلَاةِ الوِتْرَ بَعْدَها ثَلَاثًا فِي بيتِكَ، وَلَكَ أَنْ تُصَلِّيَها وَاحِدَةً؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ، لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّىٰ أَمُوتَ: «صَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَىٰ، وَنَوْمٍ عَلَىٰ وِتْرٍ»[3]، فَإِذَا كُنْتَ عازمًا علَىٰ قِيامِ اللَّيْلِ، فَأَخِّرِ الوتْرَ، لِيَكُونَ آخِرُ

---

(1) نيل الأوطار، للشوكاني: 3/ 68.

(2) رواه ابن ماجه: 1/ 361، حديث رقم: (1140)، وصحَّحه الألباني.

(3) رواه البخاري في صحيحه: 2/ 58، حديث رقم: (1178)، ومسلم: 1/ 498، حديث رقم: (721).

صلاتِكَ وتْرًا؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «وَاجْعَلْ آخِرَ صَلَاتِكَ وِتْرًا»[1].

۞ رابعًا: التَّبْكِيرُ بِالنَّوْمِ

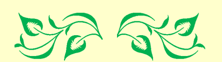
وَاحْرِصْ علَىٰ النومِ مُبَكِّرًا؛ فإنَّهُ عَوْنٌ لكَ عَلَىٰ قيامِ اللَّيْلِ وصَلَاةِ الفجرِ. فَفِي الأَثَرِ: «لَا سَمَرَ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِلَّا لِمُصَلٍّ أَوْ مُسَافِرٍ»[2]، فَإِنْ كنتَ لابُدَّ مُشْتَغِلًا، فَاشْتَغِلْ بمذاكرةِ عِلْمٍ، أو مُطَالَعَةِ كِتَابٍ، ولا تَشْتَغِلْ بِاللَّهْوِ وَاللَّعْبِ، فيكونَ ذلكَ خَاتِمَةَ أَعْمَالِكَ قبلَ نومِكَ؛ وَإِنَّما الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا.

وإِنَّمَا نَهَىٰ عَنِ السَّمَرِ بَعْدَ الْعِشَاءِ؛ لِأَنَّ مُصَلِّي الْعِشَاءِ قَدْ كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ لِصَلَاتِهِ، فَنُهِيَ أَنْ يَسْمُرَ فِي الْحَدِيثِ مَعَ النَّاسِ؛ خَوْفًا أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي كَلَامِهِ مَا يُدَنِّسُ نَفْسَهُ بِالذَّنْبِ بَعْدَ طَهَارَةٍ، لِأَنْ يَنَامَ بِطَهَارَتِهِ، وقَالَ سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ: «تَكَلَّمْتُ بِشَيْءٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فَقُلْتُ: مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ

(1) رواه مسلم: 1/ 517، حديث رقم: (749).

(2) رواه أحمد في مسنده: 6/ 90، حديث رقم: (3603)، وحسَّنه شعيب الأرنؤوط.

أَنَامَ عَلَىٰ هَذَا، فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ وَاسْتَغْفَرْتُ وَمَا قُلْتُ هَذَا لِأُزَكِّي نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَعْمَلَ بِهِ بَعْضُكُمْ»(1).



(1) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي: 1/ 167.

الفَصْلُ السَّادِسُ: أعْمَالُ وَقْتِ التَّهيُّؤِ لِلنَّوْمِ

۞ أولًا: التَهَيُّؤُ للنَّوْمِ

وإذا قَسمَ اللهُ تَعَالىٰ لَكَ طُعْمةَ العشاءِ؛ فَكُلْ دُونَ الشَّبَعِ، وَإِنْ جاهَدْتَ نَفْسَكَ، وتركْتَ العَشاءَ؛ فَهُوَ أَنْشَطُ لِعبادَتِك، وَأَخفُّ لِبَدَنِكَ، وأيْقَظُ لِقَلْبِكَ؛ فإنَّ مَنْ أكلَ كثيرًا؛ شَرِبَ كثيرًا، ونامَ كثيرًا، وَثَقُلَتْ عليهِ الطاعةُ، حتىٰ لَوْ رُزِقَ قيامَ الليلِ، قامَ مُثْقَلًا، تَشْغَلُهُ ثِقْلَةُ بطنِهِ عَنْ خشوعِهِ وحضورِ قَلْبِهِ.

وإِذَا أَرَدْتَ خَلْعِ ثِيَابِكَ بالكُلِّيَّةِ عِنْدَ تَبْدِيلَ ثِيَابِكَ، أَوْ عِنْدَ دُخُولِ خَلَائِكَ، أَوْ عِنْدَ غُسْلِكَ؛ فاذْكُرِ اللهَ تَعَالَىٰ، وَقُلْ: (بِسْمِ اللهِ) عِنْدَ نَزْعِ ثِيَابِكَ؛ تَكُنْ سِتْرًا لَكَ عَنْ أَعْيُنِ الجِنِّ؛ فَتَعْمَىٰ أَبْصَارُهُمْ عَنْكَ؛ ولَا يَطَّلِعُونَ عَلَىٰ عَوْرَتِكَ؛ فَإِنَّ مَعَكَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكَ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سِتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ، وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ، إِذَا وَضَعُوا ثِيَابَهُمْ؛ أَنْ يَقُولُوا: بِسْمِ اللهِ»[1].

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط: 3/ 67، حديث رقم: (2504)، وصحَّحه الألباني.

۞ ثانيًا: التَّوَضُّؤُ للنَّوْمِ

فإذا أردتَ النومَ فتوضأْ وضوءَكَ للصلاةِ، فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ بَاتَ طَاهِرًا؛ بَاتَ فِي شِعَارِهِ[1] مَلَكٌ لَا يَسْتَيْقِظُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٌ؛ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا»[2]. واحْتَسِبْ نَوْمَتَكَ، كَمَا تَحْتَسِبُ قَوْمَتَكَ، وَانْوِ بِنَوْمِكَ الاسْتِرَاحَةَ مِنْ كَدِّ النَّهَارِ، والتَّقَوِّي عَلَىٰ قِيَامِ اللَّيْلِ؛ لِمُواصَلَةِ السَّيْرِ إِلَىٰ اللهِ تعالَىٰ بَعْدُ.

۞ ثالثًا: الأَخْذُ بِأَسْبَابِ قِيَامِ اللَّيْلِ

وَخُذْ بأسبابِ القيامِ مِنَ الليلِ، لا سِيَّما ثُلُثَهُ الأخيرَ؛ احْسِبْ ساعاتِ الليلِ مِنْ صلاةِ العشاءِ إلىٰ صلاةِ الفَجْرِ، ثم قَسِّمِ الليلَ ثلاثةَ أثلاثٍ، وَاحْسِبْ لِكُلِّ ثُلُثٍ ساعَتَهُ، ثم اضْبِطْ ساعةَ مُنَبِّهِكَ علىٰ ثُلُثِ الليلِ الآخِرِ؛ فيكونُ حَظُّكَ مِنَ الليلِ الثُّلُثَ، فَإِنْ كانَ عندَكَ وُسْعٌ وزيادةُ طاقةٍ لأكثَرَ مِنَ الثُّلُثِ؛ فَقُمْ نِصْفَهُ، فَإِنْ أَعْيَاكَ طُولُ الاشتغالِ بالنهارِ، وَقِصَرُ

---

(1) شِعَارُهُ: ثَوْبُهُ الَّذِي يَلِي جَسَدَهُ، انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي: 2/ 116.

(2) رواه ابن حبَّان في صحيحه: 3/ 328، حديث رقم: (1051)، وقال الألباني: «حسن صحيح».

الليلِ، أو سَهَرُكَ في أَمْرٍ مِنْ أمورِ الدِّينِ؛ فلا أَقَلَّ مِنْ ساعةٍ في آخِرِ الليلِ، تكونُ حَظَّكَ مِنْ رَبِّكَ.

وَتَوَجَّهْ إِلَىٰ ربِّكَ، واسأَلْهُ أَنْ يُوقِظَكَ مِنَ الليلِ، ويجعلَكَ مِمَّن يَتَجَلَّىٰ لهم؛ فإِنَّهُ مَا وُفِّقَ أَحَدٌ لقيامِ الليلِ، ولِسَائِرِ العِبَادَاتِ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ، وما حُرِمَ مَنْ حُرِمَ إلا بِخِذْلَانِ اللهِ تَعالَىٰ لَهُ.

فإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، وأَخَذْتَ بِأَسْبَابِ قِيامِ اللَّيْلِ؛ وَفَّقَكَ اللهُ تَعَالَىٰ لِقِيامِهِ.

۞ رابعًا: الاسْتِعْدادُ للمَوْتِ

وَابْسُطْ فراشَكَ مستقبلًا القبلةَ، وَنَمْ علىٰ يمينِكَ كما يَضْطَجِعُ الميتُ في لَحْدِهِ. واعلمْ أنَّ النَّوْمَ أَخُو المَوْتِ، واليقظةَ مِثْلُ النُّشُورِ، فَكُنْ مُستعدًا للقائِهِ، بِأَنْ تنامَ علىٰ طهارةٍ، وتكونَ وصيتُكَ مَكْتُوبةً تَحْتَ رَأْسِكَ، وتَنَامَ تَائِبًا مِنَ الذُّنُوبِ، مُسْتَغْفِرًا، عَازِمًا عَلىٰ أَلَّا تَعُودَ إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ.

وَسَامِحْ جَمِيعَ المُسْلِمِينَ قَبْلَ نَوْمِكَ، واسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَاعْزِمْ عَلَىٰ الخَيْرِ لِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ؛ إِنْ بَعَثَكَ اللهُ تعالَىٰ، وَتَذَكَّرْ أَنّكَ سَتُضْجَعُ في قبرِكَ ولَحْدِكَ وَحيدًا فريدًا، لَيْسَ مَعَكَ إِلَّا عَمَلُكَ، ولا تُجْزَىٰ إِلّا بِسَعْيِكَ.

وَأَعِدَّ عِنْدَ النومِ سِواكَكَ وطَهُورَكَ، واعْزِمْ علَىٰ قيامِ الليلِ، فركعتانِ في جَوْفِ الليلِ كَنْزٌ مِنَ كنوزِ البِرِّ؛ فَاسْتَكْثِرْ مِنْ كنوزِكَ لِيَوْمِ فَقْرِكَ، فَلَنْ تُغْنِيَ عنكَ كُنُوزُ الدُّنْيا يَوْمَ مَوْتِكَ.

۞ خامسًا: أذكارُ النَّوْمِ

فَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَضَعْ يدَكَ عَلَىٰ خدِّكَ، كَمَا يَفْعَلُ الفَقِيرُ الكَسِيرُ، وَائْتِ بِأَذْكَارِ النَّوْمِ الوَارِدَةِ فِي السُّنَّةِ، وَهِيَ كَثِيرةٌ، فَائْتِ مِنْهَا مَا تَيَسَّرَ، وما تَقْدِرُ عليهِ مِنْ قراءةِ سُورَةِ الإخلاصِ والمُعَوِّذَتَيْنِ ثلاثًا، ثُمَّ تَمْسَحُ بِهَا رَأْسَكَ وَوَجْهَكَ وجَسَدَكَ ثلاثًا[1].

وَتَقْرأُ آيَةَ الكُرْسِيِّ، فَمَنْ قَرَأَهَا حِينَ يَأْوِي إِلَىٰ فِرَاشِهِ؛ فَإِنَّه لَا يَزَالُ عَلَيْه مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ حافِظٌ، ولا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ يُصْبِحَ[2].

وَلْتَقْرَأِ الآيَتَيْنِ: الآيَتَيْنِ، خَواتِيمَ سُورَةِ البَقَرةِ، فَمَنْ قرأهما في ليلةٍ كَفَتَاهُ، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ؛ كَفَتَاهُ»[3].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: 4/ 1916، حديث رقم: (4729).

(2) رواه البخاري في صحيحه: 2/ 812، حديث رقم: (2187).

(3) رواه البخاري في صحيحه: 5/ 84، حديث رقم: (4008).

وَمَعْنَىٰ كَفَتَاهُ: دَفَعَتَا عَنْ قَارِئِهَا شَرَّ الجِنِّ والإِنْسِ، وَكُلَّ سُوءٍ، أَوْ أَغْنَتَاهُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، أَوْ كَفَتَاهُ عَنْ سَائِرِ الْأَوْرَادِ، أو أَنَّهُمَا كَفَتَاهُ عَنْ تَجْدِيدِ الْإِيمَانِ[1].

وَلْتَقْرَأْ سورةَ المُلْكِ، فإنها المُنَجِّيَةُ مِنْ عذابِ القبرِ[2].

وتسبح ثلاثًا وثلاثين، وتحمد ثلاثًا وثلاثين، وتُكَبِّرُ أربعًا وثلاثين، فإنها قوةٌ علىٰ عَمَلِ النهارِ، وخيرٌ لَكَ مِنْ خادمٍ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، وَشَكَتِ الْعَمَلَ، فَقَالَ: «مَا أَلْفَيْتِيهِ عِنْدَنَا[3]» قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكِ عَلَىٰ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ؟

(1) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقَسْطَلَّانِيِّ: 6/ 269، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 4/ 1465.

(2) رواه الترمذي في سننه: 5/ 164، حديث رقم: (2890)، وقال: «حديث حسن غريب».

(3) أَيْ: لا يوجَدُ خادِمٌ نَخُصُّكِ بِهِ، انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري: 8/ 12.

تُسَبِّحِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكِ»[1].

ثُمَّ تَقُولُ: «بِسْمِ اللهِ وَضَعْتُ جَنْبِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَخْسِئْ شَيْطَانِي، وَفُكَّ رِهَانِي، وَاجْعَلْنِي فِي النَّدِيِّ الأَعْلَىٰ»[2].

وَقُل: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ فِي لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ أَجْرًا»[3].

وَقُل: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ

---

(1) رواه مسلم: 4/ 2092، حديث رقم: (2728).

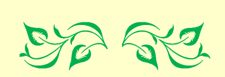
(2) رواه أبو داود: 2/ 733، حديث رقم: (5054)، وصحَّحه الألباني.

(3) رواه البخاري في صحيحه: 5/ 2326، حديث رقم: (5954)، ومسلم: 4/ 2081، حديث رقم: (2710).

فَوْقَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ؛ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»[1].

وَقُل: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ؛ فَمَنْ قَالَهَا حِينَ يَأْوِي إِلَىٰ فِرَاشِهِ؛ غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ أَوْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[2]. ولَكَ أَنْ تَزِيدَ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَوْرَادِ النَّوْمِ الثَّابِتَةِ.

فَلا تَـزَالُ تَذْكُرُ اللهَ تَعَالَىٰ علَىٰ فِرَاشِكَ؛ حَتَّىٰ يَغْلِبَكَ النَّوْمُ، وأَنْتَ تَذْكُرُ اللهَ تَعَالَىٰ، فَهَذَا المَنَامُ عِبَادَةٌ، وزِيَادَةٌ لَكَ فِي قُرْبِكَ مِنَ اللهِ ﷻ.



(1) رواه مسلم: 4/ 2084، حديث رقم: (2713).

(2) رواه ابن حبان في صحيحه: 12/ 338، حديث رقم: (5528)، وصحَّحه الألباني.

الفَصْلُ السَّابِعُ: أعمَالُ وَقْتِ قِيامِ اللَّيْلِ

۞ أولًا: فَضْلُ قِيامِ اللَّيْلِ

خيرُ مَا تَنفَّل بِهِ المُتَنَفِّلونَ، وأَرْجَىٰ مَا تَحبَّبَ بِهِ المُتَحَبِّبُونَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ مِنَ الصَّلَاةِ، صلاةُ الليلِ، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ؛ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»[1]. فَإِذا أرادَ العبدُ أن يُدَوَّنَ اسْمُهُ فِي ديوانِ الصالِحينَ؛ فعليهِ بقيامِ اللَّيْلِ، يَجْعَلُهُ عادَتَه ودَأْبَه وَوِرْدَه منْ كلِّ ليلةٍ؛ فَفِي الحَدِيثِ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلْإِثْمِ»[2]. وإذا أراد شرفًا وعِزًّا مِنْ غيرِ مالٍ ولا عَشِيرَةٍ ولا رُتْبَةٍ ورِئَاسَةٍ؛ فعليهِ بِقِيَامِ الليلِ، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «واعلمْ أنَّ شَرَفَ المؤمنِ قيامُ الليلِ، وعِزُّهُ استغناؤُه عنِ الناسِ»[3].

وَأَهْلُ الليلِ هُمْ أهلُ المَحبَّةِ والصَّفاءِ، يُحِبُّهُمُ اللهُ تعالَىٰ، ويَضْحَكُ إليهِمْ، ويَسْتَبْشِرُ بِهِمْ، فَفِي الحَدِيثِ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، ويَضْحَكُ

---

(1) رواه مسلم: 2/ 821، رقم: (1163).

(2) رواه الترمذي في سننه: 5/ 444، رقم: (3549)، وحسَّنه الألباني.

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط: 4/ 306، رقم: (4278)، وحسَّنه الألباني.

إِلَيْهِمْ، وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ... وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسْنَاءُ وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَذَرُ شَهْوَتَهُ، فَيَذْكُرُنِي، وَيُنَاجِينِي، وَلَوْ شَاءَ لَرَقَدَ...»(1).

وأَهْلُ الليلِ هُمْ أَهْلُ القُرْبِ مِنَ اللهِ تعالَىٰ، فَإِذَا كانَ القُرْبُ؛ كانَتِ المَحَبَّةُ والكَرَامَةُ والحظْوَةُ، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ؛ فَكُنْ»(2).

ولَقَدْ خَصَّ رَسولُ اللهِ ﷺ أَهْلَ اللَّيْلِ: رِجالًا ونِساءً بالدُّعاءِ لَهُمْ بالرَّحْمَةِ، فَمَنْ كانَ مِنْ أهْلِ اللَّيْلِ؛ يُحْيِيهِ بالصَّلاةِ والدُّعاءِ والذِّكْرِ والاسْتِغفارِ؛ أَصَابَتْهُ دعوَةُ رسولِ اللهِ ﷺ، فَدَعْوَتُهُ ﷺ لا تُرَدُّ؛ فَهُوَ الكَرِيمُ علَىٰ رَبِّهِ تَعالَىٰ، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا؛ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّىٰ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ؛ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ

---

(1) رواه البيهقي في الأسماء والصفات: 2/ 407، رقم: (983)، وحسَّنه الألباني.

(2) رواه الترمذي في سننه: 5/ 569، رقم: (3579)، وابن خزيمة في صحيحه: 2/ 182، رقم: (1147)، وصحَّحه الألباني.

اللهُ امْرَأَةً؛ قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَىٰ؛ نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»[1].

۞ ثَانِيًا: حَالُ العَبْدِ المُحِبِّ للهِ تَعَالَى فِي قِيَامِ لَيْلِهِ[2]

فَمَنْ كانَ نومُهُ بِنِيَّةِ الطَّاعَةِ، وَبَعْدَ يَوْمٍ مَشْحُونٍ بِالطَّاعَةِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا اسْتَيْقَظَ القَلْبُ مِنْ منامِهِ صعدَ إلىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِهَمِّهِ وَحُبِّهِ وأشواقِهِ، مُشْتاقًا إليهِ، طَالبًا لَهُ، مُحتاجًا إِلَيْهِ، عَاكفًا عَلَيْهِ، فحالُهُ كَحَالِ المُحِبِّ الذِىٰ غَابَ عَنْ مَحبُوبِهِ الذِي لا غِنَىٰ لَهُ عَنْهُ، ولابُدَّ لَهُ مِنْهُ، وضَرُورَتُهُ إِلَيْهِ أعظمُ مِنْ ضرورتِهِ إلىٰ النَّفَسِ والطعامِ والشرابِ، فَإِذا نَامَ غَابَ عَنْهُ، فَإِذَا استيقظَ عادَ إِلَىٰ الحَنِينِ إليهِ، وإِلىٰ الشَّوْقِ الشَّديدِ والحُبِّ الوَدُودِ، فحبيبُهُ آخِرُ خَطَرَاتِهِ عند منامِهِ، وَأَوَّلُها عندَ استيقاظِهِ، كما قال بعضُ المُحِبِّينَ لمحبوبِهِ:

وآخِرُ شَيْءٍ أَنْتَ فِي كُلِّ هَجْعَةٍ[1] * وأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتَ عِنْدَ هُبُوبِي**

---

(1) رواه أبو داود: 2/ 33، رقم: (1308)، وصحَّحه الألباني.

(2) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ إِلْكترونيٌّ بعنوان: (قِيَامُ لَيْلِ المُحِبِّينَ لِرَبِّ العَالَمِينَ، مَشَاهِدُ وأَحْوالٌ).

۞ ثالثًا: أذكارُ قِيامِ اللَّيْلِ

فإذا استيقظْتَ، فَأَوَّلُ ما يَجْرِي علَىٰ لسانِكَ ذِكْرُ محبوبِكَ والتوجهُ إِليه، واسْتعطافُهُ، والتَّمَلُّقُ[2] بينَ يديهِ، والاستعانةُ بهِ؛ أَنْ لا يُخلِّيَ بينَكَ وبينَ نَفْسِكَ، وأَنْ لا يَكِلَكَ إليها، فَيَكِلَكَ إلىٰ ضَعَةٍ[3] وعَجْزٍ وذَنْبٍ وخَطيئةٍ، بل يَكْلَأُكَ[4] كِلَاءَةَ الوليدِ الذي لا يَمْلِكُ لنفسِهِ ضرًّا ولا نَفْعًا، ولا مَوْتًا ولا حياةً ولا نُشُورًا، فَأَوَّلُ ما تَبْدَأُ به: «الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[5]، مُتَدَبِّرًا لِمَعْنَاها مِنْ ذِكْرِ نِعْمةِ اللهِ تَعَالَىٰ

---

(1) الهَجْعَة: النوم، انظرْ: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان: 10/ 6872.

(2) التَّمَلُّقُ: التَّوَدُّدُ الشديدُ والتَّذَلُّلُ. وفي التملق نوع تَوَدُّدٍ من المُحِبّ إلىٰ المحبوب فلابد أن يجري بينهما أسرار، انظرْ: شمس العلوم، لنشوان: 9/ 6383، ومجمع بحار الأنوار، للكجراتي: 5/ 627.

(3) الضَّعِةُ: الذُّلُّ والهَوَانُ والدَّناءَةُ، والوضيع: الذليل الذي لا قيمةَ له، انظرْ: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 3/ 89.

(4) يَكْلَأُكَ: يحرسك ويحفظك ويرعاك ويتعهدك، انظر: لسان العرب، لابن منظور: 1/ 146.

(5) رواه البخاري في صحيحه: 8/ 69، حديث رقم: (6312).

عَلَيْكَ بِأَنْ أَحْيَاكَ بعدَ نَوْمِكَ الذِي هُوَ أَخُو المَوْتِ، وأعادَكَ إلىٰ حالِكَ سَوِيًّا سَلِيمًا مَحْفُوظًا، مِمَّا لا تَعْلَمُهُ ولا يَخْطُرُ بِبالِكَ مِنَ المُؤْذِيَاتِ[1].

فإذا تدبرْتَ ذلكَ، فَقُلِ: «الْحَمْدُ للهِ»، يَكُنُ حمدُكَ أَبلغَ وأَكملَ مِنْ حَمْدِ الغافِلِ عَنْ ذَلِكَ، ثُمَّ تفكّرْ في أَنّ الذي أَعادَكَ بعدَ هذهِ الإِمَاتةِ حَيًّا سليمًا قادرٌ عَلَىٰ أَنْ يُعِيدَكَ بعدَ مَوْتَتِكَ الكبرىٰ حَيًّا كما كنتَ، ولهذا تقولُ بعدها: «وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

ثُمَّ تَقُولُ: «لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَالْحَمْدُ للهِ، وسُبْحَانَ اللهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ، وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ». فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ تَعَارَّ[2] مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّىٰ؛ قُبِلَتْ صَلاتُهُ»[3]. ثُمَّ تَدْعُو، وتَتَضَرَّعُ، ثُمَّ تَقُومُ إِلَىٰ الوُضُوءِ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ.

---

(1) انظر ما سبق: طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية: 1/ 209.

(2) تَعَارَّ: انْتبَهَ مِنْ نومِهِ، وقَدْ جَرَىٰ علىٰ لسانِه هذا الدُّعَاءَ مُوافِقًا لانْتِبَاهِهِ، فالتَّعارُّ لَا يكونُ إِلَّا يقظةً مَعَ كَلَامٍ، انظر: شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي: 1/ 276.

(3) رواه البخاري في صحيحه: 1/ 387، حديث رقم: (1103).

۞ رابعًا: أدعيةُ استفتاحِ صلاةِ الليلِ

ثمَّ تَسْتَفْتِحُ صَلَاتَكَ بِاللَّيْلِ، وَتَدْعُو بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ أدعيةِ الاستفتاحِ الثَّابِتَةِ، وَمِنْهَا:

1- «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي ما قدمت وأخرت، وأسررت وأعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، أَنْتَ إِلَهِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أنت»(1).

2- ومنها: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد: 1/ 242، حديث رقم: (697)، وصحَّحه الألباني.

يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[1].

3- ومنها: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لَّا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[2].

---

(1) رواه مسلم: 1/ 534، حديث رقم: (770).

(2) رواه مسلم: 1/ 534، حديث رقم: (771).

4- ومنها: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْت بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ، كَمَا يُنَقَّىٰ الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ»[1].

5- ومنها: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ». ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا». ثَلَاثًا، «أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ». ثُمَّ يَقْرَأُ[2].

وَلْتَحْرِصْ علىٰ اسْتِفْتَاحِ صَلاتِكَ بِأَحَدِ هَذِهِ الأدعيةِ، أو بغيرِها مِمَّا صَحَّ، والأفضلُ أنْ تُنَوِّعَ، فتدعوَ فِي كُلِّ صلاةٍ بدعاءٍ جديدٍ؛ فَإِنَّ لهذهِ الأدعيةِ أَثَرًا عجيبًا فِي اسْتِحْضَارِ الخُشُوعِ، بِمَا فِيها مِنْ خروجٍ مِنَ الدنيا، ودُخُولٍ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بما يُحِبُّ مِنْ ذِكْرٍ، وتَعْظِيمٍ، واسْتِغْفَارٍ، ودُعَاءٍ.

---

(1) رواه البخاري: 1/ 259، حديث رقم: (711)، ومسلم: 1/ 419، حديث رقم: (598).

(2) رواه أبو داود: 1/ 265، حديث رقم: (775)، وصحَّحه الألباني.

خامسًا: صِفَةُ صلاةِ الليلِ

ثُمَّ تُصَلِّي ما كَتَبَ اللهُ لَكَ أَنْ تُصَلِّيَ، صلاةَ مُحِبٍّ ناصحٍ[1] لِمحبوبِهِ، مُتَذَلِّلٍ مُنكسِرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، لَا صَلَاةَ مُدِلٍّ[2] بِهَا عَلَيْهِ؛ يَرَىٰ مِنْ أَعظمِ نِعَمِ محبوبِهِ عليْهِ أَنْ أَقامَهَ وأَنامَ غَيْرَهُ، واستزارَهُ[3] وَطَرَدَ غيرَهُ، وأَهَّلَهُ[4] وَحَرَمَ غَيْرَهُ، فهو يزدادُ بذلِكَ محبةً إلىٰ محبتِهِ، ويرىٰ أَنَّ قُرَّةَ عَيْنِهِ، وحياةَ قلبِهِ، وجَنَّةَ رُوحِهِ، ونعيمَهُ، ولذتَهُ، وسرورَهُ، في تلكَ الصَّلاةِ، فَهُوَ يتمنّىٰ طُولَ ليلِهِ، وَيَهْتَمُّ بطلوعِ الفجرِ، كما يتمنَّىٰ المُحِبُّ الفائزُ بوصولِ محبوبِهِ ذلك؛ فَهُوَ يتملّقُ فيها مَوْلَاهُ تَمَلُّقَ المُحِبِّ لمحبوبِهِ، العزيزِ الرحيمِ، ويناجِيهِ بكلامِهِ مُعْطِيًا لِكُلِّ آيةٍ حَظَّهَا مِنَ العبوديةِ، فَتَجْذِبُ قلبَهُ وروحَه إليهِ آياتُ المَحَبَّةِ والوِدَادِ، والآياتُ التي فيها الأَسماءُ والصفاتُ،

---

(1) النُّصْحُ في العِبَادَةِ يقتضِي أمرينِ: الأوَّلِ: إخلاصُ النِّيَّةِ، الثاني: إتقانُ العِبَادَةِ وإِحْسَانُها عَلَىٰ أَكْمَلِ الوُجُوهِ.

(2) المُدِلُّ: المُمْتَنُّ بِعِبَادَتِهِ، يعني تَمُنُّ بِعَمَلِكَ الذِي لا يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ إلَّا للهِ تعالَىٰ، وتَرَىٰ لِنَفْسِكَ فيهِ فَضْلًا، انظرْ: تهذيب اللغة، لأبي منصور: 14/ 48.

(3) أَيْ: أَذِنَ لَهُ بِزِيَارَتِهِ دُونَ غَيْرِهِ من المَطْرُودِينَ عَنْ بَابِهِ.

(4) أَيْ: اخْتَارَهُ، وَجَعَلَهُ مُؤَهَّلًا لِقِيامِ اللَّيْلِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ المَحْرُومِينَ.

والآياتُ التي تَعَرَّفَ بها اللهُ ﷻ إلَىٰ عبادِهِ بآلائِهِ وإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ، وإِحسانِهِ إِلَيْهِمْ، وتُطَيِّبُ لَهُ السَّيْرَ آيَاتُ الرَّجاءِ والرَّحْمةِ وَسَعَةِ البِرِّ والمَغْفِرَةِ؛ فتكونُ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الحَادِي[1] الذِي يُطَيِّبُ لَهُ السَّيْرَ، ويُهَوِّنُهُ عَلَيْهِ، وتُقْلِقُهُ آياتُ الخَوْفِ والعَدْلِ والانْتِقَامِ، وإِحْلالِ غَضَبِهِ بالمُعْرِضِينَ عَنْهُ، العادِلِينَ به غيرَهُ[2]، المَائلينَ إلىٰ سِوَاهُ، فَيَجْمَعُهُ عليهِ ويمنعُهُ أَنْ يَشْرُدَ قلبُهُ عنه؛ فَتَأَمَّلْ هذهِ الثلاثَةَ، وَتَفَقَّهْ فيها، وَاللهُ المُسْتَعَانُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ[3].

فَتَشْهَدُ نُزُولَ المَلِكِ الجليلِ -سُبْحَانَهُ- في ثُلُثِ الليلِ الآخِرِ، لِتقسيمِ الهِبَاتِ، ومغفرةِ الزَّلَّاتِ، والتَّفَضُّلِ علَىٰ العِبَادِ، يَجْبُرُ كَسيرًا، ويَرحمُ ضعيفًا، وَيَشْفِي مريضًا، وَيَفُكُّ أسيرًا، وَيُغْنِي فقيرًا، وَيُسْعِدُ شَقِيًّا، وَيَهْدِي عِبادًا، وَيَنْصُرُ عِبادًا، وَيَعزّ أقوامًا، ويرفَعُ أقوامًا. يُنادِي علَىٰ أحبابِهِ مِنْ

(1) الحَادِي: السَّائِقُ الخَبِيرُ بالطَّرِيقِ، الذِي يُغَنِّي للرَّكْبِ ويُنْشِدُهُمْ؛ لِيُخَفِّفَ عَنْهُمْ بُعْدَ الطَّرِيق، ويُنَشِّطُهُمْ علىٰ المَسِير، انظرْ: لسان العرب، لابن منظور: 14/ 168.

(2) أي: الذين يُشْرِكُونَ ويُسَوُّونَ به غيرَهُ في العبادة، انظرْ: لسان العرب، لابن منظور: 11/ 432.

(3) انظر ما سبق: طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية: 1/ 211.

أهلِ الليلِ، فيَقولُ: «أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنِ الَّذِي يَدْعُونِي؛ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنِ الَّذِي يَسْأَلُنِي؛ فَأُعْطِيَهُ؟ مَنِ الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي؛ فَأَغْفِرَ لَهُ؟»[1]، فتُجَاوِبُ الربّ تَبَارَك وتعالَىٰ، رافعًا إليهِ قَائِمَةَ حوائِجِك، وقدْ أَعْدَدْتَهَا قَبْلَ منامِكَ، سائلًا إيَّاهُ سؤالَ عَبْدٍ فقيرٍ مِسْكينٍ كَسِيرٍ، قدْ أَلْجَأَتْهُ الحاجةُ إلَىٰ مَدِّ اليَدِ والسُّؤالِ.

ويَحْسُنُ أنْ تُحَافِظَ علَىٰ وِرْدٍ مَعْلُومٍ مِنْ قِيامِ اللَّيْلِ، لا تُخِلُّ بِهِ صَيْفًا ولا شِتاءً، كَأَنْ تَقُومَ كُلَّ ليلةٍ بِمِائَةِ آيةٍ مِنْ كتابِ اللهِ تَعالَىٰ، تَكُنْ بِهَا مِنَ القَانِتِينَ، وَإِنْ قَرَأْتَ بِأَلْفٍ؛ كَانَ فَضْلُ اللهِ تَعالَىٰ عَلَيْكَ كَبِيرًا؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ؛ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ؛ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ[2]»[3].

---

(1) رواه مسلم: 1/ 522، حديث رقم: (758).

(2) الْمُقَنْطِرُونَ: الْمُكْثِرُونَ مِنَ الْأَجْرِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقَنَاطِيرِ، وَهُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ الذِي لَا حَدَّ لِكَثْرَتِهِ، يَعْنِي مِنَ الَّذِينَ بَلَغُوا فِي حِيَازَةِ الْمَثُوبَاتِ مَبْلَغَ الْمُقَنْطِرِينَ فِي حِيَازَةِ الْأَمْوَالِ، انظرْ: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 3/ 910.

(3) رواه أبو داود: 2/ 57، حديث رقم: (1398)، وصحَّحه الألباني.

* والقَانِتُونَ: هُمُ المُطِيعونَ، العَابِدُونَ، الخَاشِعُونَ، المُصَلُّونَ، الدَّاعُونَ، المُسْتَغْفِرُونَ، المُفْتَقِرُونَ، القَائِمُونَ بِأَمْرِ اللهِ تَعالَىٰ[1]، ولَقَدِ امْتَدَحَ اللهُ تَعَالَىٰ القَانِتِينَ أَيَّمَا امْتِدَاحٍ بقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[2].

تَبْدَأُ المُصْحَفَ مِنَ الفَاتِحَةِ إِلَىٰ النَّاسِ، تَقْرَأُهُ مُرَتَّبًا؛ حتَّىٰ تَخْتِمَهُ قِيَامًا، ثُمَّ تَعُودُ لِخِتْمَةٍ أُخْرَىٰ، وهَكَذَا دَهْرَكَ. وإِنْ لَمْ تَكُنْ حَافِظًا لِكِتَابِ اللهِ تَعالَىٰ؛ فَلَكَ أَنْ تُصَلِّيَ وتَقْرَأَ مِن مُصْحَفٍ مَفْتُوحٍ، فَهُوَ مَشْرُوعٌ، وإِنْ أَعْيَاكَ المَرَضُ أو الكِبَرُ، فَلَكَ أَنْ تُصَلِّيَ قاعِدًا، وإِنْ ضَاقَ عَلَيْكَ وقْتُ الليلِ فِي ليلةٍ لِسَبَبٍ أو عُذْرٍ، تقرأ من السُّوَرِ ذواتِ الآياتِ القِصَارِ؛ حتىٰ تُحْرِزَ المِائَةَ آيَةٍ؛ فَتُكْتَبَ فِي القَانِتِينَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ.

---

(1) انظرْ: شرح أبي داود، للعيني: 5/ 303.

(2) الزمر: 9.

۞ سادسًا: بعد الصلاةِ استغفارٌ

فإذا صليتَ ما كَتَبَ اللهُ تَعَالَىٰ لَكَ، وَشَهِدْتَ نُزولَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَاجْلِسْ مُطْرِقًا[1] بينَ يَدَيْ رَبِّكَ تعالَىٰ هَيْبَةً لَهُ وَإِجْلَالًا، وَاسْتَغْفِرْهُ استغفارَ مَنْ أَسْلَفَ في ليلِهِ الجرائمَ والمَعَاصِيَ، استغفارَ مَنْ قَدْ تَيَقَّنَ أَنَّهُ هالِكٌ؛ إِنْ لَمْ يَغْفِرْ له ويرحَمْهُ؛ فَيَجْتَهِدُ في الاستغفارِ، اجتهادَهُ في الصَّلَاةِ[2].

۞ سابعًا: المُدَاوَمَةُ عَلَى قيامِ الليلِ فِعْلُ النَّبِيِّينَ والصَّالِحِينَ

وَلْتَكُنْ هذهِ عادَتَكَ مِنْ كلِّ ليلةٍ، تُدَاوِمُ عليها إِلَىٰ أَنْ تَلْقَىٰ ربَّك ﷻ؛ فإنَّ أَحَبَّ العملِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ أَدْوَمُهُ، وَأَثْبَتُهُ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا صَلَّىٰ صَلَاةً أَثْبَتَهَا، وَكَانَ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَيْهِ أَدْوَمَهُ»[3]، وعَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ

---

(1) مُطْرِقًا: نَكَّسَ رَأْسَهُ، وأَرْخَىٰ عَيْنَيْهِ يَنْظُرُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، انظر: مختار الصحاح، للرازي: 1/ 190.

(2) انظر ما سبق: طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية: 1/ 211.

(3) رواه أحمد في مسنده: 40/ 151، حديث رقم: (24124)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ هَلْ كَانَ يَخُصُّ مِنَ الأَيَّامِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: «لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً»[1].

وإنْ فاتَتْكَ عادَتُك التي داوَمْتَ عليها فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي، كُتِبَ لك مَا نَوَيْتَ مِنْ عَمَلِ اللَّيْلِ، وكانَ نومُكَ عَلَيْكَ صَدَقَةً، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ أَتَىٰ فِرَاشَهُ، وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَىٰ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»[2].

والحَرِيصُ علَىٰ أَمْرِ آخِرَتِهِ؛ يستدركُ ما فاتهُ مِنَ اللَّيْلِ؛ فَيَتَحَيَّنُ وَقْتَ الضُّحَىٰ، فَيَعْمَلُ مَا فَاتَهُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّيْلِ فِيهِ، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: 3/ 42، حديث رقم: (1987)، ومسلم: 1/ 541، حديث رقم: (217).

(2) رواه النَّسائي في السنن الكبرىٰ: 3/ 258، حديث رقم: (1787)، وحسَّنه الألباني.

ﷺ قالَ: «مَنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنْ وِرْدِهِ -أَوْ قَالَ: مِنْ حِزْبِهِ[1]- مِنَ اللَّيْلِ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلاةِ الْفَجْرِ إِلَىٰ الظُّهْرِ، فَكَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنْ لَيْلَتِهِ»[2].

ثامنًا: إلَى الفَجْرِ مِنْ جَدِيدٍ

فإذا كانتْ صلاةُ الفجرِ اسْتَقْبِلْهَا نشيطًا بِجِدِّكِ وَهِمَّتِكَ، كأَنَّكَ لمْ تزَلْ طُولَ ليلتِكَ لَمْ تعملْ شيئًا، فترِيدُ أَنْ تستدركَ ما فاتَكَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ، فَتُصَليَ السُّنَّةَ، وتبْتَهِلَ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ بَيْنَهَا وبَيْنَ الفَرِيضَةِ، فإِنَّ لذلكَ الوقتِ شأْنًا يَعْرِفُهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَلْتُكْثِرْ فيهِ مِنْ قَوْل: «يَا حيُّ، يَا قَيُّوم، لا إِلَهَ إلا أَنْتَ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»، فلهذا الذِّكْرِ فِي هَذَا المَوْطِنِ تأثيرٌ عجيبٌ، قالَ ابنُ القَيِّمِ: «وَمِنْ تَجْرِيبَاتِ السَّالِكِينَ الَّتِي جَرَّبُوهَا فَأَلْفَوْهَا صَحِيحَةً أَنَّ مَنْ أَدْمَنَ: (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)؛ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ حَيَاةَ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ. وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ- شَدِيدَ اللَّهْجِ

---

(1) الحِزْبُ: الوِرْدُ والنَّصِيبُ، وهُوَ ما يَجْعَلُهُ الرَّجُلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قراءةٍ أَوْ صَلاةٍ أو عِبَادَةٍ، انظرْ: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 1/ 376، والتكملة والذيل والصلة، للصنعاني: 1/ 101.

(2) رواه أحمد في مسنده: 1/ 90344، حديث رقم: (220)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

بِهَا جِدًّا، وَقَالَ لِي يَوْمًا: لِهَذَيْنِ الاِسْمَيْنِ، وَهُمَا: (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ وَاظَبَ عَلَىٰ أَرْبَعِينَ مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ: (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ)؛ حَصَلَتْ لَهُ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَلَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ»[1].

ثُمَّ تَنْهَضُ إِلَىٰ صَلَاةِ الصُّبْحِ قَاصِدًا الصَّفَّ الأَوَّلَ، عَنْ يَمِينِ الإِمَامِ أو خَلْفَ قَفَاهُ، فَإِنْ فاتَكَ ذَلِكَ، فَاقْصِدِ القُرْبَ مِنْهُ مَهْمَا أَمْكَنَ؛ فَإِنَّ لِلْقُرْبِ مِنَ الإِمامِ تأثيرًا في سِرِّ الصَّلاةِ، وَلِهَذَا القُرْبِ تأْثِيرٌ فِي صَلاةِ الفَجْرِ خَاصَّةً، يَعْرِفُهُ مَنْ عَرَفَ قولَهُ تعالَىٰ: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾[2]. قِيلَ: يَشْهَدُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وملائِكتُهُ، وَقِيلَ: يَشْهدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ ومَلَائِكَةُ النَّهارِ، فَيَتَّفِقُ نُزُولُ هَؤُلاءِ البَدَلِ عندَ صُعُودِ أُولَئِكَ، فَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ؛ وذَلِكَ لِأَنَّها هِيَ أَوَّلُ دِيوانِ النَّهارِ، وآخِرُ دِيوانِ اللَّيْلِ؛ فَيَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ[3].

---

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 1/ 446.

(2) الإسراء: 78.

(3) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية: 1/ 212.

فَإِذا كَانَ اليَوْمُ الجَدِيدُ، فَارْجِعْ إِلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ بالأَمْسِ، وَدَاوِمْ علَىٰ هَذَا التَّرْتِيبِ بَقِيَّةَ عُمُرِكَ.

۞ تاسعًا: مُصَابَرَةُ النَّفْسِ عَلَى الطَّاعَةِ

فَإِنْ شَقَّتْ عليكَ المُدَاومةُ، فَاصْبرْ صَبْرَ المَرِيضِ عَلَىٰ مَرَارَةِ الدَّواءِ انْتِظارًا للشِّفَاءِ، وتَفَكَّرْ في قِصَرِ عُمُرِكَ، وإِنْ عِشْتَ مَثَلًا مائةَ سَنَةٍ فَهِيَ قَلِيلةٌ بالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَقَامِكَ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، وَهِي أَبَدُ الآبادِ. وَتَأَمَّلْ أَنَّكَ كيفَ تتَحَمَّلُ المَشَقَّةَ والذُّلَّ فِي طَلَبِ الدُّنْيا شَهْرًا أَوْ سنةً؛ رَجَاءَ أَنْ تَستَريحَ بِهَا سِنِينَ طَوِيلَةً، فَكَيْفَ لا تَتَحَمَّلُ أيامًا قلائِلَ تُكَابِدُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ رَجَاءَ الاسْتِرَاحةِ أَبَدَ الآبادِ!

ولا تُطَوِّلْ أَمَلَكَ؛ فَيَثْقُلَ عَلَيْكَ عَمَلُك، وقَرِّبِ الموتَ، وقُلْ فِي نَفْسِكَ: إِنِي أَتَحَمَّلُ المَشَقَّةَ اليومَ؛ فَلَعَلِّي أَمُوتُ اللَّيْلَةَ، وَلَعَلَّهَا آخِرُ لَيْلَةٍ أَعِيشُهَا، وَقُلْ لِنَفْسِكَ: يَا نَفْسُ، هَذِهِ اللَّيْلَةُ لَيْلَتُكِ، لا ليلةَ لَكِ سِوَاها؛ فَإِذَا كانَ النهارُ؛ تقولُ: يا نَفْسُ هذا النَّهَارُ نَهَارُكِ، لا نَهَارَ لكِ سِوَاهُ؛ فلعلَّكِ تَمُوتِينَ اليومَ؛ فَإِنَّ المَوْتَ لا يَهْجِمُ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ، وَحالٍ مَخْصُوصٍ، فَلابُدَّ مِنْ هُجُومِهِ يَوْمًا؛ فالاسْتِعْدَادُ لَهُ أَوْلَىٰ مِنَ الاسْتِعْدادِ للدُّنْيا، وأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لا تَبْقَىٰ فِيهَا إِلَّا مُدَّةً يَسِيرَةً، ولعلَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ

أَجَلِكَ إلّا يومٌ واحِدٌ، أو نَفَسٌ واحدٌ؛ فَقَدِّرْ هَذَا فِي قَلْبِكَ كُلَّ إقبالِ لَيْلٍ، وإقبالِ نَهَارٍ.

وكَلِّفْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ علَىٰ طاعةِ اللهِ تَعالىٰ، واسْتَدْرِجْها، وَسُقْهَا هَكَذا يَوْمًا فَيَوْمًا، فإنَّكَ لَوْ قَدَّرْتَ البقاءَ فِي الدُّنْيا خَمْسِينَ سنةً، وألزَمْتَها الصبرَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ تعالَىٰ خَمْسِينَ سَنَةً؛ نَفَرَتْ واسْتَعْصَتْ عليكَ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذلكَ وسُقْتَها إلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَرِحْتَ عندَ الموتِ فَرَحًا لا آخِرَ له. وَإِنْ سَوَّفْتَ، وتساهَلْتَ؛ جاءَكَ المَوْتُ فِي وَقْتٍ لا تَحْتَسِبُهُ، وتحسَّرْتَ تَحَسُّرًا لا آخِرَ لَهُ، فَإِنَّ ساعةَ موتِكَ قد حُسِمَتْ، ولحظةَ موتِكَ قد سُجِّلَتْ، ومَلَكَ الموتِ وأعوانَهُ الكرامَ يَنْتَظِرُونَ دَوْرَكَ، فَيَهْجِمُونَ عَلَيْكَ؛ إِنْفَاذًا لأمرِ اللهِ تعالَىٰ فِيكَ، وَإِنَّ الأَيَّامَ واللَّيَالِيَ يعملانِ كُلَّ لحظةٍ في هَدْمِ عمرِكَ، وإِنَّما أَنْتَ أَيَّامٌ، فَإِذَا ذَهَبَ يَوْمُكَ، فَقَدْ مَاتَ بعضُكَ، وأَنْتَ الآنَ تِسيرُ نَحوَ المَوْتِ لَحظَةً فَلَحْظَةً، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ الكِرامَ معكَ حَيْثُ كُنْتَ إِلَىٰ آخِرِ الأَنْفَاسِ، يُحْصُونَ عليكَ عَمَلَكَ كُلَّهُ: دَقِيقَهُ، وَجَلِيلَهُ؛ فاجتهدْ أنْ تعملَ في ليلِكَ ونهارِكَ أعمالًا تَسْعَدُ بِهَا يومَ موتِكَ،

وفِي قَبْرِكَ، ويومَ تلقَىٰ رَبَّكَ ﷻ، وعندَ الموتِ يأتيكَ الخبرُ اليقينُ، وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ[1].

۞ عاشرًا: حالاتُ العِبادَاتِ

فَمَا فَضُلَ مِنْ أوقاتِكَ علَىٰ ما سَلَفَ مِنْ ليلِكَ ونهارِكَ، فلكَ فيهِ أَرْبَعُ حالاتٍ:

الحالةُ الأُولَىٰ: وهِيَ الأَفْضَلُ، أنْ تَصْرِفَ وَقْتِكَ فِي طَلَبِ العِلْمِ النَّافِعِ في الدِّينِ والعَمَلِ بِهِ، دُونَ الفُضُولِ الذي أَكَبَّ الناسُ عليهِ وَسَمّوهُ عِلْمًا. والعلمُ النافِعُ هُوَ مَا يَزِيدُ فِي خَوفِكَ مِنَ اللهِ تعالَىٰ، ويَزِيدُ فِي بَصِيرتِكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ، ويَزِيدُ فِي مَعْرفتِكَ بعبادةِ رَبِّكَ ﷻ، ويُقَلِّلُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي الدُّنيا، ويَزِيدُ فِي رَغْبَتِكَ فِي الآخِرَةِ، وَيفتحُ بصيرتَكَ بآفاتِ أعمالِكَ حتَّىٰ تَحْتَرِزَ مِنْها، وَيُطْلِعُكَ علَىٰ مَكَائِدِ الشَّيْطانِ وَغُرُورِهِ.

الحالةُ الثانيةُ: أَلَّا تَقْدِرَ علىٰ تَحْصِيلِ العِلْمِ النَّافِعِ فِي الدِّينِ، فَلْتَشْتَغِلْ بَوَظَائِفِ العِبَادَاتِ مِنَ الذِّكْرِ والتَّسْبيحِ وَتِلَاوَةِ القُرْآنِ والصَّلَاةِ، فذلكَ مِنْ دَرَجَاتِ العَابِدِينَ، وسِيَرِ الصَّالِحِينَ، وتكونُ أيضًا بذلكَ مِنَ الفائزِينَ.

---

(1) انظر ما سبق: بداية الهداية، للغزالي: 1/ 44.

الحالةُ الثالثةُ: أَنْ تَشْتَغِلَ مِنَ الأعمالِ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ خيرٌ إِلَىٰ المُسْلِمِينَ، ويُدْخِلُ بِهِ سرورًا عَلَىٰ قُلُوبِ المؤمنِينَ، أَوْ تتيَسَّرُ بِهِ الأَعْمالُ الصَّالِحَةُ للصَّالِحِينَ، والسَّعْيُ في إطعامِ الفقراءِ والمساكِينِ، والتَّرَدُّدُ مثلًا علىٰ المَرْضَىٰ بالعِيَادةِ، وعلَىٰ الجَنَائِزِ بالتَّشْيِيعِ، وصِلَةِ الأرحامِ، والإصلاحِ بينَ المُتَخَاصِمِينَ؛ فَيَعُمُّ نَفْعُكَ المسلِمِينَ، تُعْطِيهِمْ، ولا تحتاجُ مِنْهُم إِلَىٰ عَطَاءٍ، تحملُ هُمُومَهم وأحزانَهم، وتَقْضِي حوائِجَهُمْ؛ ولا تَعْنِيهِم بِهُمُومِكَ وأَحْزَانِكَ وحَوائِجِكَ، فَإِنَّ مَنْ فَعَلَ ذلكَ؛ كانَ ذلكَ أفضلَ مِنَ النوافِلِ، فَإِنَّ هذه عباداتٌ وطاعاتٌ وقُرُباتٌ عَالِيَةُ الرُّتَبِ.

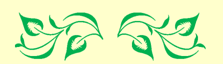
الحالةُ الرابعةُ: أَلَّا تَقْوَىٰ علىٰ ذلك، فإيَّاكَ أَنْ تشتغلَ -والعياذُ بِاللهِ- بما يَهْدِمُ دِينَكَ، أو تُؤْذِي عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ تعالَىٰ؛ فهذه رُتْبَةُ الهالِكِينَ؛ فإيَّاكَ أَنْ تكونَ في هذهِ الطبقةِ.

واشتغلْ بحاجاتِكَ اكتسابًا علَىٰ نفسِكَ، أو علىٰ عيالِكَ، وكُفَّ شَرَّكَ عَنِ الناسِ؛ فَإِنَّها لَكَ صَدَقَةٌ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ قَالَ: «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»[1]. فَتُصْبِحُ وتُمْسِي، وَقَدْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْكَ،

---

(1) رواه مسلم: 1/ 89، حديث رقم: (84).

وأَمِنُوا مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ، وسَلِمَ لكَ دِينُكَ، إذْ لَمْ تَرْتَكِبْ مَعْصِيَةً؛ فَتَنَالُ بِذَلكَ دَرَجَةَ أَصْحَابِ اليَمِينِ، إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ التَّرَقِّي إِلَىٰ مَقَامَاتِ السَّابِقِينَ؛ فَهَذَا أَقَلُّ الدَّرَجَاتِ فِي مَقَامَاتِ الدِّينِ[1].



(1) انظر: بداية الهداية، للغزالي: 1/ 39.

الفَصْلُ الثَّامِنُ: طَاعَاتٌ وَقُرُبَاتٌ غَيْرُ مُقَيَّدَةٍ بِوَقْتٍ

وَهَذِهِ عِبَادَاتٌ وطَاعَاتٌ وَقُرُبَاتٌ غَيْرُ مُقَيَّدَةٍ بِوَقْتٍ، بَلْ تَعُمُّ الأَوْقَاتِ كُلَّهَا، يَحْسُنُ الإِتْيَانُ بِهَا تَكَثُّرًا بِهَا مِنَ الخَيْرَاتِ، لَا سِيَّمَا فِي أَوْقَاتِ النَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ، كَأَوْقَاتِ مَا بَعْدَ الفَجْرِ إِلَىٰ شُرُوقِ الشَّمْسِ، ووقْتِ زَوَالِ الشَّمْسِ، قُبَيْلَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، ومَا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ:

۞ أولًا: عبادةُ تِلَاوةِ القُرْآنِ العَظِيمِ[1]

لِيَكُنْ لَكَ وِرْدُكَ اليوميُّ مِنَ القرآنِ الكريمِ، لا تُخِلُّ به أبدًا، تقرأُهُ بينَ الفجرِ وشُرُوقِ الشَّمْسِ، أو بينَ العَصْرِ وغروبِها، أَوْ بينَ الأَذَانِ والإِقَامَةِ لكُلِّ صَلاةٍ، مُدَّةَ انْتِظَارِكَ إِقَامَةَ الصَّلَاةَ، أَوْ فِي أَيِّ وَقْتٍ يَتَيَسَّرُ لكَ، وَلْتُحْضِرْ في قلبِكَ عظمةَ كلامِ اللهِ تعالَىٰ، وأَنَّهُ رَسَائِلُهُ أرسلَها إليكَ، وَلْتَقْرَأْ بِنيَّةِ العِلْمِ والعملِ، وَلْيَكُنْ لكَ ختمةٌ لكتابِ اللهِ كلَّ شهرٍ، فإِنْ وجدتَ في نفسِكَ نشاطًا وفي وقتِكَ سعةً؛ ففي عشرين يومًا، فإِنْ وجدْتَ نشاطًا؛ ففي أسبوعَيْنِ، فإِنْ وجدتَ نشاطًا؛ ففي أسبوعٍ، فإِنْ وجدتَ في نفسِكَ نشاطًا، وفي وقتِك سعةً؛ ففي ثلاثةِ أيامٍ، وَإِنْ فَتَرَتْ هِمَّتُكَ، أَوْ

---

(1) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ إِلْكتُرونِيٌّ بعنوان: (تِلَاوَةُ المُحِبِّينَ، مَشَاهِدُ وأَحْوالٌ).

كَثُرَتْ أَشْغَالُكَ، فَلَا تَزِدْ عَلَىٰ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَقَدْ كَرِهَ بَعْضُ العُلَمَاءِ تَأْخِيرَ خَتْمِهِ فِي أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بِلَا عُذْرٍ، نَصَّ عَلَىٰ ذَلِكَ الإِمَامُ أَحْمَدُ[1].

فإنَّ فِي فَضْلِ تِلَاوَةِ القرآنِ وتَدبُّرِ مَعْنَاهُ، والعَمَلِ بِمَا فِيهِ أعظمَ الجَزَاءِ، فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ المُتَقَرِّبونَ إِلَىٰ الله تعالَىٰ مِنَ النَّوافِلِ كَثْرَةُ تلاوَةِ القُرْآنِ، وسَمَاعِهِ بِتَفكُّرٍ وتَدَبُّرٍ وتَفَهُّمٍ وتَعقُّلٍ، فَعَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رضي الله عنه، قَالَ: «يَا هَنْتَاهُ[2]، تَقَرَّبْ إِلَىٰ اللهِ مَا اسْتَطَعْتَ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَقَرَّبَ إِلَىٰ اللهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ»[3]؛ فما تَقَرَّبَتِ العِبادُ إِلَىٰ اللهِ تعالىٰ

---

(1) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شُهْبة: 1/ 426.

(2) يا هَنْتَاهُ: نداء بِغَيْر التَّصْرِيح باسم المُنادَىٰ، وقال ابن الأثير: وقيل: معنىٰ يا هنتاه: يا بلهاء، كأنها نسبت إلىٰ قلة المعرفة، وهذا الأنسب لموضعها هنا، فهو يخاطب نفسه، ويُوَبِّخُها، والله أعلم، انظرْ: تهذيب اللغة، للأزهري: 6/ 230، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 5/ 280.

(3) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، للمَرْوَزِي، اختصار أحمد بن علي المقريزي: 1/ 172.

بِكَلامٍ خيرٍ مِمَّا نَزَلَ مِنْهُ، فعنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ ﵁: «إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَىٰ اللهِ تعالىٰ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ -يَعْنِي كَلَامَهُ-»[1].

وإِنَّهُ مِنْ أَجَلِّ ما تَحَبَّبَ بِهِ المُتَحَبِّبونَ إِلَىٰ اللهِ تعالَىٰ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ؛ فَلْيَقْرَأْ فِي الْمُصْحَفِ»[2]. وَعَنْهُ ﵁: «لا يَسْأَلْ أحدُكُم عَنْ نَفْسِه إِلَّا القرآنَ؛ فإنْ كانَ يحبُّ القرآنَ ويُعْجِبُه؛ فهو يُحِبُّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَرَسُولَهُ ﷺ، وإنْ لَمْ يكنْ يُحِبُّ القُرْآنَ فَلَيْسَ يُحِبُّ اللهَ تعالَىٰ»[3]. وَقَالَ مُطَرِّفُ بنُ أَبِي بَكْرٍ: «المُحِبُّ لا يَسْأَمُ مِنْ حَدِيثِ حَبيبِهِ»، وقالَ يَحْيَىٰ بنُ مُعاذٍ: «مَنْ لَمْ تكُنْ فيهِ ثلاثُ خِصالٍ؛ فَلَيْسَ بِمُحِبٍّ: يُؤْثِرُ كَلامَ اللهِ تَعالَىٰ

---

(1) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، للمَرْوَزِي، اختصار أحمد بن علي المقريزي: 1/ 172.

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 3/ 507، حديث رقم: (2027)، وأبو نُعَيم في الحلية: 7/ 209، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع.

(3) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: 1/ 273.

علَىٰ كلامِ الخَلْقِ، ولِقاءَ اللهِ تعالَىٰ علَىٰ لِقَاءِ الخَلْقِ، والعِبادَةَ علَىٰ خِدْمَةِ الخَلْقِ»[1].

وتِلَاوَةُ كتابِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُحْصَىٰ مِنَ الأُجُورِ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»[2].

والتِّجَارَةُ مَعَ القُرْآنِ تِجارَةٌ خَفِيفَةُ المَحْمَلِ، عَظِيمَةُ الأَجْرِ؛ رِبْحٌ بالمَلَايينِ والمِلْيَارَاتِ مُحَقَّقٌ مَضْمُونٌ، لَا يَقْبَلُ الخَسَارَةِ؛ فَإِنَّ عَدَدَ حُرُوفِ القُرْآنِ بالتَّقْرِيبِ: (323015) ثَلَاثُمِائَةٍ وثَلَاثَةٌ وعِشْرُونَ وخَمْسَةَ عَشَرَ حَرْفًا، وكُلُّ حَرْفٍ بِحَسَنَةٍ، والحَسَنَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا؛ فَيَكُونُ نَاتِجُ حِسَابِ الضَّرْبِ: 1× 10 × (323015) = (3230150)، ثَلَاثَةَ مَلَايِينَ ومِائَتَيْنِ وثَلاثَينَ أَلْفًا ومِائَةً وخَمْسِينَ حَسَنَةً.

هَذَا بِحِسَابِ الخِتْمَةِ الوَاحِدَةِ؛ فَقَدِّرْ أَنَّكَ خَتَمْتَ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً؛ فَيَكُونُ العَدَدُ مُضَاعَفًا اثْنَي عَشَرَ ضِعْفًا، وقَدِّرْ أَنَّك عِشْتَ عَشْرَةَ

---

(1) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: 4/ 333.

(2) رواه الترمذي في سننه: 5/ 175، حديث رقم: (2910)، وصححه الألباني.

أَعْوَامٍ عَلَىٰ هَذَا العَهْدِ، فَعِشْرِينَ عَامًا، فَثَلاثِينَ، فَأَرْبَعِينَ...؛ أَظُنُّكَ سَتَعْجَزُ عَنْ قِرَاءَةِ الأَعْدَادِ، سَتَكُونُ نَتَائِجُ الأَرْبَاحِ مُدْهِشَةً؛ سَتَكُونُ مِلْيُونِيرًا، ومِلْيَارِدِيرًا بِلَا كُلْفَةٍ؛ فَلَا عَلَيْكَ الآنَ إِلَّا أَنْ تُعَظِّمَ رَبَّكَ، وتَحْمَدَهُ، وتُثْنِي عَلَيْهِ، ويَمْتَلِئَ قَلْبُكَ مِنْ مَحَبَّتِهِ، عَلَىٰ هَذِهِ الكَرَامَاتِ العَظِيمَةِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْكَ، فَهَاتُوا أَحَدًا يُكَافِئُ هَكَذَا مُكَافَأَةٍ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، ولْتَبْدَأْ إِذَن السِّبَاقَ والعَدَّ مِنَ الآنَ؛ فالوَقْتُ يَمْضِي، وَكُلُّ نَفَسٍ يَفُوتُ مِنْ غَيْرِ قُرْآنٍ فَخَسَارَةٌ لَا تُعَوَّضُ!!!، هنا نفهم قول: دَاوُدَ الطَّائِيِّ لَمَّا قِيلَ لَهُ - وَقَدْ كانَ يَأْكُلُ الفَتِيتَ، ويَتْرُكُ مَضْغَ الخُبْزِ-: «أَمَا تَشْتَهِي الْخُبْزَ؟ فَقَالَ: بَيْنَ مَضْغِ الْخُبْزِ وَشُرْبِ الْفَتِيتِ قِرَاءَةُ خَمْسِينَ آيَةً»[1].

(1) المعنَىٰ: أَنَّهُ كانَ لا يأكلُ الخُبْزَ حتَّىٰ يُفَتَّ في الماءِ أو المَرَقِ؛ فَيُسْرِعُ بلعُهُ؛ حتَّىٰ لا يضيعَ وقتُهُ في المَضْغِ، وقد حَسَبَ الوقتِ الذي يَقْتَصِدُهُ في هذا الأمر، فوجدَهُ يَكْفِي لقراءَةِ خمسينَ آيةٍ من كتابِ الله تعالَىٰ؛ فانظرْ إلىٰ أَيِّ حدٍّ بلغَ حِرْصُهُمْ علَىٰ أَوْقَاتِهِمْ، وبُخْلِهِمْ فِيهَا أن تضيع في غيرِ طاعةٍ رَاجِحَةٍ؟!

۞ ثَانِيًا: عِبَادَةُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى[1]

يَحْسُنُ بالمُسْلِمِ الذِي يَرْجُو السَّعَادَةَ فِي الدَّارَيْنِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالَىٰ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ؛ فيكونُ بَدَنُهُ مَعَ الخَلْقِ؛ ورُوحُهُ عِنْدَ خالِقِ رُوحِهِ تبارك وتعالَىٰ؛ وقَلْبُهُ مَعَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ عُبودِيَّةَ الذِّكْرِ لازِمَةٌ لِلعَبْدِ مَعَ كُلِّ عملٍ، قالَ ابْنُ قيمِ الجَوْزِيَّةِ: «وَفِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنَ الْجَوَارِحِ عُبُودِيَّةٌ مُؤَقَّتَةٌ، وَالذِّكْرُ عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَهِيَ غَيْرُ مُؤَقَّتَةٍ»[2]، فَعُبودِيَّةُ الصلاةِ تَنْقَضِي بِانْقِضَائِهَا، وعُبودِيَّةُ الحَجِّ تَنْقَضِي بِانْقِضَائِهِ، وعُبُودِيَّةُ الجِهادِ تَنْقَضِي بِانْقِضَائِهِ... أَمَّا عُبُودِيَّةُ الذِّكْرِ فَهِيَ دائِمَةٌ لا تَنْقَضِي؛ لا تَنْفَكُّ مُلازِمَةً لِلعَبْدِ مُلازَمَةَ الرُّوحِ لِلبَدَنِ.

وإِنَّ أَفْضَلَ أَهْلِ عَمَلٍ ومَجْلِسٍ أَكثرُهُمْ ذِكْرًا للهِ تعالَىٰ بِالقَلْبِ وبِاللِّسانِ؛ قالَ ابنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: «وَأَفْضَلُ أَهْلِ كُلِّ عَمَلٍ أَكْثَرُهُمْ فِيهِ ذِكْرًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَفْضَلُ الصُّوامِ أَكْثَرُهُمْ ذِكرًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صَوْمِهِمْ، وأَفْضَلُ المُتَصَدِّقينَ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وأَفْضَلُ الحَاجِّ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ،

---

(1) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ إِلْكترونِيٌّ بعنوان: (ذِكْرُ المُحِبِّينَ، مَشَاهِدُ وأَحْوالٌ).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 2/ 395.

وهَكَذَا سَائِرُ الأَحْوالِ، وَقَدْ ذَكَرَ ابنُ أَبِي الدُّنْيا حَديثًا مُرْسَلًا فِي ذَلِكَ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئلَ: «أَيُّ أَهْلِ المَسْجِدِ خيْرٌ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا للهِ ﷻ، قيلَ: أيُّ الجَنَازَةِ خَيْرٌ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا للهِ ﷻ، قيلَ: فَأَيُّ المُجاهِدِينَ خَيْرٌ؟ قالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا للهِ ﷻ، قيلَ: فَأَيُّ الحُجَّاجِ خَيْرٌ؟ قالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا للهِ ﷻ، قيلَ: وَأَيُّ العِبادِ خَيْرٌ؟ قالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا للهِ ﷻ، قالَ أَبُو بَكْرٍ: ذَهَبَ الذَّاكرونَ بِالخَيْرِ كُلِّهِ[1]»[2]. فَمَنْ أرَادَ أَنْ يَفْضُلَ أَهْلَ عَمَلِهِ ومَجْلِسِهِ، وأَنْ يَفْضُلَ أهل زَمَانِهِ حيثُ كانَ؛ فَعَلَيهِ أَنْ يَفْضُلَهُمْ فِي ذِكْرِ اللهِ تَعالَىٰ.

ولَقَدْ جَاءَتِ الأَخبارُ بِأَنَّ عُبودِيَّةَ الذِكْرِ مِنْ أجلِّ القُرُباتِ وأَعْظَمِها، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﵁، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ

---

(1) رواه أحمد في مسنده: 24/ 381، حديث رقم: (15614)، والطبراني في المعجم الكبير: 20/ 186، حديث رقم: (407)، والبيهقي في شعب الإيمان: 2/ 86، حديث رقم: (554)، وللحديث شَواهِدُ، قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ البَدْرُ فِي كِتَابِهِ (فِقْهُ الأَدْعِيَةِ والأَذْكَارِ): فالحَدِيثُ بِشَاهِدَيْهِ صَالِحٌ للاحْتِجَاجِ إنْ شَاءَ اللهُ تعالىٰ، ومَعْنَاهُ الّذي دَلَّ عَلَيْهِ حَقٌّ لا رَيْبَ فِي صِحَّتِهِ.

(2) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية: 1/ 75.

وَالوَرِقِ[1]، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: مَا شَيْءٌ أَنْجَىٰ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ»[2].

وَإِنَّ ذِكْرَ اللهِ تَعالَىٰ رِسَالَةُ خليلِ اللهِ إِبْراهيمَ ﵇ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ؛ قالَ ابنُ رَجَبٍ: «وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ مَعْشَرَ الأُمَّةِ رِسَالَةٌ مِنْ أَبِيكُمْ إِبْراهيمَ ﵇ مَعَ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ

---

(1) الوَرِقِ: الفضة، انظرْ: غريب الحديث، لابن قتيبة: 1/ 281.

(2) رواه ابن ماجه في سننه: 2/ 1245، حديث رقم: (3790)، وصحَّحه الألباني.

طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ[1]، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ[2]»[3].

فَعَوِّدْ لِسَانَكَ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، عِنْدَ نَوْمِكَ، وَعِنْدَ يَقَظَتِكَ، وَعِنْدَ أَكْلِكَ، وَعِنْدَ شُرْبِكَ، وَعِنْدَ لُبْسِكَ، وَعِنْدَ خُرُوجِكَ مِنْ بَيْتِكَ، وَعِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ دُخُولِكَ المَسْجِدَ، وَعِنْدَ الخُرُوجِ مِنْهُ، وَعِنْدَ دُخُولِ الخَلَاءِ، وَعِنْدَ الخُرُوجِ مِنْهُ... وَفِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَرَدَ فِيهِ ذِكْرٌ مَخْصُوصٌ. وَفِي غَيْرِ المَوَاطِنِ المَخْصُوصَةِ بِأَذْكَارٍ عَامَّةٍ: قَائِمًا وَقَاعِدًا، وَعَلَىٰ جَنْبٍ، وَأَنْتَ تَجْلِسُ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَنْتَ تَسِيرُ فِي طَرِيقِكَ، وأَنْتَ تُزَاوِلُ عَمَلَكَ، وَأَنْتَ تَبِيعُ، وأَنْتَ تَشْتَرِي.. إِنْ مُعَلِّمًا، أو طَالِبًا، أَوْ مُهَنْدِسًا أَوْ طَبِيبًا، أَوْ مُوَظَّفًا،

---

(1) (قِيعَانٌ): جَمْعُ قَاعٍ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَةُ الْخَالِيَةُ مِنَ الشَّجَرِ (وَأَنَّ): بِالْوَجْهَيْنِ (غِرَاسَهَا): بِكَسْرِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، جَمْعُ غَرْسٍ بِالْفَتْحِ، وَهُوَ مَا يُغْرَسُ أَيْ: يَسْتُرُ تُرَابَ الْأَرْضِ مِنْ نَحْوِ الْبَذْرِ لِيَنْبُتَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ التُّرْبَةُ طَيِّبَةً وَمَاؤُهَا عَذْبًا كَانَ الْغِرَاسُ أَطْيَبَ، لَا سِيَّمَا وَالْغَرْسُ الْكَلِمَاتُ الطَّيِّبَاتُ وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ. (سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ)، انظرْ: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 4/ 1604.

(2) رواه الترمذي في سننه: 5/ 510، حديث رقم: (3462)، وحسنه الألباني.

(3) لطائف المعارف، لابن رجب: 1/ 58.

أَوْ عَامِلًا، أَوْ صَانِعًا، أَوْ تَاجِرًا، أَوْ مُشْتَغِلًا، أَوْ فَارِغًا، وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ -إِلَّا فِي المَوَاطِنِ التِي جَاءَ فِيهَا النَّهْيُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالَىٰ- حَتَّىٰ تُدْمِنَ الذِّكْرَ، وَيَجْرِي مِنْكَ مَجْرَىٰ النَّفَسِ مِنَ النَّفْسِ؛ كَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[1].

وهذِهِ أَذْكارٌ ثَبَتَتْ مَحَبَّةُ اللهِ تَعالَىٰ لها؛ بِنُصوصٍ صَحيحَةٍ عَنِ الصادِقِ المَصْدوقِ ﷺ:

* عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»[2].

* وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ. فَقَالَ: إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»[3].

---

(1) آل عمران: 191.

(2) رواه مسلم: 3/ 1685، حديث رقم: (2137).

(3) رواه مسلم: 4/ 2093، حديث رقم: (2731).

* وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَادَهُ، أَوْ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ عَادَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ ﷻ؟ قَالَ: مَا اصْطَفَاهُ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ، سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ»[1].

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»[2].

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ

---

(1) رواه الترمذي في سننه: 5/ 576، حديث رقم: (3593)، وصحَّحه الألباني.

(2) رواه البخاري في صحيحه: 8/ 86، حديث رقم: (6406)، ومسلم: 4/ 2073، حديث رقم: (2694).

قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[1].

تَخَيَّرْ مِنْ هذه الأَذْكَارِ وَمِنْ غَيْرِهَا مَا خَفَّ عَلَىٰ لِسَانِكَ، وَوَجِلَ بِهِ قَلْبُكَ، وَخَشَعَتْ لَهُ جَوارِحُكَ؛ فَالْزَمْهُ، وَتَرَنَّمْ بِهِ، وَإِنْ نَوَّعْتَ الأَذْكَارَ؛ كَانَ أَنْشَطَ لَكَ، وَأَذْهَبَ للسَّآمَةِ، وأَجْرَىٰ عَلَىٰ لِسَانِكَ، وَأَدْوَمُ للعِبَادَةِ.

۞ ثالثًا: عِبَادَةُ الصِّيَامِ[2]

وَلْيَكُنْ لَكَ عادةُ صيامٍ تُداوِمُ عليه، ثلاثةِ أيامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، أَوِ الإثنَيْنِ والخميسِ مِنْ كُلِّ أسبوعٍ، وَإِنْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا؛ فَصُمْتَ الإِثْنَيْنِ والخَمِيسَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ والأَيَّامَ الثَّلَاثَةَ؛ كَانَ خَيْرًا كَثِيرًا؛ فَإِنْ وَجَدْتَ فِي نفسِكَ قوةً علىٰ الصيامِ؛ فَصُمْ صيامَ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كان يصومُ يومًا، ويفطرُ يومًا، وهو أَحَبُّ الصيامِ إِلَىٰ اللهِ تعالَىٰ.

فَإِنَّ عِبادَةَ الصِّيَامِ مِنْ أَجَلِّ العِبَادَاتِ التِي يُسَجَّلُ بِهَا العَبْدُ فِي دِيوانِ العُبَّادِ؛ فعَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، قالَ: «لَا يُسَمَّىٰ عَابِدٌ أَبَدًا عَابِدًا وَإِنْ كَانَ فِيهِ كُلُّ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: 8/ 85، حديث رقم: (6403)، ومسلم: 42071، حديث رقم: (2691).

(2) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ إِلْكْترونِيٌّ بعنوان: (**صيامُ المُحِبِّينَ، مَشَاهِدُ وأَحْوالٌ**).

خَصْلَةِ خَيْرٍ حَتَّىٰ تَكُونَ فِيهِ هَاتَانِ الْخَصْلَتَانِ: الصِّيامُ وَالصَّلَاةُ؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ»[1].

وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ مَنْ يَتَوَلَّىٰ كَرَامَةَ الصَّائِمِ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ؛ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ...»[2].

وَكُلُّ عَمَلٍ لَهُ وَزْنٌ وتَقْديرٌ، تُحْصيهِ المَلائِكَةُ المُوَكَّلَةُ؛ إِلَّا الصومَ فَلا يدخُلُ تَحْتَ تقديرِ المَلائِكَةِ؛ وإِنَّما الذِي يَتولَىٰ المُكافَأَةَ عَلَيْهِ هُوَ اللهُ تَعالَىٰ وَحْدَهُ، فَيُفْرِغُ للعَبْدِ الصائِمِ مِنَ الأَجْرِ إِفْرَاغًا، يَليقُ بِكَرَمِ الكَريمِ الأَكْرَمِ سُبْحانَهُ وتعالَىٰ، مَا يُسْعِدُ ويُدْهِشُ مِمَّا لا يَخْطُرُ علَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ؛ فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»[3]. قالَ عَلِيٌّ القَارِي: «قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: (إِلَّا الصَّوْمَ)؛ فَإِنَّ ثَوابَهُ لَا يُقَادِرُ قَدْرَهُ، وَلَا يُحْصِي حَصْرَهُ إِلَّا اللهُ

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 2/ 318.

(2) رواه البخاري في صحيحه: 3/ 29، حديث رقم: (1904).

(3) رواه مسلم: 2/ 807، حديث رقم: (1151).

تعالَىٰ؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَىٰ خُصُوصِيَّاتٍ لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهِ، وَلِذَلِكَ يَتَوَلَّىٰ جَزَاءَهُ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَكِلُهُ إِلَىٰ مَلَائِكَةِ قُدُسِهِ»[1].

وكَفَىٰ بالصِّيامِ بركَةً ما بَشَّرَ به النبيُّ ﷺ من فَضْلِهِ، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ بَاعَدَ اللهُ وَجْهَهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عَامًا»[2]. وَكُلَّما ابتَعَدَ العَبْدُ عَنِ النَّارِ؛ اقْتَرَبَ مِنَ اللهِ تَعالَىٰ ومِنْ مَحِلِّ كَرَامَتِهِ.

فَيَا إِخْوَتَاهُ، اسْتَكْثِرُوا مِنَ الصِّيَامِ، وَالْتَمِسُوا بِصَوْمِكُم مَوْتَكُم؛ فَلَعَلَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَخْتِمَ لَكُمْ دُنْيَاكُم بِصِيَامِ يَوْمٍ؛ فَيُكْتَبَ لَكُمْ بِهِ الفَوْزُ العَظِيمُ؛ فَفِي الحَدِيثِ: «مَنْ خُتِمَ لَهُ بِصِيَامِ يَوْمٍ، يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ أَدْخلَهَ اللهُ الجَنَّةَ»[3]. قَالَ العُلَمَاءُ: «أَيْ مَنْ خُتِمَ عُمُرُهُ بِصِيَامِ يَوْمٍ بِأَنْ مَاتَ وَهُوَ

---

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 4/ 1362.

(2) رواه أحمد في مسنده: 18/ 5، حديث رقم: (11406)، ومسلم: 2/ 808، حديث رقم: (1153).

(3) رواه أحمد في مسنده: 38/ 350، حديث رقم: (23324)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

صَائِمٌ، أَوْ عَقِبَ فِطْرِهِ مِنْ صَوْمِهِ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَذَابٍ مَعَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ»[1].

ويَا إِخْوَتَاهُ، اسْتَكْثِرُوا مِنَ الصِّيَامِ، وَالْتَمِسُوا بِصَوْمِكُمْ رَحْمَةَ رَبِّكُم ﷻ ومَغْفِرَتَهُ وَرِضْوَانَهُ؛ فَلَعَلَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْكُم فِي يَوْمِ صَوْمِكُم، فَيَرَىٰ شِدَّةَ جُوعِكُم وعَطشِكُم لَهُ، والنَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ يأكلونَ ويشربونَ، وَيرَىٰ أَبْدَانَكُمْ، وَقَدْ هَزِلَتْ، وَقُلُوبَكُم، وَقَدِ افْتَقَرَتْ، وَنُفُوسَكُم، وَقَدِ اسْتَكَانَتْ، وَحَاجَاتِكُم، وَقَدْ رُفِعَتْ؛ وَيَرَىٰ مِنْكُم إِيْثَارَكُم مَرَاضِيَهُ عَلَىٰ شَهَوَاتِكُم، وَمَحَابَّهُ عَلَىٰ مَحَابِّ نُفُوسِكُم؛ فَيَرْحَمَكُم، ويغفرَ لكُمْ، وَيَرْضَىٰ عَنْكُم، ويقضِيَ حوائِجَكُمْ؛ وَيَكْتُبَ لَكُم سَعَادَةَ الأَبَدِ.

فَلْتُبَادِرِ الآنَ، ولْتُخَصِّصْ لِنَفْسِكَ أَيَّامًا تَلْزَمُ صِيامَهَا دَهْرَكَ، ولْتَبْكِ عَلَىٰ مَا فَاتَكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ: أَنَا أَتْعَبُ مِنَ الصِّيامِ، أَوِ الصَّوْمُ يُجْهِدُنِي، أَوْ شِبْهَ ذَلِكَ، وَهَلْ يُوجَدُ صِيامٌ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ، وَهَلْ عَظُمَ أَجْرُ الصِّيَامِ إِلَّا لِأَجْلِ مَشَقَّتِهِ، وتَرْكِ العَبْدِ مُشْتَهَيَاتِ نَفْسِهِ لِأَجْلِ اللهِ تَعَالَىٰ؟! فَمَا أَطْيَبَ

---

(1) انْظُرِ: التَّيْسِيرَ بِشَرْحِ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، لِلمُنَاوِيِّ: 2/ 415، وَفَيْضَ القَدِيرِ، لِلمُنَاوِيِّ: 6/ 123.

التَّعَبَ والمَشَقَّةَ فِي اللهِ، ولله، ومع الله تعالىٰ ومَا أَلَذَّها! جَرِّبْ؛ وَسَتَجِدُ صِدْقَ مَا قِيلَ.

هَذَا كَلامٌ يُلْقِيهِ الشَّيطْانُ عَلَىٰ الأَلْسُنِ؛ لِيَتَعَذَّرَ بِهِ البَطَّالُونَ المَحْرُومُونَ، وَلِيُفَتِّرِ المُقْبِلِينَ؛ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِهِ، وَلَا تُلْقِ السَّمْعَ إِلَيْهِ، وابْدَأْ عُبُودِيَّةَ الصِّيَامَ مِنَ الآنَ؛ لِيُسَجَّلَ اسْمُكَ فِي دِيوانِ العُبَّادِ.

۞ رابعًا: عِبَادَةُ الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللّهِ تعالَى[1]

عَوِّد نَفْسَكَ الصَّدَقَةَ مِنْ خالِصِ مَالِكَ، ولا تَسْتَحِ مِنْ إنفاقِ القليلِ؛ فإِنَّ الحرمانَ أَقَلُّ. فَإِنْ ثَقُلَ عليها الإنفاقُ ذَكِّرْهَا ما للصدقةِ مِنْ أَثَرٍ في دَفْعِ غَضَبِ اللهِ تعالَىٰ، وأنها لا تضيعُ، وَأَنَّ اللهَ تعالَىٰ يَدَّخِرُها وَيُنْمِيهَا[2] وَيُثْمِرُها لَكَ؛ لِيَرُدَّها إليكَ أحوجَ ما تكونُ إليها، واسألِ اللهَ تعالَىٰ أَنْ يَقِيَكَ شُحَّ نَفْسِكَ، فَإِنَّ مَنْ وُقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ فَقَدْ أَفْلَحَ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

---

(1) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ إِلْكتُرونِيٌّ بعنوان: (إنفاق المُحِبِّينَ، مَشَاهِدُ وأَحْوالٌ).

(2) أيْ: يزيدها ويضاعف أجرها، وأنماهُ اللهُ: رَفعَهُ، وزادَ فيه، انظرْ: العَيْن، للخليل بن أحمد: 8/ 384.

(3) الحشر: 9.

وَلْيَعْظُمْ حُبُّكَ للإنفاقِ وَرَغْبَتُكَ فيه؛ فقد وَكَّلَ اللهُ تعالىٰ مَلائِكَةً يَدْعونَ كُلَّ يَوْمٍ للمُنْفقينَ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَىٰ، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَىٰ، وَلَا آبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا مَالًا تَلَفًا»[1]. وفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، مُنَادِيًا يُنَادِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَعَجِّلْ لِكُلِّ مُمْسِكٍ تَلَفًا»[2].

فَالإِنْفَاقُ عَلَىٰ المَكْرُوبِينَ، وتَفْرِيجُ كُرُبَاتِهِمْ مِنْ أَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطَرِدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ؛ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ

---

(1) رواه أحمد في مسنده: 36/ 53، رقم: (21721)، وحسَّنه شعيب الأرنؤوط.

(2) رواه أحمد في مسنده: 14/ 239، رقم: (8571)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

أَمْضَاهُ؛ مَلأَ اللهُ ﷻ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّىٰ أَثْبَتَهَا لَهُ؛ أَثْبَتَ اللهُ ﷻ قَدَمَهُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ»[1].

۞ خامسًا: عبادة الرباط[2]

إذَا كَانَ بَلدُكَ ثَغْرَ رِبَاطٍ، فَلْتَكُنْ لكَ لَيْلَةٌ مِنْ كُلِّ أُسْبوعٍ تَسْهرُ مُرابطًا علَىٰ ثُغُورِ المُسْلِمِينَ، فإنْ شقَّ عليكَ كُلُّ أسبوعٍ؛ فَمِنْ كُلِّ شَهْرٍ ليلةٌ، فإنَّ النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَوْقِفُ سَاعَةٍ في سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ قِيامِ لَيْلَةِ القَدْرِ عِنْدَ الحَجَرِ الأَسْوَدِ»[3].

وحَرَامٌ عَلَىٰ عَيْنٍ رَابَطَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ تَمَسَّهَا النَّارُ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «حُرِّمَتْ عَيْنٌ عَلَىٰ النَّارِ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ»[4].

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط: 6/ 139، حديث رقم: (6026)، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج: 1/ 47، حديث رقم: (36)، وحسَّنه الألباني.

(2) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ بعنوان: (**المائة الجياد في الشهادة والجهاد**)، جمعنا فيه مائة حديث في فضل الجهاد والرباط في سبيل الله تعالىٰ، كَمَا صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ **إلكترونيٌّ** بعنوانِ: (**جهاد المُحِبِّينَ ورِبَاطُهُمْ، المُحِبِّينَ، مَشَاهِدُ وأَحْوالٌ**).

(3) رواه ابنُ حِبَّان: 10/ 462، حديث رقم: (4603)، وصحَّحه الألباني.

(4) رواه النَّسائيُّ في السنن الكبرىٰ: 6/ 15، حديث رقم: (3117)، وصحَّحه الألباني.

فَلِلمُرَابِطِ وَعْدٌ بِأَرْبَعِ خِصَالٍ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِالدُّنْيا وَمَا فِيهَا: الأُولَىٰ: يَجْرِي لَهُ ثَوابُ عَمَلِهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيامَةِ، وَالثَّانِيَةُ: يَأْمَنُ فِتْنَةَ القَبْرِ، وَالثَّالِثَةُ: يَأْمَنُ الفَزَعَ الأَكْبَرَ يَوْمَ القِيامَةِ، وَالرَّابِعَةُ: يُغْدَىٰ عَلَيْهِ وَيُرَاحُ بِرِزْقِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهُوَ بَعْدُ فِي البَرْزَخِ؛ أَخْبَرَ بِذَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا؛ وُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ، وَأُومِنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَغُدِيَ عَلَيْهِ وَرِيحَ بِرِزْقِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْمُرَابِطِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ»[1].

فَإِنْ لَمْ يكنْ بلدُكَ ثَغْرَ رباطٍ، فَلْتُحَدِّثْ نَفْسَكَ بالرباطِ، وَلْتَنْوِهِ إِنْ تيسّرَ لَكَ، فإنَّ النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ، مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةِ نِفَاقٍ»[2].

---

(1) رواه أحمد في مسنده: 15/ 137، حديث رقم: (9244)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

(2) رواه النَّسائي في السنن الكبرىٰ: 6/ 8، حديث رقم: (3097)، وحسَّنه الألباني.

۞ سادسًا: عبادةُ الجُمُعَةِ (التَّبْكيرُ إلى الجُمُعاتِ)[1]

وَلْيَكُنِ التبكيرُ إِلَىٰ الجُمُعَاتِ حَالَكَ؛ فإِنَّ في عظيمِ الأجرِ عليها أحاديثَ صحيحةً لَمْ تُذْكَرْ فِي غَيْرِهَا مِنَ القُرُباتِ، فَلْتُسارِعْ إِلَىٰ العودةِ إِلَىٰ بيتِكَ بعدَ الفَجْرِ، وَلْتَغْتَسِلْ غُسْلَ الجُمُعَةِ، وَلْتَلْبِسْ أجملَ ثيابِكَ، وَلْتَتَطَيَّبْ مِنْ أَطْيَبِ طِيبِكَ، وَلْتَأْتِ في الساعةِ الأُولَىٰ، وإلَّا فَفِي الثَّانِيَةِ، وإلَّا فَفِي الثَّالِثَةِ، وَلْتَدْنُ مِنَ الإمامِ، وَلْتُصَلِّ ثمانيَ ركعاتٍ حَسَنَاتٍ طَويلاتٍ، أَوْ ما كتبَ اللهُ لَكَ أَنْ تُصَلِّيَ، وَلْتَقْرَأْ سورةَ الكَهْفِ، وما تيسّرَ مِنَ القرآنِ، وَلْتُصَلِّ علىٰ النبيِّ ﷺ، وإخوانِهِ النَّبِيِّينَ أَلْفَ مَرَّةٍ أو ما تَيَسَّرَ، وَلْتَذْكُرِ اللهَ تعالَىٰ ما كتبَ اللهُ لكَ أنْ تذكرَ بقلبِكَ ولسانِكَ. حتَّىٰ يَصْعَدَ الإِمَامُ المِنْبرَ، فَإِذَا أَخَذَ فِي الصعودِ؛ فَخُذْ أَنْتَ فِي الدُّعَاءِ؛ فَارْفَعْ يدَيْكَ، وَسَلْ حاجَتَكَ؛ فإنها سَاعَةُ إِجَابَةٍ. ثُمَّ الْتَفِتْ إِلَيْه، وَأَصْغِ السَّمْعَ وَأَنْصِتْ، وإيَّاكَ واللَّغْوَ؛ ثم أَبْشِرْ بخيرٍ عَمِيمٍ، وفَضْلٍ كَبِيرٍ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَىٰ وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ

---

(1) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ بعنوان: (عِبَادَةُ الجُمُعَةِ تِجَارَةُ العُبَّادِ)، جُمِعَتْ فِيهِ فَضَائِلُ الجُمُعَةِ، والعِبادَاتُ الرَّاجِحَةُ فِيهِ، وبرنامَجُ عِبادَةِ يوم الجُمُعَةِ.

الْإِمَامِ، فَاسْتَمَعَ، وَلَمْ يَلْغُ؛ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»[1].

ثُمَّ إِذَا قُضِيَتْ صَلاةُ الجمعةِ، فعُدْ إلىٰ بيتِكَ، لِتُصِبْ مِنْ طعامِ أَهْلِكَ، وَلْتُرِحْ بَدَنَكَ بِغَفْوَةٍ خَفِيفَةٍ؛ قُوَّةً لكَ علَىٰ مُوَاصَلَةِ العِبَادَةِ.

وإيَّاكَ والسُّوقَ صبيحةَ الجُمُعَةِ، تقضي فيه باكورةَ الجمعةِ؛ فَيَفُتْكَ خيرٌ عميمٌ. وَلْيَكُنْ للنساءِ في البيوتِ مِنَ الجُمُعَةِ نصيبٌ كَمَا الرجالِ، فلا تَذْهَبُ جُمُعَتُهُنَّ في إعدادِ الطعامِ، ولَغْوِ الأقوالِ، وَفُضُولِ الأعمالِ.

۞ لُزُومُ المسجدِ مِنْ عَصْرِ الجُمُعَةِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ

فإذا كانَ قُبَيْلَ العصرِ؛ فَسَارِعْ إلىٰ المسجدِ قبلَ النداءِ، بِنِيَّةِ الاعتكافِ في المسجدِ إلىٰ المغربِ، فإذا لم يتيسرْ لكَ المكوثُ في المسجدِ، فإذا كانَ قُبَيْلَ غَيْبُوبَةِ شَمْسِ الجُمُعَةِ، فَافْزَعْ إِلَىٰ المسجدِ، وارْفَعْ يَدَيْكَ، وَسَلْ

(1) رواه أحمد في مسنده: 26/ 92، حديث رقم: (16172)، وأبو داود: 1/ 148، حديث رقم: (345)، وصحَّحه الألباني.

ربَّكَ حاجَتَكَ؛ فإنها ساعةُ إجابةٍ. فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التَمِسُوا السَّاعَةَ الَّتِي تُرْجَىٰ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ بَعْدَ العَصْرِ إِلَىٰ غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ»[1].

۞ عَظَمةُ شأْنِ الجُمُعَةِ

فَشَأْنُ الجُمُعَةِ عندَ اللهِ عظيمٌ في الدنيا والآخرةِ، وَأَهْلُ الجُمُعَةِ في الدنيا هُمْ أَهْلُها في الآخرةِ، فإذا كانَتِ الآخرةُ، فَلَا تَسَلْ عَنْ كرامةِ اللهِ تَعالَىٰ لِأَهْلِ الجُمُعَةِ هُنَالِكَ؛ فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ الْأَيَّامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ هَيْئَتِهَا، وَيَبْعَثُ الْجُمُعَةَ زَهْرَاءَ مُنِيرَةً، أَهْلُهَا يَحُفُّونَ بِهَا كَالْعَرُوسِ تُهْدَىٰ إِلَىٰ كَرِيمِهَا تُضِيءُ لَهُمْ، يَمْشُونَ فِي ضَوْئِهَا، أَلْوَانُهُمْ كَالثَّلْجِ بَيَاضًا، وَرِيحُهُمْ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ، يَخُوضُونَ فِي جِبَالِ الْكَافُورِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلَانِ لَا يُطْرِقُونَ تَعَجُّبًا حَتَّىٰ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، لَا يُخَالِطُهُمْ أَحَدٌ إِلَّا الْمُؤَذِّنُونَ الْمُحْتَسِبُونَ»[2].

---

(1) رواه الترمذي في سننه: 2/ 360، حديث رقم: (489)، وحسَّنه الألباني.

(2) رواه ابن خزيمة في صحيحه: 3/ 117، حديث رقم: (1730)، وصحَّحه الألباني.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ ﵇ وَفِي كَفِّهِ مِرْآةٌ بَيْضَاءُ، فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ؛ فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ، يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ ﷿؛ لِيَكُونَ لَكَ عِيدًا، وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلَ، وَتَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ تَبَعًا مِنْ بَعْدِكَ، قَالَ: قُلْتُ: مَا لَنَا فِيهَا؟ قَالَ: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، لَكُمْ فِيهَا سَاعَةٌ، مَنْ دَعَا اللهَ ﷿ فِيهَا بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قِسمَ؛ إِلَا أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، أَوْ لَيْسَ لَهُ قُسِمَ؛ إِلَا ذُخِرَ لَهُ[1] مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، أَوْ تَعَوَّذَ فِيهَا مِنْ شَرٍّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ؛ إِلَا أَعَاذَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ أَعْظَمَ مِنْهُ، قُلْتُ: مَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فِيهَا؟ قَالَ: هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَيَّامِ عِنْدَنَا، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ، قَالَ: قُلْتُ: وَلِمَ تَدْعُونَهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ؟ قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ ﷿ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ[2] مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ، فَإِذَا كَانَ يومُ الْجُمُعَةِ، نَزَلَ تَبَارَكَ

---

(1) الذُّخْرُ: ما يُدَّخَرُ لوقتِ الحاجة، انظرْ تحقيق: الوليد بن محمد سيف النصر، علىٰ الشريعة، لِلْآجُرِّيّ: 2/ 1022.

(2) الأَفْيَح: الواسع، وكُلُّ شَيْءٍ واسعٍ فَهُوَ أَفْيَحُ وَفَيَاحٌ وَفَيَّاحٌ. وَيُقَال فِي جَمْعِ الأَفْيَحِ: فِيحٌ، وناقة فَيَّاحَةٌ: ضخمةُ الضَّرْعِ غزيرةُ اللَّبَنِ، انظرْ: تهذيب اللغة، للأزهري: 5/ 170.

وَتَعَالَىٰ مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ حَفَّ الْكُرْسِيَّ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّونَ حَتَّىٰ يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ حَفَّ الْمَنَابِرَ بِكَرَاسِيَّ مِنْ ذَهَبٍ، ثُمَّ جَاءَ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ حَتَّىٰ يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ يَجِيءُ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَجْلِسُوا عَلَىٰ الْكَثِيبِ[1]، ثُمَّ يَتَجَلَّىٰ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﷻ، فَيَنْظُرُونَ إِلَىٰ وَجْهِهِ ﷻ، وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعدِي، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَهَذَا مَحِلُّ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيَقُولُ: رِضَايَ أُحِلُّكُمْ دَارِي، وَأَنَالُكُمْ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي بِهِ، فَيَسْأَلُونَهُ، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُمْ؛ فَيُفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، إِلَىٰ مِقْدَارِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ يَصْعَدُ ﷻ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ، وَيَصْعَدُ مَعَهُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ، وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْغُرَفِ إِلَىٰ غُرَفِهِمْ، دُرَّةً بَيْضَاءَ، لَا فَصْمَ فِيهَا وَلَا فَصْلَ[2]، أَوْ يَاقُوتَةً[1] حَمْرَاءَ، أَوْ زَبَرْجَدَةً[2]

---

(1) الكَثِيب: تلُّ الرَّمْلِ المُسْتَطِيل المُحْدَوْدِب، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 4/ 152.

(2) الفَصْمُ وَالفَصْلُ: الانقِطاع والانصداع، وإذا انصَدَعَتْ ناحيةٌ من البيت قِيلَ: فُصِمَ. والدُرَّةُ تَنْفَصِمُ إذا انصَدَعَتْ ناحيةٌ منها، انظر: معجم العَيْن، للخليل بن أحمد الفَرَاهِيدِيّ: 7/ 139.

خَضْرَاءَ، فِيهَا ثِمَارُهَا، وَفِيهَا أَزْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا، فَلَيْسُوا إِلَىٰ شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْجُمُعَةِ؛ لِيَزْدَادُوا مِنْهُ كَرَامَةً، وَلِيَزْدَادُوا نَظَرًا إِلَىٰ وَجْهِهِ ﷻ؛ وَلِذَلِكَ يُسَمَّىٰ يَوْمَ الْمَزِيدِ»[3].

۞ حَظُّ القَلْبِ مِنْ شُهُودِ الجُمُعَةِ

فَيَشْهَدُ العَبْدُ بقلبِه كَرامَةَ اللهِ تعالىٰ لهُ، ولإخْوانِه المُسْلِمِينَ؛ أنْ جَعَلَ لَهُمْ يومًا عَظيمًا مِنْ أَيَّامِه فِي الدُّنْيا، يُشْبِهُ أيَّامَ الجَنَّةِ فِي الآخِرَة، هُوَ عيدُهُم مِنْ كُلِّ أسبوعٍ، يعودُ عليهِمْ بالخيراتِ والبَرَكاتِ، فَيَهْجُرونَ فُرُشَهُم وزَوْجاتِهِمْ وأَسْواقَهُمْ ومَلاذَّهُمْ، ويَهْرَعُونَ مُبَكِّرينَ فيهِ إلىٰ بُيوتِ رَبِّهِمْ، يُرابِطُونَ فيهَا، ويَفِيئُونَ إليها، ويَجْتَمِعُونَ فِيها، كَمَا يَجْتَمِعُون يومَ الجُمُعَةِ في الجنَّةِ. يَلْتَمِسُون جائِزَةَ الأسبوعِ: مِنْ مَغْفِرَةِ ذُنُوبِ الأُسْبوعِ،

---

(1) الياقُوتُ: مِنَ الجَواهِرِ، وهوَ أنواعٌ، أَجْوَدُهُ الأَحْمَرُ الرُّمَّانيُّ، انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي: 1/ 163. والياقوت من أشرف الأحجار، ولابد أن يكون ياقوت الجنة أشرف وأجود من ياقوت الدنيا، انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري: 9/ 141.

(2) الزَّبَرْجَد: حَجَرٌ أَخْضَرُ شَفَّافٌ يُشْبِهُ الياقوت، انظر: خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، لمنق: 1/ 33.

(3) رواه البزار في مسنده: 14/ 69، حديث رقم: (7527)، وحسنه الألباني.

وإِجابَةِ الدَّعَواتِ، وعَظِيمِ الهِبَاتِ، ورَفِيعِ الدَّرجاتِ؛ إذْ يَجُودُ فيه الرَّبُّ تعالىٰ بالأُجُورِ ما لَا يجودُ فِي غَيْرِه. كَمَا يَشْهَدُ باجْتِمَاعِهِ بإخوانِهِ المُسْلمينَ فيهِ أُخُوَّتَهُ لسائرِ المُسْلمينَ؛ فَيَسْتَشْعِرُ حينَ يَجْتَمِعُ بِإِخْوانِهِ المسلمينَ ارْتِبَاطَهُ بِهِمْ، وانْتِسَابَهُ إليهم: لدينٍ واحِدٍ، ولأبٍ واحدٍ. كما يَشْهَدُ استجابَتَهُ لأَمْرِ إِمَامِهِمُ المُبَلِّغِ لهمْ عنْ ربِّهِمْ ﷻ، فَيَشْهَدُ رسائِلَ الرَّبِّ تعالىٰ تُرْسَلُ إليهِ، فَيَتَلَقَّاها بالقَبُولِ والمُسارَعَةِ فِي الاستِجابَةِ لِأَمْرِ المُرْسِلِ ﷻ. فإذا كانتْ ساعةُ الغُروبَ التي تُرْجَىٰ فِيهَا الإجابةُ؛ جَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ جُثُوَّ المُحْتاجِ، ومَدَّ يَدَيْهِ مَدَّ الفَقِيرِ، يُنَاشِدُ ربَّهُ حاجَاتِهِ وطَلَبَاتِه؛ لِدِينِه ودُنياهُ. كَمَا يَسْتَحْضِرُ يومَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فِي يَومِ الجُمُعَةِ المَرْقُوبَةِ؛ فَهُوَ يَتَجَهَّزُ مِنْ هَذا اليومِ لذلكَ اليومِ، ويُشارِكُ سَائِرَ دَوَابِّ الأَرْضِ فِي هَذَا اليومِ، تَرَقُّبَها للنَّفْخَةِ في الصُّورِ. كَمَا يَشْهَدُ كَرامَةَ اللهِ تعالىٰ لأهلِ الجُمُعَةِ فِي الآخِرَةِ؛ فأَهْلُ الجُمُعَةِ فِي الدُّنْيا هُمْ أَهْلُ الجُمُعَةِ فِي الآخرةِ. فَهُوَ يَتَجلَّىٰ لَهُمْ ﷻ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، ويقولُ لهُمْ: «أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعدِي، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَهَذَا مَحِلُّ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فيَقُولُ: رِضَايَ أُحِلُّكُمْ دارِي، وَأَنَالُكُمْ كَرَامَتِي»، ويَرْفَعُ

لَهُمُ المَنَابِرَ، ويُدْنِيهِمْ مِنْهُ، ويُمَتِّعُهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِهِ الكَرِيمِ، ويَكْسُوهُمْ حُلَلَ البَهَاءِ والكَرَامَةِ والجَلَالِ والجَمَالِ.

فَإِذَا شَهِدَ العَبْدُ مِنْ جُمُعَتِهِ هَذِهِ المَشَاهِدَ وأَشْبَاهَهَا؛ عاشَ الجَنَّةَ وهُوَ -بَعْدُ- عَلَىٰ الأرضِ؛ فَيَعيشُ المَسَرَّاتِ، والأَفْراحَ، وقُرَةَ العَيْنِ، وسَكِينَةَ النَّفْسِ؛ ما دَامَتِ الجُمُعَةُ، فَإِذا انْقَضَتْ جُمُعَتُهُ وَارْتَحَلَتْ؛ حَضَرَهُ أَسَفُهُ ونَدَمُهُ عَلَىٰ كُلِّ نَفَسٍ مِنْها -مِنْ شُروقِها إِلَىٰ غُرُوبِها- لَمْ يَشْغَلْهُ في طاعَةِ رَبِّهِ، وَحَضَرَهُ بَثُّه وحُزْنُه؛ شَوْقًا وحَنِينًا وتَرَقُّبًا إِلَيْها، كَحَنينِ أهلِ الجَنَّةِ وشَوْقِهِمْ وتَرَقُّبِهِمْ لِمُلاقَاةِ رَبِّهِمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ؛ فَيَأْخُذُ العَبْدُ يَعُدُّ أَوْقَاتَهُ: يَومًا يَومًا، وسَاعةً سَاعةً، ونَفَسًا نَفَسًا، ترقبًا ليومِ جُمُعَةٍ جَديدٍ؛ ويَعُودُ سَاعَةَ يَعودُ إِلَىٰ أَهْلِهِ كما يَعُودُ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَىٰ أَزْواجِهِمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ فِي الجَنَّةِ، قَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وبهاءً، وبِرًّا وإكرامًا!!!

أَلَا هَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ جادٍّ في أمرِ آخرتِهِ؛ يُصِيبُ مِنْ خيرِ الجُمُعَةِ ما أخبرَ اللهُ تعالىٰ؛ إذِ المُوَفَّقُ مَنْ وفَقَّهُ اللهُ لِمِثْلِ هذا، والمحرومُ مَنْ حُرِمَ!

۞ سابعًا: قَاعِدَةٌ فِي تَفَاضُلِ الأَعْمَالِ

مِنَ المُقَرَّرِ عِنْدَ عُلَماءِ السُّلُوكِ أَنَّ أَعْمالَ العُبَّادِ تَتَفاضَلُ تَفاضُلًا عَظِيمًا، وتَتَبايَنُ أُجورُ العَامِلِينَ تِبْعًا لِذَلِكَ تَبايُنًا كَبِيرًا، وتَتَفَاوَتُ مَرَاتِبُهُمْ عِنْدَ اللهِ تعالَىٰ كذلكَ تَفاوُتًا بَعِيدًا، «فتكُونُ صُورَةُ الْعَمَلَيْنِ وَاحِدَةً، وَبَيْنَهُمَا فِي التَّفَاضُلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالرَّجُلَانِ يَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»[1]. وإِنَّ مِعْيارَ تَفاضُلِ أَعْمالِ العُبَّادِ علَىٰ وَجْهِ العُمومِ، ورُتَبُ العَامِلِينَ يَدُورِ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ جَامِعَةٍ:

الأَوَّلُ: عُمومُ النَّفْعِ

فَكُلَّمَا عَمَّ نَفْعُ العَمَلِ؛ كانَ عِنْدَ اللهِ تعالَىٰ أَعْظَمَ، وكانَ لِصاحِبِهِ أَرْجَىٰ نَفْعًا، وكانَ صاحِبُهُ أَحْظَىٰ عِنْدَ اللهِ تعالَىٰ مَنْزِلَةً؛ فَلَيْسَ مَنْ حَرَسَ ثغرًا، كَمَنْ فَتَحَ مِصْرًا، ولَيْسَ مَنْ أَنْفَقَ دِينَارًا، كَمَنْ أَجْرَىٰ لِفُقَرَاءِ المُسْلمينَ أَرْزَاقًا؛ فَإِنَّ أَجْرَ العامِلِ يَجْرِي علَىٰ قَدْرِ انْتِفاعِ الخَلْقِ بِعَمَلِهِ، فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً

---

(1) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 1/ 340.

حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ»[1].

الثَّانِي: أَثَرُ العَمَلِ

فَكُلَّما كانَ أَثَرُ العَمَلِ أَبْلَغَ؛ كانَ أَجْرُ العامِلِ أَعْظَمَ، فَلَيْسَ مَنْ صَلَّىٰ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ، ودَمْعٍ ساكِبٍ، كَمَنْ صلَّىٰ بِقَلْبٍ غافِلٍ، وعينٍ جَامِدَةٍ، ولَيْسَ مَنْ أَنْفَقَ أموالَهُ علىٰ أَشَدِّ النَّاسِ فَقْرًا وحَاجَةً، فَأَبْدَلَ حُزْنَهُمْ سُرُورًا، وجُوعَهُمْ شَبَعًا، وعُرِيَّهُمْ كُسْوَةً، كَمَنْ لا يُبَالِي أَيْنَ وَقَعَتْ نَفَقَتُهُ، فَمَنْ أَنْفَقَ دِينارًا؛ كانَ سَبَبًا فِي سُرورِ مُسْلِمٍ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ أَنْفَقَ أَلْفًا علَىٰ مَنْ لَمْ تَشْتَدَّ حَاجَتُهُ؛ فَلَمْ يَكُنْ لَهَا أَثَرٌ؛ فعن عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ ﷻ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا»[2].

---

(1) رواه مسلم: 2/ 704، رقم: (1017).

(2) رواه الطبراني في المعجم الأوسط: 6/ 139، حديث رقم: (6026)، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج: 1/ 47، حديث رقم: (36)، وحسَّنه الألباني.

فَالَّذِي أَوْقَعَ هَذِهِ الأَعْمالَ -عَلَىٰ قِلَّتِهَا- هَذَا المَوْقِعَ عِنْدَ اللهِ تَعالَىٰ؛ أَثَرُهَا فِي نُفُوسِ النَّاسِ؛ بِإِبْدالِ الحُزْنِ سُرُورًا، والجُوعِ شَبَعًا، وذُلِّ الدَّيْنِ عِزَّ العَافِيَةِ، وبالحَاجَةِ للنَّاسِ اسْتِغْناءً عَنْهُمْ. وَهذِهِ قَاعِدَةٌ نَافِعَةٌ رَافِعَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَتَفَطَّنَ لَهَا العُبَّادُ، واللهُ تَعالَىٰ أَعْلَمُ بِأَعْمالِ العِبَادِ ومَقَاصِدِهِمْ.

الثَّالث: مَا يَقَعُ فِي قَلْبِ العَبْدِ سَاعَةَ العَمَلِ مِنْ أَعْمَالِ القُلُوبِ

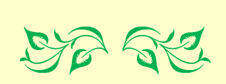
وَإِنَّ مِنْ أَهَمِّ مَعَايِيرِ تَفَاضُلِ الأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ مَا يَقَعُ فِي قَلْبِ العَبْدِ سَاعَةَ العَمَلِ مِنْ أَعْمَالِ القُلُوبِ مِنَ حَقَائِقِ الإِيمَانِ والإِخْلَاصِ والتَّعْظِيمِ، والافْتِقَارِ والمَحَبَّةِ وَتَوَابِعِهَا[1]، لَا بِكَثْرَةِ الأَعْمَالَ؛ قَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «لَقَدْ سَبَقَ إِلَىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ أَقْوامٌ، مَا كَانُوا بِأَكْثَرِ النَّاسِ صَلَاةً، وَلَا صِيامًا، وَلَا حَجًّا، وَلَا اعْتِمَارًا، لَكِنَّهُمْ عَقَلُوا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ مَوَاعِظَهُ؛ فَوَجِلَتْ مِنْهُ قُلُوبُهُمْ، وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ، وَخَشَعَتْ لَهُ جَوَارِحُهُمْ؛ فَفَاقُوا النَّاسَ بِطِيبِ المَنْزِلَةِ، وَعُلُوِّ الدَّرَجَةِ عِنْدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَعِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الآخِرَةِ»[2]، وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بنِ عَيَّاشٍ: «مَا سَبَقَكُمْ

---

(1) انظر هذا المعنىٰ كتاب: الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية: 1/ 10.

(2) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية: 1/ 11.

أَبُو بَكْرٍ ﵁ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ، وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِن بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي قَلْبِهِ»[1]، فَكُلُّ مَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ زَادَ عَلَيْكَ فِي الكَرَامَةِ والمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، فَأَعْمَالُ القُلُوبِ مَيْدَانُ التَنَافُسِ الحَقِيقِيِّ.



(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية: 1/ 82.

الفَصْلُ التَّاسِعُ:

عِبادةُ اللّهِ تَعَالَى بالأَدَبِ وحُسْنِ الخُلُقِ[1]

۞ أولًا: فَضِيلةُ الأَدَبِ

لَقَدْ كَانَ العُبَّادُ مِنْ سَلَفِنا الصَّالِحِ يَعْبُدونَ اللهَ تَعَالىٰ، ويتقَرَّبون إليه بالأدبِ وحُسْنِ الخُلُقِ، كَمَا يَتَعَبَّدُونَه، ويتقرَّبونَ إليه بِصَلاتِهم وزَكَاتِهِمْ وصِيَامِهِمْ وحَجِّهِمْ وجِهادِهِمْ، وإِنَّنَا بِتْنَا فِي زَمَانٍ حَاجتُنَا فِيهِ إِلَىٰ قَلِيلٍ مِنَ الأَدَبِ أَكْثَرُ مِنْ حَاجَتِنا إِلَىٰ كثيرٍ مِنَ العِبَادَةِ. ولَقَدْ أَضْحَتْ هذِهِ العُبُودِيَّةُ غَائِبَةً مِنْ حَيَاةِ النَّاسِ، لاسِيَّما فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَأَكْثَرُ الناسِ لا يَعُدُّونَها عُبوديةً، فَلا يَعْلَمُونَ مِنَ العُبُودِيَّةِ إلا الفَرَائِضَ الخَمْسَ، مُجَرَّدَةً مِنَ الأخلاقِ، خَالِيةً مِنَ الأَدَبِ معَ الخَالِقِ سُبْحَانَهُ؛ فَتَرَىٰ العابدَ مُصليًا قائمًا بِعِبَادَاتِهِ، ثمَّ تَرَاهُ كَذَّابًا، أَوْ مُغتابًا للمُسْلِمِينَ، أو مُتَتَبِّعًا لِعَوْرَاتِهم، أَوْ مُتَسَمِّعًا إِلَيْها، أَوْ قَاطِعًا للرَّحِمِ، أَوْ مُسِيئًا للجِوارِ، أَوْ غَاشًّا، غيرَ مُتْقِنٍ

---

(1) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ بعنوان: (الأَدَبُ العَالِي، سِلْسِلَةُ الآدَابِ الإِسْلَامِيَّةِ والشَّمَائِلِ الرَّبَّانِيَّةِ)، جُمِعَتْ خمسُمائَةٍ وخَمْسَةٌ وخَمْسونَ حديثًا فِي الآدَابِ العَامَّةِ والخَاصَّةِ، مَشْرُوحَةً، ومَشْحُونَةً بالفَوَائِدِ النَّافِعَةِ.

لِعَمَلِهِ الذِي يَقْتَاتُ مِنْهُ، غيرَ نَاصِحٍ للمُسْلِمينَ فِيمَا أَوْكَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ أَعْمالِهم، ... نعوذُ باللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الغَفْلَةِ، وقِلَّةِ الأَدَبِ، وَسُوءِ الخُلُقِ!

وإِنَّ النبيَّ ﷺ أخبر أنَّ العَبْدَ يَبْلغُ بحُسْنِ خُلُقِه ما لا يبلُغُه العابدُ بطولِ عبادتِهِ، فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ: الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ[1]، وَالمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ، وَالمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ»[2].

وَلَا يَزَالُ الخُلُقُ الحَسَنُ بِصَاحِبِه حتَّىٰ يرفَعَهُ أَعَالِي مَنَازِلِ الجَنَّةِ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ

---

(1) الثَرْثَارُونَ: كَثِيرُو الكَلَامِ، المُتَفَيْهِقُونَ: الذِينَ يَتَعَمَّقُونَ فِي الكَلَامِ، والتَّشَدُّقُ: تَكَلُّفُ السَّجْعِ والفَصَاحَةِ والتَّصَنُّعُ بالمَقَامَاتِ، انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان: 5/ 85.

(2) رواه الترمذي في سننه: 4/ 370، حديث رقم: (2018)، وصحَّحه الألباني.

لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ[1]، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[2].

وإنَّ العَبْدَ ليَجِدُ أثقلَ شَيْءٍ يَوْمٍ يَشْهَدُ مِيزانَهُ يومَ القِيامَةِ الخُلُقَ الحَسَنَ، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»[3].

وإن حُسْنَ الخُلُقِ مُقَدَّم عَلَىٰ كَثْرَةِ العِبَادَةِ، إِذَا أُفْرِدَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، فإِذَا اجْتَمَعا؛ تَمَّ الخَيْرُ، وكَانَ الكَمَالُ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا

---

(1) المِرَاء: المجادلة بغير حَقٍّ، انظرْ: جمهرة اللغة، لابن دريد: 2/ 1069.

(2) رواه أبو داود: 4/ 235، حديث رقم: (4800)، وحسنه الألباني.

(3) رواه الترمذي في سننه: 3/ 431، حديث رقم: (2003)، وصحَّحه الألباني.

تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ[1]، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»[2].

والأَدَبُ الذِي انْتَدَبَنَا اللهُ تَعالىٰ إِليهِ أَدبانِ: أَدَبٌ مَعَ الخَالِقِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، وأَدَبٌ مَعَ المَخْلُوقِ.

۞ ثانيًا: الأدبُ الأَوَّلُ: الأدبُ مَعَ الخالِقِ سُبْحَانَهُ

أَلَا إِنَّ الأَدَبَ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ رأسُ الأَمْرِ، وإِنَّ الأدبَ مَعَ الخَلْقِ لَهُ تَبَعٌ، فتأدُّبُ العبدِ مَعَ خَلْقِ الله ﷻ فَرْعٌ عن تأدُّبِهِ مع الخالقِ سُبْحَانَهُ، الذِي أَمَرَهُ بهذا الأدبِ، فطاعةُ اللهِ ﷻ بإحسانِ الخُلُقِ مَعَ الخَلْقِ أَدَبٌ مَعَ اللهِ تَعالَىٰ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ.

---

(1) الأثوارُ: جَمْعُ ثَوْرٍ، والثَّوْرُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الأَقِطِ، والأَقِطُ: شَيْء يُعْملُ من اللَّبَنِ ويُجَفَّفُ، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّهَا تَتَصَدَّقُ بِقِطَعٍ مِنْهُ، وَفِيه إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ صَدَقَتَهَا بِالنِّسْبَةِ لِتِلْكَ الْمَرْأَةِ قَلِيلَةٌ جِدًّا، انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي: 3/ 581.

(2) رواه أحمد في مسنده: 15/ 421، حديث رقم: (9675)، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

وإذا ما كانَتِ العباداتُ البَدَنِيَّةُ والمَالِيَّةُ، فَرائِضَ البَدَنِ والجوارحِ، فإنَّ الأدبَ مَعَ اللهِ تعالَىٰ فَرْضُ البَدَنِ والقلبِ مَعًا، وإذا كانَتِ العباداتُ الظاهرةُ موقوتةً بِوَقْتٍ، مَخْصُوصةً بِزَمَنٍ، فَإِنَّ عبوديةَ الأدبِ مَعَ اللهِ ﷻ دائمةٌ غيرُ مُنْقَطِعَةٍ ولا مَوْقُوتَةٍ بِزَمَنٍ، فهي عبوديةٌ دائمةٌ مُلَازِمَةٌ لِلْعَبْدِ، لا يَنْفَكُّ عنها علَىٰ مَدَىٰ الأنفاسِ، وَإِنَّ العباداتِ إذا خَلَتْ مِنَ الأَدَبِ مَعَ اللهِ؛ كانتْ قليلةَ الجَدْوَىٰ، إلَىٰ العقوبةِ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَىٰ الثَّوَابِ.

الأدبُ الأَوَّلُ مَعَ اللّهِ تَعَالَى: أَدَبُ الصِّدْقِ

فَمِنَ الأَدَبِ مَعَ اللهِ ﷻ مَثَلًا: معاملةُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالصِّدْقِ، فَيَكُونُ العَبْدُ صادقًا مَعَ رَبِّهِ ﷻ، يُوَاطِئُ قَلْبُهُ لسانَه، وَيُوَافِقُ حَالُهُ مَقَالَهُ في عباداتِهِ كُلِّها، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كذلكَ، فَهُوَ المَقْتُ مِنَ اللهِ تعالَىٰ، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، فإذا حَمِدَ العبدُ الصادقُ ربَّه بِلِسَانِهِ، امتلأَ قلبُهُ بِصِدْقِ الحَمْدِ، وحُضُورِ مَعَانِي الثَّنَاءِ الجَمِيلِ عَلَىٰ المُنْعِمِ المُتَفَضِّلِ، وإذا سَبَّحَهُ بلسانِهِ، صَدَّقَ قلبُهُ لِسَانَه، فَنَزَّهَ رَبَّهُ ﷻ بقلبِهِ وَفِكْرِه عَنْ كلِّ نَقْصٍ، وأَثبَتَ لَهُ كُلَّ كمالٍ يَلِيقُ بِهِ سبحانَهُ، وإذا استغفرَ رَبَّهَ ﷻ، استغفرَهُ بِقَلْبٍ صادقٍ

---

(1) الصف: 3.

مُنْكَسِرٍ، مُعْتَرِفًا بعيوبِهِ، مُقِرًّا بتقصيرِهِ، مُتَمَلِّقًا[1] رَبَّهُ، راجيًا منه العَفْوَ والصَّفْحَ والغُفْرَانَ، وَأَلَّا يَأْخُذَهُ بِزَلَّاتِهِ وَذُنُوبِهِ.

وإذا وقفَ بينَ يديْهِ للصَّلاةِ وَقَفَ بِصِدْقِ أَدَبٍ وخشوعٍ، فإذا كَبَّرَ ربَّهُ ﷻ؛ صَغُرَ فِي قَلْبِهِ كُلُّ ما سِوَىٰ اللهِ تعالَىٰ، وكانَ اللهُ ﷻ فِي قَلْبِهِ أَكْبَرَ كلِّ شيءٍ، فَنَزَّهَ قلبَهُ مِنْ أنْ يُسَاكِنَ سِوَاهُ، فإذا تَلَا كلامَهُ، تَلاهُ بِصِدْقٍ وأَدَبٍ.

فَيَحْضُرُ مَعْنَىٰ النِّعْمَةِ وَحَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهَا مَعَ آياتِ الحَمْدِ، وَيَحْضُرُ عندَ ذِكْرِ (الرَّبِّ) مَعْنَىٰ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تعالَىٰ، مِنْ قيامِهِ علَىٰ مصالِحِ خَلْقِهِ، وَتَفَرُّدِهِ في التَّصَرُّفِ بِشُئُونِهِمْ: خَلْقًا، وَمَوْتًا، وَرِزْقًا، وأنه المُرَبِّي لجميعِ المَخْلوقَاتِ، مِنْ طَوْرٍ إلَىٰ طَوْرٍ، مِنَ النُّطْفَةِ، إلَىٰ العَلَقَةِ، إلىٰ أَنْ يصيرَ بَشَرًا سَوِيًّا.

وَيَحْضُرُ عندَ ذِكْرِ (الله) معنىٰ صِدْقِ التَّأَلُّهِ، مِنْ تَفَرُّدِه تعالَىٰ في اسْتِحْقَاقِ كمالِ العبادةِ، المُقْتَضِيَةِ لكمالِ المحبةِ، مَعَ كمالِ الطاعةِ.

---

(1) التَّمَلُّقُ: التَّوَدُّدُ الشديدُ والتَّذَلُّلُ. وفي التملق نوع تَوَدُّدٍ من المُحِبّ إلىٰ المحبوب فلابد أن يجري بينهما أسرار، انظرْ: شمس العلوم، لنشوان: 9/ 6383، ومجمع بحار الأنوار، للكجراتي: 5/ 627.

كَمَا يَحْضُرُ فِي قَلْبِهِ عندَ ذِكْرِ (الرَّحْمَن) مَعْنَىٰ الرَّحْمَةِ الشاملةِ الواسعةِ، وَأَنَّ رحمتَهُ سَبقَتْ غَضَبَهُ، وأنَّ رحمتَهُ له بِجَعْلِهِ مِنْ جُمْلةِ المسلِمِينَ أعظمَ مِنْ رحمتِهِ لَهُ بِخَلْقِهِ وَرِزْقِهِ.

كَمَا يَحْضُرُ عِنْد ذِكْرِ (المَالِك) مَعْنَىٰ كَمَالِ مُلْكِ اللهِ تَعَالَىٰ، وأنَّهُ المَالِكُ الحَقُّ لِلْعَالَمِ العُلْوِيِّ والعالَمِ السُّفْلِيِّ، وأَنَّ كُلَّ الملوكِ والمَمَالِكِ في قبضتِهِ وتحتَ تَصَرُّفِهِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ.

فإذا ما ذُكِرَتِ النَّارُ؛ تَمَثَّلَ النارَ بينَ عَيْنَيْهِ؛ فَفَرَّ مِنْ كُلِّ مَا يُقَرِّبُ مِنْهَا، وإذا ذُكِرَتِ الجَنَّةُ تَمَثَّلَهَا تِلْقَاءَ وَجْهِهِ؛ فَأَسْرَعَ إِلَىٰ كُلِّ مَا يُقَرِّبُ مِنْهَا، وَإِذَا مَا ذُكِرَتْ قَصَصُ الأنبياءُ، وأخبارُ الأُمَمِ؛ تَنَقَّلَ معهم بِروحِهِ ووجدانِهِ كأَنَّهُ مِنْ أتباعِهِمْ، يَفْرَحُ لِنَصْرِهِمْ، وَيَحْزَنُ لابْتلائِهِمْ، وهكذا شأنُهُ فِي تِلَاوَتِهِ كُلِّها.

فإذا ذُكِرَتْ أوامرُ الرَّبِّ تَبارَك تعالَىٰ؛ كانَ أَسْرَعَ شَيْءٍ إِلَىٰ الطَّاعَةِ وامْتِثَالِ الأَمْرِ. وإذا ذُكِرَتْ نواهِيهِ، كانَ أَسْرَعَ شَيْءٍ إِلَىٰ التَّرْكِ والتَّبَاعُدِ عَنِ المَنْهِيِّ.

فإذا رَكَعَ ظَهْرُهُ، وافَقَ قلبُهُ ظَهْرَهُ، فَرَكَعَ قلبُهُ وانكسَرَ كِسْرةً تُضاهِي كِسْرَةَ الظَّهْرِ عندَ ركوعِهِ. فإذا ما انتصبَ مِنْ رُكُوعِهِ، انتصبَ خاشعًا ذليلًا

حامدًا لِرَبِّهِ، مُثْنِيًا عليه بما هو أَهْلُهُ؛ فإذا خَرَّ ساجدًا، وَوَضَعَ صَفْحَةَ وَجْهِهِ علَىٰ الأرضِ، وافقَ قلبُهُ أَرْكَانَهُ، فخَرَّ بِصَفْحَةِ قَلْبِهِ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ سُبْحَانَهُ، يُمَرِّغُ جَبْهَتَهُ بِذُلٍّ وخُشُوعٍ وافْتِقَارٍ. فَإِذَا جَلَسَ للتَّشَهُّدِ، وجَثَا علىٰ ركبتَيْهِ، جَثَا بقلبِهِ كَمَا يَجْثُو العَبْدُ الذَّليلُ بينَ يَدَيْ سَيِّدِهِ العَزِيزِ.

فإذا حَيَّاهُ بالتَّحِيَّاتِ؛ حَيَّاهُ بِقَلْبِهِ ولِسَانِهِ، أَعْظَمَ مِمَّا تُحَيِّي العَبِيدُ مُلُوكَهَا وأَسْيَادَها فِي الدُّنْيا.

وَهَكَذَا شأنُهُ فِي صَلَاتِهِ كُلِّها، لا يَلْتَفِتْ بقلبِهِ عن ربِّهِ ﷻ إلىٰ شَيْءٍ مِنْ أمورِ الدُّنْيا؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ اللهَ تعالَىٰ نَاصِبٌ وَجْهَهُ قِبَلَ وَجْهِهِ، كَمَا فِي الحَدِيثِ: «فَإِنَّ اللهَ ﷻ، يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ؛ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ»[1].

فإذا ذَكَرَ رَبَّهُ وَدَعَاهُ عُقَيْبَ الصلاةِ، صَدَقَ اللهَ تعالَىٰ في ذِكْرِهِ ودعائِهِ، كَمَا صَدَقَهُ في صلاتِهِ وتلاوتِهِ؛ فَهُوَ يُراعِي مَوْضِعَ نَظَرِ اللهِ تَعالَىٰ إليه؛ إِذْ نَظَرَ اللهُ تعالَىٰ مِنَ العَبْدِ إلَىٰ قلبِهِ، كَمَا قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ، وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ»[2].

(1) رواه الترمذي في سننه: 5/ 148، حديث رقم: (2863)، وصحَّحه الألباني.

(2) رواه مسلم: 4/ 1986، حديث رقم: (2564).

ثُمَّ هُوَ يَحْذَرُ أَنْ يَرَاهُ اللهُ ﷻ كَذَّابًا؛ يَرْكَعُ ظَهْرُهُ، وَيَسْجُدُ رأسُهُ، ويقومُ فِي مِحْرَابِهِ جَسَدُهُ، فَيَنْظُرُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ قلبِهِ، فَيَرَاهُ فِي أوديةِ الدُّنْيَا يَهِيمُ، يَجُولِ بِفِكْرِهِ فِي الأَسْوَاقِ والأَعْمالِ، مَعَ المَالِ والأَهْلِ والوَلَدِ والأَصْحَابِ؛ فَيُغْلِقُ مَا بينَه وبينَه الحِجَابَ؛ كما يَحْذرُ أنْ يناجيَهَ بلسانِهِ: اللَّهُمَّ إني أَدْعُوكَ دعاءَ الفقيرِ، وأَبْتَهِلُ إليكَ ابْتِهَالَ المِسْكِينِ، فَيَطَّلِعُ علَىٰ قلبِهِ، فَلا يكونُ ثَمَّ فَقْرٌ ولا انْكِسَارٌ؛ يَدَاهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مَمْدُودَةٌ، وقلبُهُ مُتَوَجِّهٌ إِلَىٰ سِوَاهُ؛ فَيُغْلِقُ دُونَ إجابَتِهِ الحُجُبَ والسُّتورَ والأَبْوابَ! فَعَلَىٰ العَبْدِ «أَنْ يُرَاعِيَ مَعْنَىٰ الصِّدْقِ فِي أَلْفَاظِهِ الَّتِي يُنَاجِي بِهَا رَبَّهُ، كَقَوْلِهِ: (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السمواتِ والأرضَ)، فَإِنَّ قَلْبَهُ إِنْ كَانَ مُنْصَرِفًا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، مَشْغُولًا بِأَمَانِي الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهِ؛ فَهُوَ كَذِبٌ، وكقوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وقوله: (أَنَا عَبْدُ اللهِ) فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَتَّصِفْ بِحَقِيقَةِ الْعُبُودِيَّةِ، وَكَانَ لَهُ مَطْلَبٌ سِوَىٰ اللهِ ﷻ؛ لَمْ يَكُنْ كَلَامُهُ صِدْقًا، وَلَوْ طُولِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالصِّدْقِ فِي قَوْلِهِ: (أَنَا عَبْدُ اللهِ)؛ لَعَجَزَ»[1].

---

(1) انظرْ: إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: 4/ 388.

۞ الأدبُ الثاني مَعَ اللّهِ تَعَالَى: أَدَبُ الحَيَاءِ

وَمِنَ الأَدَبِ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يُعَامِلَ العَبْدَ رَبَّهُ بِخُلُقِ الحياءِ؛ كما أَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ ؛ فَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ»[1].

فَيَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّهِ أنْ يَرَىٰ قَلبَهُ مُنصرفًا إلىٰ غيرِهِ، مُتعلقًا بِسِوَاهُ، كَمَا يَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّهِ أنْ يراهُ مُتهاوِنًا في طاعَتِهِ، أَوْ مُقيمًا علَىٰ مَعْصِيتِهِ، فَلَا يَعْلَمُ أمرًا يُحِبُّهُ اللهُ تعالَىٰ، إِلَّا ويبادِرُ في امتثالِهِ، ولا يَعْلَمُ أمرًا يَكْرَهُهُ اللهُ تعالَىٰ وينْهَىٰ عَنْهُ، إِلَّا وَيُسَارِعُ في التَّنَائِي عَنْهُ، تَنَائِيَهُ عَنِ السِّبَاعِ الضَّارِيَةِ، والآفَاتِ المُهْلِكَةِ؛ فَيَتَنَزَّهُ عَنِ المَعَاصِي، كَمَا يَتَنَزَّهُ مِنَ الأَوْسَاخِ والأَقْذَارِ؛ يُرَاعِي نَظَرَ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ، قالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ لِسَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ: «يَا أَبَا حَازِمٍ أَوْصِنِي، قَالَ: نَعَمْ سَوْفَ أُوصِيكَ وَأُوجِزُ: نَزِّهِ اللهَ تَعَالَىٰ، وَعَظِّمْهُ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ، أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، ثُمَّ قَامَ، فَلَمَّا وَلَّىٰ، قَالَ: يَا أَبَا حَازِمٍ، هَذِهِ مِائَةُ دِينَارٍ أَنْفِقْهَا، وَلَكَ عِنْدِي أَمْثَالُهَا كَثِيرٌ، فَرَمَىٰ بِهَا، وَقَالَ:

---

(1) رواه الترمذي في سننه: 4/ 637، حديث رقم: (2458)، وحسنه الألباني.

وَاللهِ مَا أَرْضَاهَا لَكَ، فَكَيْفَ أَرْضَاهَا لِنَفْسِي[1]، إِنِّي أُعِيذُكَ بِاللهِ أَنْ يَكُونَ سُؤَالُكَ إِيَّايَ هَزْلًا، وَرَدِّي عَلَيْكَ بَذْلًا[2]»[3].

فيكونُ العَبْدُ مِنَ اللهِ تعالَىٰ أَشَدَّ استحياءً مِنْ عَزِيزِ قَوْمِهِ، إذا ما رآهُ علىٰ ما يَكْرَهُ؛ فَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ، قُلْتُ: وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا، قَالَ: فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ»[4].

---

(1) يَعْنِي لا أَرْضَىٰ أنْ تَكُونَ الدُّنْيا مِلْءُ قَلْبِكَ؛ فَكَيْفَ أَرْضَىٰ ذَلِكَ لِنَفْسِي.

(2) يَعْنِي أَنْ يَكُونَ سُؤَالُكَ لِي بِقَصْدِ اللَّعِبِ، وجَوابِي لَكَ بِقَصْدِ طَلَبِ المَالِ والعِوَضِ عَلَيْهِ.

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعَيْم: 3/ 234.

(4) رواه الترمذي في سننه: 5/ 97، حديث رقم: (2769)، وحسَّنه الألباني.

وعَنْ سَعِيدِ بْـنِ يَزِيـدَ الأَزْدِيِّ، أَنَّـهُ قَـالَ لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ أَوْصِنِي؟ قَـالَ: «أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ اللهَ كَمَا تَسْتَحِي رَجُـلًا صَـالِحًا مِـنْ قَوْمِكَ»[1]، قَـالَ محمـدُ بْـنُ نَصْـرٍ المَـرْوَزِيُّ فِـي تَعْقِيبِـهِ عَلَـىٰ الحَـدِيثِ: «أَلَسْـتَ تَـرَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَلِمَ أَنَّ رَجُلًا صَالِحًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، أَوْ يَسْـمَعُ كَلَامَـهُ؛ أَمْسَـكَ عَـنْ كُلِّ مَا يَخَافُ أَنْ يَمْقُتَهُ عَلَيْهِ، أَوْ يَضَعُ مِنْ قَـدْرِهِ عِنْـدَهُ، وَلَـوْ عَلِـمَ أَنَّـهُ يَطَّلِعُ عَلَىٰ مَا فِي ضَمِيرِهِ؛ لَمَا أَضْمَرَ إِلَّا عَلَىٰ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يُحَسِّنُهُ عِنْدَهُ، وَيُجَمِّلُـه، وَكَذَلِكَ يَسْتَحِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ، فَأَجْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ تَفْسِيرَ الْحَيَاءِ مِنَ اللهِ ﷻ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ، فَمَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ فِيمَا يُظْهِـرُ -وَكُـلُّ شَيْءٍ ظَـاهِرٌ لَـهُ- كَمَـا يَسْـتَحِي مِـنَ الرَّجُـلِ الصَّـالِحِ؛ فَقَـدِ اسْـتَحْيَا مِـنَ اللهِ تَعَالَىٰ حَقَّ الْحَيَاءِ؛ لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِأَنَّ اللهَ ﷻ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِـهِ، فَـلَا يَـدَعُ قَلْبَهُ يُضْمِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا يَكْرَهُ إِنْ عَرَضَ لَهُ: رِيَاءٌ فِي عَمَلٍ، أَوْ عُجْبٌ، أَوْ كِبْرٌ؛ ذَكَرَ نَظَرَ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَيْـهِ؛ فَاسْـتَحْيَا مِنْـهُ أَنْ يَـرَىٰ ذَلِـكَ فِـي قَلْبِـهِ فَتَرَكَـهُ، وَاسْتَحْيَا أَيْضًا مِنْ كُلِّ نَقْصٍ يَدْخُلُ فِيـهِ مِـنْ فُضُـولِ الـدُّنْيَا، أَوْ مِـنْ فُضُـولِ الْكَلَامِ، وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ زَهَّدَهُ فِي ذَلِكَ، وَرَغَّبَهُ فِي

---

(1) رواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة: 2/ 827، حديث رقم: (826)، والطبراني في المعجم الكبير: 6/ 69، حديث رقم: (5539)، وصححه الألباني.

تَرْكِهِ، فَهُوَ يَسْتَحِي أَنْ يَرَاهُ رَاغِبًا فِيمَا زَهَّدَهُ فِيهِ، وَكَذَلِكَ إِنْ خَافَ غَيْرَهُ اسْتَحْيَا مِنْهُ أَنْ يَرَاهُ يَخَافُ غَيْرَهُ، أَوْ يَرْجُوهُ، أَوْ يَطْمَعُ فِيهِ»[1].

عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه، يَخْطُبُ النَّاسَ وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ، فَإِنِّي؛ لَأَظَلُّ إِذَا أَتَيْتُ الْخَلَاءَ، أُغَطِّي رَأْسِي اسْتِحْيَاءً مِنْ رَبِّي»[2].

وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ: «إِنِّي لَأَغْتَسِلُ فِي الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ، فَمَا أُقِيمُ صُلْبِي؛ حَيَاءً مِنْ رَبِّي حَتَّىٰ آخُذَ ثَوْبِي»[3].

وعَنِ الْهَيْثَمِ بْنَ جَمَّازٍ، قَالَ: «كَانَتْ لِي امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، وَكُنْتُ لَا أَصْبِرُ مَعَهَا عَلَىٰ السَّهَرِ، فَكُنْتُ إِذَا تَرُشُّ عَلَيَّ الْمَاءَ، وَتُنَبِّهُنِي بِرِجْلِهَا وَتَقُولُ: مَا تَسْتَحِي مِنَ اللهِ عز وجل إِلَىٰ كَمْ هَذَا الْغَطِيطُ، قَالَ: «فَوَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَسْتَحِي مِمَّا تَصْنَعُ»[4].

---

(1) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي: 2/ 828.

(2) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي: 2/ 829.

(3) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي: 2/ 829.

(4) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي: 2/ 835.

قـالَ مُحَمَّدُ بـنُ نَصْرٍ: «فكَـانَ الْحَيَاءُ الَّذِي حَمَلَ هَؤُلَاءِ عَلَىٰ هَـذِهِ الْأَفْعَالِ غَيْرَ فَرْضٍ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُ نَافِلَةٌ مِنَ النَّوَافِلِ وَفَضِيلَةٌ، وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا هِيَ عَلَامَاتُ الْحَيَاءِ، الَّذِي يُهَيِّجُهُ ذِكْرُ اطِّلَاعِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ»[1].

وهكذا عَهْدُهُ مَعَ رَبِّهِ ﷻ فِي كُلِّ أَدَبٍ انْتَدَبَ اللهُ تعالَىٰ عبادَهُ إليه، وأَحَبَّ مِنْهُمْ أَنْ يُعَامِلُوا خَلْقَهُ بِهِ، مِمَّا يَلِيقُ أَنْ يُعامِلَ العبدُ بِهِ رَبَّهُ ﷻ، كالتَّواضُعِ، والتَّعْظيمِ، والوَفَاءِ... فإِنَّ اللهَ تعالَىٰ أَوْلَىٰ أَنْ يُعامَلَ بِهَا علَىٰ وَجْهِ الكَمَالِ اللَّائِقِ بِجَلَالِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَعَظَمَتِهِ.

۞ ثالثًا: الأَدَبُ الثَّانِي: الأَدَبُ مَعَ الخَلْقِ

وهذا الأدبُ فَرْعٌ عنِ الأدبِ معَ الخالقِ سبحانَهُ، فَمَنْ عامَلَ الخَلْقَ بِحُسْنِ أَدَبٍ، فهو مُعَامِلٌ للهِ تعالَىٰ بِحُسْنِ أدبٍ مِنْ بابِ اللُّزُومِ، فالخَلْقُ خَلْقُه، وهو أَوْلَىٰ بهِمْ مِنْ أنفسِهم وأهليهم والناسِ أَجْمَعِينَ، فَمَنْ أَحْسَنَ الخُلُقَ والأدبَ مَعَهُمْ، فَقَدْ أَحْسَنَ الأدبَ مَعَ سَيِّدِهِمْ ومَوْلاهُمُ الحَقِّ. والأَمْرُ فِي مُعَامَلَتِهِمْ بِحُسْنِ خُلُقٍ هو أَمْرُ اللهِ تعالَىٰ، فَمَنْ أطاعَ اللهَ تعالَىٰ فِي أَمْرِهِ؛ فَقَدْ أحسنَ الأدبَ مع ربِّهِ ﷻ، وَإِنَّ اللهَ تعالَىٰ كما وَعَدَ علَىٰ

---

(1) انظرْ: تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي: 2/ 836.

حُسْنِ الخُلُقِ أعلَىٰ المنازِلِ، فإنه تعالَىٰ توَعَّدَ مَنْ أساءَ خُلُقَه مَعَ خَلْقِ اللهِ تعالَىٰ أشدَّ الوعيدِ، فتَوَعَّدَ في كتابِهِ، وعلَىٰ لسانِ نبيِّهِ ﷺ مَنْ يُسِيءُ خُلُقَهُ مَعَ المسلِمِينَ، فتَوَعَّدَ الكذَّابَ، والغَشَّاشَ، والمُغْتَابَ، والنَّمَّامَ، والساعِيَ بين الناسِ بالفتنةِ، والمُرَابِيَ، والمُطَفِّفَ فِي المِيزَانِ، والآكِلَ حقوقَ النَّاسِ بالباطِلِ، والمُتَكَبِّرَ، المُتَعَالِيَ علىٰ الخَلْقِ، والمُسِيءَ الجوارَ، وقاطِعَ الرَّحِمِ؛ كما توَعَّدَ المُقَصِّرَ فِي الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والصِّيامِ والحَجِّ وسائِرِ العباداتِ.

۞ الأدبُ الأَوَّلُ مَعَ الخَلْقِ: الأَدَبُ مَعَ الوَالِدَيْنِ

فَلْتَكُنْ -إذا أَرَدْتَ كمالَ العبادةِ- مُتَأَدِّبًا مَعَ سائِرِ المسلمينَ بِحُسْنِ الخُلُقِ: فاضلًا في بيتِكَ، مَعَ والِدَيْكَ، وزوجَتِكَ، وأَوْلادِكَ؛ فإنَّ خيرَ الناسِ خيرُهُم لأَهْلِهِ.

فَكُنْ بَارًّا بوالدَيْكَ رحيمًا بِهِمَا، فَهُمَا وصيَّةُ اللهِ إليكَ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾[1].

---

(1) الأحقاف: 15.

واحْذَرِ الحَذَرَ كُلَّهُ عُقُوقَ الوَالِدَيْنِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَإِنَّ عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، مما يُعَجِّلُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وعَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ سُئِلَ: «عَنِ الْعُقُوقِ، فَقَالَ: إِذَا أَمَرَكَ أَبَوَاكَ فَلَمْ تُطِعْهُمَا فَقَدْ عَقَقْتَهُمَا، وَإِذَا دَعَوَا عَلَيْكَ فَقَدْ عَقَقْتَهُمَا الْعُقُوقَ كُلَّهُ»(1).

وإِيَّاكَ أَنْ تَتَأَفَّفَ، أو تَتَضَجَّرَ منهما، قال ابنُ جَرِيرٍ في قولِهِ: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ «يقولُ: فَلَا تُؤَفِّفْ مِنْ شَيْءٍ تَرَاهُ مِنْ أَحَدِهِما أَوْ مِنْهُما؛ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ بِهِ النَّاسُ، ولكنْ اصبرْ علىٰ ذلكَ مِنْهُمَا، واحْتَسِبْ في الأَجْرِ صَبْرَكَ عَلَيْهِ مِنْهُمَا، كَمَا صَبَرَا عَلَيْكَ في صِغَرِكَ، فعنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، في قولِهِ: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ قالَ: إِنْ بَلَغَا عِنْدَكَ مِنَ الكِبَرِ مَا يَبُولَانِ ويَخْرَآنِ، فَلَا تَقُلْ لهما أُفٍّ؛ تَتَقَذَّرُهُمَا. وعنِ ابنِ جُرَيْجٍ، عَنْ مُجاهِدٍ: إِمَّا يَبْلُغَانِ عِندكَ الكِبَرَ؛ فَلَا تَقُلْ لهُما: أُفٍّ حِينَ تَرَىٰ الأَذَىٰ، وتُمِيطُ عَنْهُمَا الخَرَاءَ والبَوْلَ، كَمَا كَانَا يُمِيطَانِهِ عَنْكَ صَغِيرًا، ولا تُؤْذِهِمَا»(2).

---

(1) البِرُّ والصِّلَةُ؛ لابن الجوزي: 1/ 118.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، سورة الإسراء: 17/ 415.

لَبِّ لَهُمَا مَا أَرَادَا، إلَّا أَنْ يَأْمُرَاكَ بمعصيةٍ، فَإِنَّ النبيَّ ﷺ يقولُ: «وَأَطِعْ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دنياك؛ فاخرج لهما»[1]، وفِي رِوَايَةٍ: «وَلَا تَعُقَّنَّ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ»[2].

تَذَلَّلْ لَهُمَا بِخُضُوعٍ وخَفْضِ جَنَاحٍ، وادْعُ اللهَ تَعَالَىٰ لَهُمَا كَمَا أرشدَكَ سُبْحَانَهُ بقولِهِ: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[3]. وَعَنْ عُرْوَةَ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ قَالَ: إِذَا دَعَوَاكَ؛ فَقُلْ: لَبَّيْكُمَا، وسَعْدَيْكُمَا. وعَنْ قتَادَة رضي الله عنه، قَالَ: قولًا لَيِّنًا سَهْلًا.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، يَقُولُ: اخضعْ لِوَالِدَيْكَ، كَمَا يَخْضَعُ الْعَبْدُ لِلسَّيِّدِ الفَظِّ الغَلِيظِ»[4].

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد: 1/ 20، حديث رقم: (18)، وصحَّحه الألباني.

(2) رواه أحمد في مسنده: 36/ 392، حديث رقم: (22075)، وصحَّحه الألباني.

(3) الإسراء: 15.

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، سورة الإسراء: 7/ 2323.

واحْذَرْ أَنْ تُجَادِلَهُمَا؛ لِتُظْهِرَ الغَلَبَةَ عَلَيْهِمَا فِي الحُجَّةَ، وَإِنْ كُنْتَ تَظُنُّ الحَقَّ كُلَّهُ مَعَكَ؛ فعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، قَالَ: «إِيجَابُ الْحُجَّةِ عَلَىٰ الْوَالِدِ عُقُوقٌ»[1].

فَتَحَيَّنْ أوقاتَ الإجابةِ، وارفعْ يَدَيْكَ، وَقُلْ: رَبِّ اغْفِرْ لِوَالِدَيَّ، وارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صغيرًا، في الصباحِ والمساءِ، وفي سجودِكَ في الصلواتِ، وَإِنِ استطعْتَ فَتَصَدَّقْ عنهما، ولْيَكْثُرْ هذا مِنْكَ إذا فَارَقَا الحياةَ، فإذا انْقَطَعَ عَمَلُهُمَا مِنَ الدنيا؛ فَكُنْ أَنْتَ عَمَلَهُمَا الذي لم يَنْقَطِعْ. واعلمْ أَنَّكَ كَمَا تَكُونُ لَهُمَا؛ يَكُنْ لَكَ أبناؤُكَ، وَاحِدَةٌ بِوَاحِدَةٍ.

۞ الأدبُ الثانِي مَعَ الخَلْقِ: الأَدَبُ مَعَ الزَّوْجَةِ[2]

اسْتَوْصِ بزوجتِك خيرًا؛ ولتعاملْها بالحُبِّ، والحَنَانِ، والرحمةِ، والرِّفْقِ، والصَّبْرِ، والاحْتِمَالِ عَلَىٰ زَلَّاتِها، واذكرْ أَحْسَنَ مَا فِيهَا، واسْتُرْ عَيْبَها وزلَّتَها، ولا تَنْشُرْها حتَّىٰ لِأُمِّكَ وأُخْتِكَ؛ فقلَّ أن يَكْمُلَ بَشَرٌ فإنها

---

(1) البِرُّ والصِّلَةُ؛ لابن الجوزي: 1/ 118.

(2) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ بِعُنْوَانِ: (المِائَةُ النِّسْوِيَّةِ فِي إِنْفَاذِ الوَصِيَّةِ)، جَمَعْنَا فيهِ مِائَةً مِنَ الأَحاديثِ الخَاصَّةِ بالنِّسَاءِ، مَشْرُوحَةً مَشْحُونةً بالفَوائِدِ، تُصْلِحُ للمَرْأَةِ دِينَهَا ودُنْيَاهَا، كَما صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ بعنوان: (رِسَالَةٌ إِلَىٰ أُخْتِ الإِسْلَامِ)؛ فِيهِ مَعَانٍ تَرْبَوِيَّةٌ رَاشِدَةٌ.

وصيةُ الرسولِ ﷺ بقولِهِ: «فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[1]. وليَكُنْ بِرُّكَ بِهَا بِرَّ الأبِ بابْنَتِهِ، والأَخِ بِأُخْتِهِ.

وَإِنَّ مَنْ يَحْمِلُ إِلَيْكَ هَدِيَّةً تُحِبُّهَا، وَقَدِ اشْتَدَّ حُبُّكَ وحَاجَتُكَ إِلَيْهَا؛ يَمْتَلِئُ قَلْبُكَ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَتَقَلَّدُ مِنَّتَهُ الدَّهْرَ كُلَّهُ، وَهَذِهِ زَوْجَتُكَ حَمَلَتْ إِلَيْكَ ابْنَكَ فِي أَحْشَائِهَا، وَأَطْعَمَتْهُ مِنْ لَحْمِهَا وَدَمِهَا، بَعْدَ أَنْ أَهْدَتْكَ نَفْسَهَا؛ تُمَتِّعُكَ بِهَا مَتَىٰ تَشَاءُ، وَهَلْ أَغْلَىٰ مِنَ الابْنِ والنَّفْسِ هَدِيَّةً يُمْكِنُ أَنْ تُقَدَّمَ لَكَ؛ فَهِيَ -بِحَقٍّ- أَوْلَىٰ البَشَرِ بَعْدَ الوَالِدَيْنِ بِالحُبِّ والوَفَاءِ!

عَلِّمْهَا كتابَ اللهِ تعالىٰ تلاوةً وعَمَلًا، واحْمِلْها علىٰ الاسْتِنَانِ بِسُنَنِ الرسولِ ﷺ بِرِفْقٍ وحِكْمَةٍ. أَلْبِسْها الحجابَ الشَّرْعِيَ الذي أَمَرَ اللهُ تَعالَىٰ، وصُنْ عِرْضَها عن الاختلاطِ بالرجالِ، لا سِيَّمَا أقربائِكَ، واكْفِهَا السوقَ، واشْتَرِ أنتَ مؤونَةَ البيتِ مِنْ طعامٍ وشرابٍ ولوازمِ الحياةِ.

اشْكُرْهَا فِي الصَّبَاحِ والمَسَاءِ، وَعِنْدَ كُلِّ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَعَمَلٍ طَيِّبٍ تُقَدِّمُهُ لَكَ، عَظِّمْهَا فِي عُيُونِ أَبْنَائِهَا، ومَعَارِفِهَا، وانْشُرْ مَحَاسِنَهَا، وتغافل عن عُيُوبِهَا فِي خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَلَا تُكْثِرِ اللَّوْمَ والعِتَابَ والتَّعْنِيفَ عَلَىٰ كُلِّ زَلَّةٍ، واكْتُمْ عُيُوبَهَا عَنْ غَيْرِكَ.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: 7/ 27، حديث رقم: (5186).

لَا تُعَرِّضْهَا لِلإِهَانَةِ والتَّحْقِيرِ؛ فلا تُقَبِّحْ لها نسبًا، فلا تَسُبَّ، ولا تَشْتِمْ، ولا تَسْخَرْ منها أو مِنْ أهلِها، ولا تَضْرِبْ، فإذا ما رأيتَ منها أمرًا تكْرَهُهُ؛ فَاصْبِرْ عليه صَبْرَ الكِرَامِ، فَإِنَّ اللهَ تعالَىٰ يقولُ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

الأدبُ الثالِثُ مَعَ الخَلْقِ: الأَدَبُ معَ الأبْناءِ

لِتَكُنْ فاضِلًا مَعَ أبنائِكَ: تَقُوتُهُمْ وَتَكْسُوهُمْ دُونَمَا إِسْرَافٍ أَوْ تَقْتِيرٍ. وَلْتُعَامِلْهُمْ بالرحمةِ والبِرِّ والرِّفْقِ والإِحْسَانِ، بِحِكْمَةٍ واتِّزانٍ، وَإِذَا لَزِمَتِ القَسْوَةُ فِي بَابِ التربيةِ؛ فَلْتَكُنْ مِنْ غيرِ إفراطٍ.

رَبِّهِمْ علَىٰ كِتَابِ اللهِ تعالَىٰ، وسُنَّةِ رسولِهِ ﷺ، وعلَىٰ العَمَلِ بما يَعْلَمُونَ مِنَ الخيرِ. حَبِّبِ اللهَ تَعَالَىٰ إِلَيْهِمْ، حَدِّثْهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ وكَرَمِهِ...، عَرِّفْهُمْ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ وصِفَاتِهِ العُلْيَا عَمَلِيًّا عِنْدَ كُلِّ سَانِحَةٍ، وارْبِطْ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وحَوَادِثِهَا بِاللهِ تَعَالَىٰ، ورَغِّبْهُمْ فِي الدِّينِ، وَاحْمِلْهُمْ علَىٰ التَّدَيُّنِ بِرِفْقٍ، مُرْهُمْ بالطَّهَارَةِ والصَّلَاةِ وَصَبِّرْهُمْ عَلَيْهَا، وعَلِّمْهُمْ صِفَتَهَا وأَحْكَامَهَا وفَضَائِلَهَا، عَوِّدْهُمْ قيام الليل، وصِيامَ النَّهَارِ،

---

(1) النساء: 19.

والصَّدَقَةَ، وحِفْظَ اللِّسَانِ والبَصَرِ، وَسَلَامَةِ الصدر، والإحسانَ إِلَىٰ الجارِ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ احْتِرامَ الكبيرِ والمُعَلِّمِ وأهلِ الفَضْلِ والإحسانِ؛ وَاغْذُهُمْ بالآدابِ والأَخلاقِ، كَمَا تَغْذُوهُمْ بالطَّعامِ والشَّرَابِ.

فإنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ خَيْرُ مَا تُرَبَّىٰ عَلَيْهِ النُّفُوسُ التِي يُرَادُ لَهَا أَنْ تَكُونَ مُسْتَقِيمَةً مُطْمَئِنَّةً؛ فَإِنَّ كُلَّ وَصْفَةٍ للتَرْبِيَةِ لَا تَشْتَمِلُ عَلَىٰ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ، وَلَا تَعْتَنِي بِحِفْظِ اللِّسَانِ والبَصَرِ وَسَلامَةِ الصَّدْرِ، وَلَا تَقُومُ عَلَىٰ سَاقِ الفَضِيلَةِ والأَخْلَاقِ؛ فَهِيَ خَاطِئَةٌ، قَلِيلَةُ النَّفْعِ والتَّأْثِيرِ.

رَبِّ زَوْجَتَكَ وَبَنَاتِكَ وأَبْنَاءِكَ عَلَىٰ الحِشْمَةِ والحَيَاءِ، وَتَرْكِ الاخْتِلَاطِ خَاصَّةً بالأَقَارِبِ؛ خَاصَّةً بَنَاتِ العَمِّ والعَمَّةِ، والخَالِ والخَالَةِ، وأَبْنَاءَ العَمِّ والعَمَّةِ، والخَالِ والخَالَةِ؛ خَاصَّةً بَعْدَ سِنِّ البُلُوغِ؛ فَإِنَّ إِهْمَالَ ذَلِكَ المَوْتُ.

حَبِّبْ إِلَىٰ زَوْجَتِكَ وَبَنَاتِكَ الحِجَابَ الشَّرْعِيَّ الصَّحِيحَ السَّاتِرَ السَّابِغَ الطَّوِيلَ، الذِي لَا يَشِفُّ، ولَا يُفَصِّلُ، وَلَا يُبْرِزُ مَفَاتِنَ المَرْأَةِ ومَحَاسِنِهَا؛ لَا الخَادِعَ الذِي فِي أَسْوَاقِ اليَوْمِ، تَكُونُ المَرْأَةُ فِيهِ كَاسِيَةً عَارِيَّةً.

وَعَلِّمْهُمْ مَغَازِيَ رسولِ اللهِ ﷺ وَسِيرَتَهُ، وسِيَرَ أصحابِهِ والصالِحِينَ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ، عَظِّمِ الدِّينَ وأَهْلَهُ فِي نُفُوسِهِمْ، وَرَبِّهِمْ عَلَىٰ مَعَانِي عِزِّ

الإِسْلَامِ؛ فَإِذَا رَأَيْتَ الأَطْفَالَ والفِتْيَانَ يَعْتَزُّونَ بِدِينِهِمْ، ويُبَاهُونَ بِنَبِيِّهِمْ ﷺ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ عِزَّ الإِسْلَامِ قَرِيبٌ؛ فَإِنَّ مُسْتَقْبَلَ الأُمَمِ والشُّعُوبِ بِيَدِ أَطْفَالِهَا.

حَفِّظْهُمُ القرآنَ، أَوْ شيئًا مِنْهُ؛ مَا يُعِينُهُمْ عَلَىٰ القِيَامِ بِهِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وَحَفِّظْهُمْ حَدِيثَ رسولِ اللهِ ﷺ. وَرَبِّهِمْ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، والعَمَلِ بِكُلِّ مَا يَعْمَلُونَ مِنْ أَوَامِرِ الشَّرْعِ ونَواهِيهِ فَوْرَ عِلْمِهِمْ بِهَا؛ فَإِنَّهَا خَيْرُ خِصَالِ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ والصِّبْيَانِ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الخَصْلَةُ بالعَبْدِ حَتَّىٰ تَرْفَعَهُ، وَهِيَ حَقِيقَةُ التَّقْوَىٰ التِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا.

الأدبُ الرابعُ مَعَ الخَلْقِ: الأدبُ مع الرَّحِم

صِلْ رَحِمَكَ، فإنَّها بَرَكَةٌ في الرِّزْق، بَرَكَةٌ في العمرِ، ولا تَقْطَعْها، ولَوْ قَطَعَتْكَ، فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ[1]»[2]. واعلمْ أَنَّكَ مَوْصُولٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ مَا وَصَلْتَها، مَقْطُوعٌ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ ما قَطَعْتَها، فعَنْ

---

(1) قاطعٌ، يَعْنِي: قَاطِعُ رَحِمٍ، انظرِ: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي: 16/ 113.

(2) رواه البخاري في صحيحه: 8/ 5، حديث رقم: (5984)، ومسلم: 4/ 1981، حديث رقم: (2556).

رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ، وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا؛ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا؛ بَتَتُّهُ»[1].

۞ الأدبُ الخامسُ مَعَ الخَلْقِ: الأدبُ الغائبُ، الأدبُ معَ الجارِ

أَحْسِنْ إلَىٰ جارِكَ وأَكْرِمْهُ؛ فإنَّهُ مِنَ الإيمانِ، وإنْ أَسَاءَ، إِذِ الجَارُ وَصِيةُ جبريلَ عليه السلام لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَوَصِيةُ رسولِ اللهِ ﷺ إلَىٰ أمتِهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ؛ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[2]. وإنَّ مِنَ الأعمالِ التي تُحَبِّبُ اللهَ تعالَىٰ بِعَبْدِهِ إحسانَهُ إلَىٰ جارِهِ، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ، وَثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللهُ». وَذَكَرَ مِنَ الثَّلَاثَةِ الذينَ يُحِبُّهُمْ: «وَرَجُلٌ لَهُ جَارُ سَوْءٍ يُؤْذِيهِ، فَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُ، وَيَحْتَسِبُهُ، حَتَّىٰ يَكْفِيَهُ اللهُ إِيَّاهُ بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ». وَفِي رِوَايَةٍ: «حَتَّىٰ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا الْمَوْتُ أَوْ ظَعْنٌ[3]»[1].

---

(1) رواه أبو داود: 2/ 133، حديث رقم: (1694)، وصحَّحه الألباني.

(2) رواه البخاري في صحيحه: 5/ 2239، حديث رقم: (5668)، ومسلم: 4/ 2025، حديث رقم: (2624).

(3) ظَعْنٌ: رَحِيلٌ، الظَّعْنُ: الرَّحيلُ، والسَّفَرُ، والسَّيْرُ، انظرِ: الفروق اللغوية، للعسكري: 1/ 296.

وَلَقَدْ بِتْنَا فِي زَمَانٍ ضَاعَتْ فِيهِ حُقُوقُ الجوارِ أَيَّما ضَيَاعٍ. ولقدْ عَظُمَ الوعيدُ لِمَنْ آذَىٰ جارَهُ؛ فَجُرْمُهُ يَعْدِلُ عَشْرَةَ أَضْعَافٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لِأَنْ يَسْرِقَ مِنْ عَشَرَةِ أَهْلِ أبياتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ بَيْتِ جارِهِ»[2].

ولا تَنْفَعُهُ صلاتُهُ ولا صيامُهُ ولا صَدَقَتُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ كما سبقَ فِي شَأْنِ المَرْأَةِ التِي كَانَتْ تُؤْذِي جِيرَانَها بِلِسَانِها، عَلَىٰ كَثْرَةِ عبادَتِها؛ فَأَخْبَرَ النبيُّ ﷺ أَنَّها فِي النَّارِ. والوَعيدُ بِعَدَمِ دُخُولِ الجَنَّةِ لِمَنْ يُخِيفُ جارَهُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[3]. وَعَلَىٰ مَنْ يُؤذِي جارَهُ لَعْنَةُ اللهِ تعالَىٰ؛ فَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: شَكَا رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ جارَهُ، فَقَالَ: «احْمِلْ مَتَاعَكَ، فَضَعْهُ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، فَمَنْ مَرَّ بِهِ يلعنه، فَجَعَلَ كُلُّ مَنْ مَرَّ بِهِ يَلْعَنُهُ، فَجَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا

---

(1) رواه أحمد في مسنده: 35/ 269، حديث رقم: (21340)، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

(2) رواه أحمد في مسنده: 39/ 277، حديث رقم: (23854)، والبخاري في الأدب المفرد: 1/ 50، حديث رقم: (103)، وصحَّحه الألباني.

(3) رواه البخاري في الأدب المفرد: 1/ 55، حديث رقم: (121)، وصحَّحه الألباني.

لَقِيتُ مِنَ الناس؟ فقال: إِنَّ لَعْنَةَ اللهِ فَوْقَ لَعْنَتِهِمْ، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي شَكَا: كُفيتَ»[1]. وَفِي ظُلْمِ الجَارِ وإِخْرَاجِهِ مِنْ بيتِهِ وَعيدٌ بالهلاكِ، فَعَنْ أبي عَامِرٍ الْحِمْصِيِّ، قَالَ: كَانَ ثَوْبَانُ يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلَيْنِ يَتَصَارَمَانِ[2] فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، فَيَهْلِكُ أَحَدُهُمَا، فَمَاتَا وَهُمَا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَارَمَةِ، إِلَّا هَلَكَا جَمِيعًا، وَمَا مِنْ جارٍ يَظْلِمُ جَارَهُ وَيَقْهَرُهُ، حَتَّىٰ يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَنْزِلِهِ، إِلَّا هَلَكَ»[3].

۞ رابعًا: جَامِعُ أَخْلَاقِ المُسْلِمِ فِي المُعَامَلَةِ مَعَ سائِرِ الخَلْقِ

وَلْتَكُنْ معاملَتُكَ عبادَ اللهِ تَعَالَىٰ مَبْنِيَّةً عَلَىٰ الحُبِّ، والإِخَاءِ، والرِّفْقِ، والسَّمَاحَةِ فِي البَيْعِ والشِّرَاءِ والقَضَاءِ، والإِحْسَانِ، والرَّحْمَةِ، والحِلْمِ، والصَّبْرِ، والتَّوَاضُعِ، والمُسَامَحَةِ، والعفوِ، وتَمَنِّي الخَيْرِ للمُسْلِمينِ،

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد: 1/ 56، حديث رقم: (124)، وصحَّحه الألباني.

(2) يَتَصَارَمَانِ: يتقاطعان، ويتهاجران، فالمصارمة التدابر والهجران والتقاطع، انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي: 3/ 187.

(3) رواه البخاري في الأدب المفرد: 1/ 58، حديث رقم: (127)، وصحَّحه الألباني.

والدَّعْوةِ لَهُمْ بِخَيْرٍ؛ وَلَا تُجَادِلْ، ولا تُضارِبْ، ولا تُخاصِمْ، ولا تُحَاسِدْ، ولا تَصْخَبْ، ولا تَصِحْ[1]، ولا تَسْفَهْ[2]، ولا تَشْتِمْ، ولا تَسُبَّ، ولا تَغْتَبْ، ولا تَنُمَّ، ولا تَهْمِزْ، ولا تَلْمِزْ، ولا تَغْضَبْ لِنَفْسِكَ، ولا تَرَ لِنَفْسِكَ حَقًّا علَىٰ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَلْتَصْبِرْ عَلَىٰ ضَعْفِهِمْ وعَيْبِهِمْ ونَقْصِهِمْ؛ فإِنَّ النَّقْصَ مَركوزٌ في نَفْسِ الإنْسَانِ، وَإِذَا لَمْ يَحْتَمِلِ المُسْلِمُ أَخَاهُ المُسْلِمَ فِي دَارِ الغُرْبَةِ، فَمَنْ لَهُ عَوْنًا علَىٰ إِغْواءِ الشَّياطِينِ؟ وَلْتَكُنْ سَكِينًا مِنْ غَيْرِ مَسْكَنَةٍ[3]، مُتواضِعًا مِنْ غيرِ ذِلَّةٍ، خَاشِعًا مِنْ غَيْرِ عَجْزٍ، قَدْ جَلَّلَتْكَ مَهابةُ اللهِ تعالَىٰ وَخَشْيَتُهُ وعَظَمَتُهُ.

---

(1) الصَّخَبُ والصّياحُ: الضَّجِيجُ والْجَلَبَةُ وشِدَّةُ الصَّوْتِ وارتفاعُهُ واخْتِلَاطُه، انظرْ: تاج العروس، للزَّبيدي: 3/ 189.

(2) السَّفَهُ: الجَهْلُ والفَظَاظَةُ وَرَدَاءَةُ الخُلُقِ وقِلَّةُ الأَدَبِ والطَّيْشُ. والسّفاهةُ: نقيضُ الحِلْم، انظرْ: العَيْن، للخليل بن أحمد: 4/ 9، وجمهرة اللغة، لابن دريد: 2/ 849.

(3) السَّكِينَةُ: الوَقَارُ والوَدَاعَةُ، والمَسْكَنَةُ: الذُّلُّ والفَقْرُ والانْكِسَارُ. والمَعْنَىٰ: تكونُ ذَا وَقارٍ وَوَدَاعَةٍ، مِنْ غَيْرِ ذُلٍّ وخُضُوعٍ وانْكِسارٍ لِأَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ، انظرْ: جمهرة اللغة، لابن دريد: 2/ 856.

وَلْتُعَامِلْ خَلْقَ اللهِ تَعَالَىٰ كمَا تُحِبُّ أَنْ يُعامِلَكَ اللهُ ﷻ؛ فإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ رحيمٌ يُحِبُّ الرُّحَمَاءَ، رَفِيقٌ يُحِبُّ أهلَ الرِّفْقِ، مُحْسِنٌ يُحِبُّ المُحسنِينَ، حَلِيمٌ يُحِبُّ الحُلَمَاءَ، صَبُورٌ يُحِبُّ أَهْلَ الصَّبْرِ، عفُوٌّ يُحِبُّ العَفْوَ، وَلْتَعْلَمْ أنَّ اللهَ لكَ كَمَا تَكُونُ لِعِبَادِهِ، فَمَنْ رَفَقَ بِهِمْ؛ رَفَقَ اللهُ تَعَالَىٰ به، وَمَنْ رَحِمَهُمْ؛ رَحِمَهُ، وَمَنْ عَفَا عَنْهُمْ؛ عَفَا عَنْهُ، وَمَنْ شَدَّدَ عليهم؛ شَدَّدَ اللهُ ﷻ عَلَيْهِ.

۞ خامسًا: جَامِعُ أَخْلَاقِ المُسْلِمِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ

للعَبْدِ مِنَ التَّوْفيقِ والتَّسْديدِ والمَثُوبَةِ قِلَّةً وَكَثْرَةً بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنَ الأَخْلَاقِ والآدَابِ الإِسْلَامِيَّةِ قِلَّةً وَكَثْرَةً؛ مِنْهَا: صِفَاتُ إِيجَابٍ، وَصِفَاتُ سَلْبٍ.

أَمَّا صِفَاتُ الإِيجَابِ: فَأَنْ يَكُونَ مُخْلِصًا، حَكِيمًا فِي مُعَامَلاتِهِ إِخْوانَهُ، واسِعًا، صَبُورًا عَلَىٰ أَذًىٰ يَبْلُغُهُ، غَفُورًا، عَفُوًّا، صَفُوحًا عَنْ زَلَّاتِ الإِخْوانِ، مُحِبًّا لَهُمْ، مُؤْثِرًا لَهُمْ عَلىٰ خَصَاصَةٍ تَكُونُ بِهِ، رفيقًا، رحيمًا، هَادِئًا، وَدِيعًا، سَكِينًا، حَلِيمًا ذَا أَنَاةٍ، نَصُوحًا لِنَفْسِهِ ولِإِخْوانِهِ، خَدُومًا لِإِخْوانِهِ، ذَلِيلًا لَهُمْ، عَزِيزًا عَلَىٰ أَعْدائِهِ، مُسْتَعْصِيًا عَلَيْهِمْ، مُسْتَشِيرًا أَهْلَ العِلْمِ والتَّقْوَىٰ والوَرَعِ والزُّهْدِ، بَسَّامًا، صَمُوتًا، وَقُورًا، رَزِينًا، خَاشِعًا،

مُتَواضِعًا، عَطُوفًا، صَدُوقًا، أَمِينًا، سِتِّيرًا، كَرِيمًا، مُطِيعًا، أَوَّابًا، رَجَّاعًا، مُنِيبًا، صَوَّامًا، قَوَّامًا، ذَاكِرًا، شَاكِرًا، عَابِدًا، وَرِعًا، زَاهِدًا، آمرًا بالمَعْرُوفِ، نَاهِيًا عَنِ المُنْكَرِ، وَقَّافًا عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ، أَدِيبًا، خَلُوقًا، تَقِيًّا، رَبَّانِيًّا... قُدْوَةً فِي كُلِّ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ!!!

وأمَّا صِفَاتُ السَّلْبِ: فَيَنْبَغِي أَلَّا يَكُونَ المُسْلِمُ مُرَائِيًا، وَلَا مُعْجَبًا، وَلَا مُتَكَبِّرًا، وَلَا فَخُورًا، وَلَا جَافِيًا، وَلا غَافِلًا، وَلَا حَاقِدًا، وَلَا حَسُودًا، وَلَا صَخَّابًا، وَلَا صَيَّاحًا، وَلَا حَدِيدًا، ولا فَظًّا، وَلَا غَلِيظًا، ولا ضَيِّقًا، ولا أَنَانِيًّا، وَلَا غَضُوبًا، فَإِذَا غَضِبَ؛ كَانَ سَرِيعَ الفَيْئَةِ؛ وَلَا مَائِلًا مَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ، وَلَا مُغْتَابًا، وَلَا هَمَّازًا، وَلَا لَمَّازًا، وَلَا نَمَّامًا، وَلَا سَيِّئَ الظَّنِّ، وَلَا مُتَتَبِّعًا للعَوْرَاتِ، وَلَا ضَحُوكًا[1]، وَلَا مِهْذَارًا، وَلَا أَكُولًا، وَلَا عَجُولًا... قُدْوَةً فِي التَّنَائِي عَنْ كُلِّ صِفَةِ سُوءٍ يَعْلَمُهَا!!!

---

(1) يَعْنِي: لا يكونُ المُسْلِمُ القُدْوَةُ كَثِيرَ الضَّحِكِ والقَهْقَهَةِ، يُعْرَفُ بِهِ، أَمَّا التَّبَسُّمُ والضَّحِكُ اللَّطِيفُ؛ فَلَا بَأْسَ بِهِ، قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: «كُنَّا نَمْزَحُ وَنَضْحَكُ، فَأَمَّا إِذَا صِرْنَا يُقْتَدَىٰ بِنَا؛ مَا أَرَىٰ يَسَعُنَا التَّبَسُّمُ»، انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعَيْمٍ: 6/ 143.

هَذِهِ صِفَاتُ المُسْلِمِ المُوَفَّقِ المُؤَيَّدِ إِجْمالًا، وَأَمَّا وَفاءُ شَرْحِهَا فَيطُولُ؛ وَلَاتَ حِينَ تَفْصِيلٍ، وَلَا تَقُولَنَّ: أَنَّىٰ لِأَمْثالِنَا بُلوغُ هَذَا؛ فحَسْبُنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ الخَيْرَ دِرْبَةٌ وَرِياضَةٌ ومِرَانٌ؛ فَمَنْ رَاضَ نَفْسَهُ عَلَىٰ خَلَّةٍ مِنْ خِلَالِ الخَيْرِ، وحَرَصَ عَلَيْهَا، واسْتَعَانَ بِاللهِ تعالَىٰ عَلَىٰ تَمَثُّلِهَا، وأَلَحَّ علَىٰ اللهِ تَعالَىٰ في طَلَبِهَا؛ أَحْرَزَهَا بِتَوْفِيقِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَسْدِيدِهِ ومَعُونَتِهِ، ولقد كَانَ أَكْمَلُ البَشَرِ ﷺ يُلِحُّ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَاصَّةِ أوقاتِهِ أنْ يَهْدِيَهُ لِأَحْسنِ الأَخْلَاقِ، ويَصْرِفَ عَنْهُ سَيِّئَهَا[1].

وَليسَ المطلوبُ الإتيانَ بهذِهِ الصِّفاتِ مجتمعةً علَىٰ وَجْهِ الكمالِ؛ فإِنَّهُ لَا يُوفَّقُ لِذلكَ إلَّا الكُمَّلُ منَ المَهْدِيِّينَ، وإنَّما يَجْتهدُ كُلُّ أَحَدٍ غايةَ وُسْعِهِ فِي إِصَابَةِ مَا يستطيعُهُ منْها، ويبقَىٰ يَنْشُدُ المزيدَ، وَلِكُلِّ مُجْتَهِدٍ فِي تَحْصِيلِهَا نَصِيبٌ؛ بِحَسبِ نَصِيبِهِ مِنَ الاجْتِهَادِ فِي تَحْصِيلِهَا.

(1) إِشَارَةً لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، قَالَ: «...، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ؛ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا؛ لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ...».

الفَصْلُ العَاشِرُ: مُذَاكَرَةُ العِلْمِ عَوْنٌ عَلَى العِبَادَةِ

۞ أولًا: فَضِيلَةُ أَهْلِ العِلْمِ النَّافِعِ

إِنَّ طَلَبَ العِلْمِ بِنِيَّةِ العِلْمِ والعَمَلِ ودعوةِ الخَلْقِ إِلَىٰ اللهِ تعالَىٰ، والتبليغِ عنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ورسولِهِ ﷺ مِنْ أَفْضَلِ ما يَرْفَعُ الدرجاتِ، ويُقَرِّبُ مِنَ اللهِ تعالَىٰ. ولا يَزالُ العِلْمُ والعَمَلُ والتعليمُ مَعَ إِخْلاصِ النِّيَّةِ بالعَبْدِ حتىٰ يُبَلِّغَهُ مرتبةَ الصِّدِّيقِينَ، قالَ ابنُ القَيِّمِ: «فالصدِّيقونَ هُمْ وَرَثَةُ الرُّسُلِ، وخلفاؤُهُمْ في أُمَمِهِمْ، وَهُمُ القائِمونَ بما بُعِثُوا به: عِلمًا، وعَمَلًا، ودعوةً لِلْخَلْقِ إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ طُرُقِهِمْ ومِنْهاجِهِمْ، وهذهِ أفضلُ مراتبِ الخَلْقِ بَعْدَ الرسالةِ والنُّبُوةِ، وهيَ مرتبةُ الصِّدِّيقِيَّةِ؛ وَلِهَذَا قَرَنَهُمُ اللهُ في كتابِه بالأنبياءِ؛ فقالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[1]، فَجَعلَ درجةَ الصِّدِّيقِيَّةِ مَعْطُوفةً عَلَىٰ دَرَجَةِ النُّبُوةِ، وَهَؤُلاءِ هُمُ الرَّبانيون، وَهُمُ الرَّاسِخُونَ في العِلْمِ، وَهُمُ الوَسَائِطُ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وأمَّته، فَهُمْ خلفاؤُهُ، وأَوْلياؤُهُ، وحِزْبُهُ، وخَاصَّتُهُ، وحَمَلَةُ دِينِهِ، وهيَ أَفْضَلُ دَرَجَاتِ الأُمَّةِ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ

(1) النساء: 69.

مِنْ فَضْلِها وشَرَفِها إلا أنَّ كُلَّ مَنْ عَلِم بِتَعْلِيمِهِمْ وإِرْشَادِهِم، أو عَلَّمَ غَيْرَهُ شَيْئًا مِنْ ذلكَ؛ كانَ لهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مَا دَامَ ذَلِكَ جَارِيًا فِي الأُمَّةِ عَلَىٰ آبادِ الدُّهورِ؛ فيا لَها مِنْ مَرْتَبَةٍ ما أَعْلاها! ومَنْقَبَةٍ ما أَجَلَّها وأَسْنَاها! أنْ يكونَ المَرْءُ فِي حَيَاتِه مَشْغولًا بِبَعْضِ أَشْغالِهِ، أو فِي قَبْرِهِ، قدْ صَارَ أَشْلاءً مُتَمَزِّقةً، وأَوْصَالًا مُتَفَرِّقَةً؛ وصُحُفُ حَسَناتِهِ مُتَزايِدَةٌ، يُملَىٰ فيها الحَسَنَاتُ كُلَّ وَقْتٍ، وأَعْمَالُ الخَيْرِ مُهْداةٌ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ؛ تلكَ -واللهِ- المَكَارِمُ والغَنَائِمُ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافِسِ المُتَنَافِسُونَ، وَعَلَيْهِ يَحْسدُ الحَاسِدُونَ، وحَقِيقٌ بمرتبَةٍ هذا شَأْنُها أَنْ تُنْفَقَ نفائِسُ الأَنْفَاسِ عَلَيْهَا، ويَسْبِقَ السَّابِقُونَ إِلَيْهَا، وتُوَفَّرَ عَلَيْها الأَوْقاتُ، وتَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا الطَّلَبَاتُ؛ وأصحابُ هذهِ المرتبةِ يُدْعَوْنَ عُظَمَاءَ في مَلَكُوتِ السَّمَاءِ، كَمَا قالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ؛ فَذَلِكَ يُدْعَىٰ عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ؛ فَنَسْأَلُ اللهَ تَعالَىٰ، الذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ كُلِّ خَيْرٍ؛ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْنا خَزَائِنَ رَحْمَتِه، ويَجْعَلَنا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ؛ بِمَنِّهِ وكَرَمِه»[(1)].

وهذا العلم الذي يبلغ مرتبة الصديقية؛ إنما هو العلم المقرون بالعمل؛ أما طلب العلم تكثرا، أو لأجل الدنيا؛ فهذا وبال علىٰ صاحبه؛

---

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية: 1/ 351.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا؛ لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» عَرْفَ الْجَنَّةِ: يَعْنِي رِيحَهَا[1].

ثانيًا: لزومُ أَهْلِ العِلْمِ الصَّالِحِينَ

وَلْيَكُنْ لَكَ شَيْخٌ مِنْ أهلِ العِلْمِ والصلاحِ، عالِمٌ بالسُّنَّةِ، عامِلٌ بها؛ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ، وتتَعَلَّمُ عِبادَتَهُ وأَدَبَهُ وَسَمْتَهُ[2] مَا يَنْفَعُكَ في آخِرَتِكَ، وتَفْزَعُ إليهِ إذا نابَكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ؛ فَمَا أَحْوَجَ العُبَّادَ إلىٰ عالِمٍ ناصِحٍ حكيمٍ بَصِيرٍ فِي أمورِ الآخرةِ، فَقِيهٍ فِي أَعْمالِ القلوبِ وأحكامِها؛ يُعَلِّمُهُمْ صَحِيحَ العَمَلِ مِنْ سَقِيمِهِ، وَسَلِيمَهُ مِنْ مَعْلُولِهِ، وفاضِلَهُ مِنْ مَفْضُولِهِ. يَحْدُوهُمْ[3] إذا جَدَّ بِهُمُ السيرُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيُهَوِّنُ عليهِمْ شُقَّةُ

---

(1) رواه ابن ماجه: 1/ 92، حديث رقم: (252)، وأبو داود: 3/ 322، حديث رقم: (3664)، وصحَّحه الألباني.

(2) السَّمْتُ: هَيْئَةُ أَهْلِ الخَيْرِ، وَطَرِيقَتُهُمْ وهَدْيُهُمْ وَنَهْجُهُمْ، انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: 1/ 254.

(3) يَحْدُوهُمْ: يَسْبِقُهُمْ، ويَقُودُهُمْ ويَدُلُّهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ، وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِمُ المَشَقَّةَ، انظر: لسان العرب، لابن منظور: 14/ 168.

الطريقِ[1]؛ إذا تكاثَرتْ فِي طريقِهِمُ العقَباتِ، والْتَهَبَتْ بِهُمُ الطريقُ، وَقَلَّ مَعَهُمُ الرَّفِيقُ؛ يَفْزَعُونَ إليهِ عندَ النوائِبِ والمُلِمَّاتِ؛ فَيُطَبِّبُ قلوبَهُمْ، وَيُدَاوِي جِراحاتِهِمْ، وَيُزَكِّي نُفُوسَهُمْ، وَيَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ إذا قَعَدَ بهم المَسِيرُ إِلَىٰ اللهِ تعالَىٰ. وَهَؤُلاءِ الصحابةُ ﷺ، أَكْرَمُ جِيلٍ، كَانُوا إِذَا بَعُدُوا عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ تَغَيَّرَتْ عليهِمْ نفوسُهُمْ، وتَقَلَّبَتْ قلوبُهُمْ؛ فَأَنْكَرُوا أَنْفُسَهُمْ، فَعَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ -وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ النَّبِيِّ ﷺ- أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ ﷺ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ؛ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَىٰ الْأَزْوَاجِ وَالضَّيْعَةِ[2]؛ نَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَوَاللهِ إِنَّا لَكَذَلِكَ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقْنَا، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؛ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ

---

(1) أيْ: مَشَقَّتُهَا وتَعَبُهَا وبُعْدُهَا، ومَا يَعْتَرِضُ فِيهَا مِنْ عَوَارِضَ وشَدَائِدَ.

(2)الضِّيعَاتِ: الْأَرَاضِي وَالْبَسَاتِين، انظرْ: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 4/ 1549.

وَالضَّيْعَةَ[1]، وَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ الْحَالِ الَّذِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي؛ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي مَجَالِسِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَعَلَىٰ فُرُشِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[2]. فإذا كانَ الصَّحَابَةُ بحاجةٍ إلىٰ مَنْ يُذَكِّرُهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ، فَمَنْ دُونَهُمْ مِنْ بابِ أَوْلَىٰ. ويَحْسُنُ أَنْ تُلْزِمَ نَفْسَكَ بمجالِسِ عِلْمٍ وَذِكْرٍ، لِأَهْلِ عِلْمٍ وصَلَاحٍ مَوْثُوقِينَ فِي بلدِكَ، وَتَجْعَلْهَا زادَكَ الذي تَتَزَوَّدُ منه لِسَفَرِكَ مِنْ كُلِّ أسبوعٍ.

وَإِنِ استطعْتَ أَنْ يكونَ لَكَ زيارةٌ كُلَّ أسبوعٍ إلىٰ المقابرِ بِنِيَّةِ الموعظةِ وَتَذَكُّرِ الموتِ؛ فَافْعَلْ، فَإِنَّ ذِكْرَ الموتِ يُصْلِحُ مِنَ النفوسِ ما لا يُصْلِحُهُ الكثيرُ مِنَ المواعظِ والخُطَبِ.

---

(1) (عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضِّيعَاتِ) أَيْ: خَالَطْنَاهُمْ وَلَاعَبْنَاهُمْ وَعَالَجْنَا أُمُورَهُمْ وَاشْتَغَلْنَا بِمَصَالِحِهِمْ، انظرْ: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 4/ 1549.

(2) رواه مسلم: 4/ 2106، حديث رقم: (2750)، والترمذي في سننه: 4/ 666، حديث رقم: (2514).

وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يكونَ لَكَ كُلَّ شَهْرٍ زيارةٌ إِلَىٰ المستشفىٰ، وتَفَقُّدُ أقسامِ الأمراضِ الخطيرةِ، فَافْعَلْ؛ فَإِنْ فيها مِنَ العِبَرِ الكثيرِ.

۞ ثالثًا: مُطَالَعَةُ الكُتُبِ النَّافِعَةِ

يَجْمُلُ بالعَبْدِ الذِي يَرْجُو أَنْ يَدُومَ صَلاحُهُ، وأَنْ يَكُونَ دَائِمًا فِي زِيَادَةٍ لَا نُقْصَانَ؛ أَنْ يُدَاوِمَ علَىٰ مطالعةِ كُتُبِ أهلِ العِلْمِ المُعْتَبَرِينَ، لا سِيَّمَا التي تُرَقِّقُ القَلْبَ، وتُذَكِّرُ الآخرةَ، وَهَذا ذِكْرُ تَفْصِيلِ الكُتُبِ اللَّازِمَةِ:

۞ الأَوَّلُ: مُطَالَعَةُ كِتَابٍ فِي العَقِيدَةِ[1]

لِيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَشْرَعُ فِيهِ مِنْ مُطَالَعَةِ الكُتُبِ مُذَاكَرَةً لِكِتَابٍ فِي العَقِيدَةِ؛ حَتَّىٰ يَرْسَخَ فِي العَقِيدَةِ السَّلِيمَةِ التِي كَانَ عَلَيْهَا سَلَفُ الأُمَّةِ رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ؛ ولِيَأْمَنَ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي أَيِّ كِتَابٍ شَاءَ، ولِيُرَبِّ عَلَيْهَا نَفْسَهُ وأَبْنَاءَهُ وإِخْوَانَهُ، وحَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ باعْتِقَادٍ يُنْجِيهِ فِي قَبْرِهِ، وَيَوْمَ عَرْضِ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ. ويَحْسُنُ أَنْ يَقْرَأَ العقيدة عَلَىٰ شَيْخٍ نَقِيِّ العَقِيدَةِ، عَامِلٍ بِعِلْمِهِ.

---

(1) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ بِعُنْوَانِ: (السَّهْلُ فِي عَقِيدَةِ أَهْلِ الإِيمَانِ وحَظِّ القَلْبِ مِنْهَا)، بَيَّنَّا فِيهِ العَقِيدَةَ السَّلِيمَةَ، ومَا هُوَ حَظُّ القَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ العَقِيدَةِ ومَسَائِلِهَا؛ لِيَكُونَ للعَقِيدَةِ أَثَرٌ فِي تَقْوِيمِ سُلُوكِ المُسْلِمِ، وتَكْوِينِ شَخْصِيَّتِهِ.

۞ الثَّانِي: مُطَالَعَةُ كِتَابٍ فِي التَّفْسِيرِ

ثُمَّ عَلَيْكَ أَنْ تُطَالِعَ كِتَابًا فِي تَفْسيرِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَتَقْرَأُ مُخْتَصَرًا فِي التَّفْسِيرِ، كَتَفْسِيرِ: (زُبْدَةِ التَّفَاسِيرِ للأَشْقرِ)؛ يَكُنْ لَكَ عَوْنًا عَلَىٰ فَهْمِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَدَبُّرِهِ والعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ وآدَابِهِ، وَإِنْ قَرَأْتَ التَّفْسِيرَ عَلَىٰ شَيْخٍ سَلِيمِ العَقِيدَةِ؛ فَهُوَ أَفْضَلُ وأَرْجَىٰ نَفْعًا.

ثُمَّ مَنْ شَاءَ المَزِيدَ والتَّفْصِيلَ؛ فَلْيَقْرَأْ كِتَابًا مُفَصَّلًا فِي التَّفْسِيرِ، كَتَفْسِيرِ: (الوَسِيطِ فِي التَّفْسيرِ للطَّنْطَاوِيِّ)، وَلا تَقْرَأِ المُطَوَّلَ، حَتَّىٰ تَبْدَأَ بالمُخْتَصَرِ أَوَّلًا.

۞ الثَّالِثُ: مُطَالَعَةُ كُتُبِ حَدِيثٍ فِي الفَضَائِلِ والآدَابِ والسِّيَرِ

وَلْيَكُنْ لكَ ختمةٌ كُلَّ عامٍ لِكتابٍ مِنْ كُتُبِ أَحَادِيثِ الآدَابِ والأَخْلَاقِ المُعْتبرَةِ، كَرِيَاضِ الصَّالِحِينَ، والأَدَبِ المُفْرَدِ، والتَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ، وَصَحِيحِ الجَامِعِ، وَغَيْرِها مِنْ كُتُبِ الفَضَائِلِ والآدَابِ الحَدِيثِيَّةِ، وكِتَابٍ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المِيلادِ إِلَىٰ المَمَاتِ، وَكِتَابٍ فِي سِيَرِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ، وكِتَابٍ فِي سِيَرِ التَّابِعِينَ وَتَراجِمِ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ والعُبَّادِ الصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّ في ذِكْرِهِمْ حياةً لِلْقُلوبِ.

۞ الرَّابِعُ: مُطَالَعَةُ كِتَابٍ فِي الفِقْهِ

ومِنَ المُهِمِّ جِدًا أَنْ يُطَالِعَ المُسْلِمُ كِتَابًا فِي الفِقْهِ، يَتَعَلَّمُ فِيهِ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ وَأَحْكَامَهَا، التِي لَا يَسَعُ المُسْلِمَ الجَهْلُ بِهَا، وليبدَأْ بِكِتَابٍ مُخْتَصَرٍ فِي الفِقْهِ، ولَيَبْدَأَ بِمُطَالَعَةِ فِقْهِ الطَّهَارَةِ والصَّلَاةِ[1] والصِّيَامِ والزَّكَاةِ والمُعَامَلَاتِ والأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ ومَا لا غِنَىٰ لَهُ عَنْهُ فِي حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَنْ يَخْتِمَ كِتَابًا فِي الفِقْهِ؛ فَهُوَ أَكْمَلُ، ويَحْسُنُ أَنْ يَقْرَأَ الفِقْهَ عَلَىٰ شَيْخٍ عَامِلٍ بِعِلْمِهِ؛ إِنْ تَيَسَّرَ.

۞ الخَامِسُ: مُذَاكَرَةُ كِتَابٍ فِي الزُّهْدِ

وَلْيَكُنْ لَكَ مُذاكرةٌ لِكتابٍ في الزُّهْدِ؛ فَإِنَّهُ حَرَامٌ علىٰ قلبٍ أنْ يَتَذَوَّقَ لذّةَ العِبَادةِ مَا دَامَ مُتعَلِّقًا فِي الدُّنْيا، وَمَا أُتِيَ المُسْلِمُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَسَائِرِ الأَزْمَانِ؛ إِلَّا مِنْ قِبَلِ رَغْبَتِهِمْ في الدنيا، وزُهْدِهِمْ في الآخِرَةِ. وليسَ أَضَرُّ علَىٰ الدِّينِ والدنيا مِنْ عالِمٍ أو عابِدٍ راغِبٍ في الدنيا، مُتَعَلِّقِ القَلْبِ بِهَا؛ كَمَا قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ المُبارَكِ:

---

(1) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ بِعُنْوَانِ: (السَّهْلُ فِي صِفَةِ الوُضُوءِ وأَحْكَامِ الطَّهَارَةِ)، وآخَرُ بِعُنْوانِ: (السَّهْلُ فِي صِفَةِ الصَّلَاةِ وأَحْكَامِهَا وحَظِّ القَلْبِ مِنْهَا)، وَثَالِثٌ بِعُنْوَانِ: (أَحْكَامِ طُهْرِ النِّسَاءِ).

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ *** وَأَحْبارُ سُوءٍ ورُهْبَانُهَا[1]

والزُّهْدُ: التَّقَلُّلُ مِنَ الدنيا، وتَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ. «وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الْأَمَلِ، وسُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَكُونُ مَعَهُ أَلْفُ دِينَارٍ، هَلْ يَكُونُ زَاهِدًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، عَلَىٰ شَرِيطَةِ أَنْ لَا يَفْرَحَ إِذَا زَادَتْ، وَلَا يَحْزَنَ إِذَا نَقَصَتْ. وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الزُّهْدِ، كَلَامُ الْحَسَنِ: «لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقُ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ»[2]، فحقيقةُ الزهدِ أنْ تكونَ الدُّنْيا فِي يَدِ العَبْدِ، لَا فِي قَلْبِهِ.

وَلِلزُّهْدِ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ، ذَكَرَها الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: الزُّهْدُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ. الْأَوَّلُ تَرْكُ الْحَرَامِ. وَهُوَ زُهْدُ الْعَوَامِّ. وَالثَّانِي تَرْكُ الْفُضُولِ مِنَ الْحَلَالِ. وَهُوَ زُهْدُ الْخَوَاصِّ. وَالثَّالِثُ تَرْكُ مَا يَشْغَلُ عَنِ اللهِ.

---

(1) انظرْ: سير أعلام النبلاء، للذهبي: 9/ 550.

(2) انظرْ: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 2/ 16.

وَهُوَ زُهْدُ الْعَارِفِينَ. قال ابن القيم: وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْ أَجْمَعِ الْكَلَامِ. وَهُوَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ رَضِيَ اللهِ عَنْهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَىٰ[1].

السَّادِسُ: مُذَاكَرَةُ كِتَابٍ فِي الوَرَعِ

وَلْيَكُنْ لَكَ مُذاكرةٌ لِكتابٍ فِي الوَرَعِ؛ فما أحوجَ العامِلِينَ إِلَىٰ وَرَعٍ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْاقْتِراب مِنَ الحُرُمَاتِ، ويَحُوطُهُمْ مِنْ مواطِنِ الهَلَكَةِ، وإنَّ العامِلِينَ لَعَلَىٰ شَفَا خَطرٍ؛ ما لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَرَعٌ يَحْجُزُهُم ويَرُدُّهُم؛ وَلِهَذَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ: «خَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ»[2].

وَالوَرَعُ: تَرْكُ مَا يُخْشَىٰ ضَرَرُهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الشُّبُهَاتِ والمُحَرَّمَاتِ، «قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَىٰ حَتَّىٰ يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ، وَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: كُنَّا نَدَعُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي بَابٍ مِنَ الْحَرَامِ»[3].

---

(1) انظرْ: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 2/ 14.

(2) رواه الحاكم في المستدرك: 1/ 170، حديث رقم: (314)، وصحَّحه الألباني.

(3) انظرْ: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 2/ 25.

وَفِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ الزُّهْدِ والوَرَعِ قالَ ابنُ القَيِّمِ: «سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ -قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ- يَقُولُ: الزُّهْدُ تَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ. وَالْوَرَعُ تَرْكُ مَا تَخَافُ ضَرَرُهُ فِي الْآخِرَةِ. وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَأَجْمَعِهَا»[1].

۞ السَّابِعُ: مُذَاكَرَةُ كِتَابٍ فِي المَوْتِ والقَبْرِ وأَحْوَالِ الآخِرَةِ[2]

كَمَا يَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ لَكَ مُذَاكَرَةٌ يَوْمِيَّةٌ لِكِتَابٍ فِي المَوْتِ والقَبْرِ وأَحْوَالِ الآخِرَةِ؛ يُذَكِّرُهُمْ مَوْعُودَهُمْ، وَبِمَا بَيْنَ أيدِيهِمْ مِنْ مخاطِرَ وأهوالٍ، فَلا أَصْلَحَ لِقَلْبِ العَبْدِ، مِنْ دوامِ ذِكْرِ المَوْتِ والقَبْرِ والدَّارِ الآخرةِ، فَإِنَّ «صِدْقَ التَّأَهُّبِ لِلِقَاءِ اللهِ مِنْ أَنْفعِ ما لِلْعَبْدِ وَأَبْلَغِهِ في حُصولِ استقامَتِهِ، فَإِنَّ مَنِ استعَدَّ لِلِقَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ انْقَطَعَ قلبُهُ عَنِ الدُّنْيا وَمَا فِيهَا

---

(1) انظرْ: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 2/ 12.

(2) صَدَرَ لَنَا كِتَابٌ بعنوانِ: (رِحْلَةُ الأَرْوَاحِ إِلَىٰ بِلَادِ الأَفْرَاحِ والأَتْرَاحِ)، فُصِّلَتْ فيهِ رِحْلَةُ العَبْدِ بَعْدَ المَوْتِ: البَرِّ والفَاجِرِ، ومَآلِ كُلٍّ مِنْهُمَا، ثُمَّ ذُكِرَتْ فيه مَسائِلُ نَافِعَةٌ فِي أَحْكَامِ القَبْرِ، وأَسْبَابِ عَذَابِ القَبْرِ، وما يُنَجِّي مِنْهُ، وَهُوَ إلكتروني، ولمَّا يُطْبَعِ الكتابُ بعدُ؛ لأَجْلِ النَّفَقَةِ، وهو إلكتروني إلىٰ الآن.

ومَطَالِبِها، وَخَمَدَتْ مِنْ نَفْسِهِ نِيرانُ الشَّهَواتِ، وأَخْبَتَ قلبُهُ إِلَىٰ رَبِّهِ تعالَىٰ، وَعَكَفَتْ هِمَّتُهُ علَىٰ اللهِ تعالَىٰ، وعلىٰ محبَّتِهِ وإيثارِ مَرْضَاتِهِ»[1].

الثَّامِنُ: مُذَاكَرَةُ كِتَابٍ فِي الإخلاصِ[2]

وَلْيَكُنْ عندَ رأسِكَ كتابٌ فِي الإخلاصِ، وطَرِيقِ التَّحَلِّي بِه، وذمِّ الرياءِ، وطريقِ الخَلَاصِ منه، تقرأُ منه كلَّ يومٍ قَدْرَ ما يَحْمِلُكَ علَىٰ الإِخْلاصِ، وَمُدَاوَاةِ الرياءِ، وقَلْعِ نابِتَتِه أَوَّلًا فَأَوَّلُ، فإنهُ إِنْ تُرِكَ زمانًا، ضَرَبَ جُذورَهُ في أعماقِ النَّفْسِ، وَحَنايَا القَلْبِ؛ فَيَعْسُرُ اقْتِلاعُهُ؛ فالإخلاصُ صَعْبٌ عزيزٌ، ووارِداتُ الرِّياءِ علَىٰ قلوبِ العبادِ خَفِيَّةٌ متواصِلَةٌ لا تَنْقَطِعُ، فَلْتَكُنْ مِنْها دَائِمًا عَلَىٰ حَذَرٍ.

---

(1) طريق الهجرتين، وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية: 176.

(2) صدر لنا كتاب بعنوان: (الإخلاص أَوَّلًا - الدَّاء والدَّوَاء) عَرَضْنَا فِيه للإخلاصِ وَكَيْفِيَّةِ بُلُوغِه، وَنَواقِضِهِ مِنَ الرِّياءِ والعُجْبِ، وَكَيْفِيَّةِ عِلاجِهِمَا، وَفِقْهِ النِّيَّاتِ؛ فَيَحْسُنُ مُرَاجَعَتُهُ فِي هَذَا البَابِ.

۞ التَّاسِعُ: مُذاكَرَةُ كُتُبٍ فِي الثَّقافَةِ العَامَّةِ والخَاصَّةِ

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الكُتُبِ يَلْزَمُ أَنْ تَقْرَأَ كُتُبًا عِلْمِيَّةً، وثَقَافِيَّةً، واجْتِمَاعِيَّةً، وَتَرْبَوِيَّةً، واقْتِصَادِيَّةً، وعَسْكَرِيَّةً، وأَمْنِيَّةً، وقَصَصِيَّةً مُوثُوقَةً، وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْتَنِيَ بمَعْرِفَةِ ثَقَافَةِ بَلَدِكَ وَمُسْتَجدَّاتِ عَصْرِكَ؛ فَالثَّقَافَةُ مَطْلُوبَةٌ للمُسْلِمِ فِي مُعامَلَاتِهِ اليَوْمِيَّةِ؛ فَهِيَ عِمَادُ شَخْصِيَّةِ إِنْسَانِ العَصْرِ، ولْتُوَسِّعْ ثَقَافَتَكَ فِي مَجَالِ تَخَصُّصِكَ، بِحَيْثُ تَكُونُ مَرْجِعًا فِي تَخَصُّصِكَ، يَرْجِعُ إِلَيْكَ زُمَلاؤُكَ عِنْدَ الحَاجَةِ، وتَكُونُ لَكَ كَلِمَةُ الفَصْلِ عِنْدَ الاخْتِلَافِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ ضَعِيفًا فِي تَخَصُّصِكَ عَاجِزًا تَسْتَحْيِي مِنَ المُنَاقَشَاتِ العِلْمِيَّةِ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَظْهَرَ عَجْزُكَ.

۞ رابعًا: التَّوْفِيقُ لِلْعِبَادَةِ فَضْلٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى

ولْيَحْمَدِ العَبْدُ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعدَ كلِّ عبادةٍ أنْ وَفَّقَهُ إليها، وأعانَهُ عَلَيْها، فَمَنْ وُفِّقَ للعبادةِ، فَاللهُ تَعَالَىٰ مَنْ وَفَّقَهُ، وَمَنْ فُتِحَ لهُ بابٌ مِنْ أبوابِ الطاعةِ، فَاللهُ تَعَالَىٰ مَنْ فَتَحَ لَهُ بَابَهَا؛ فَمَا عُبِدَ اللهُ تعالَىٰ إِلَّا باللهِ ﷻ، وَمَا أُطِيعَ اللهُ تعالَىٰ إِلَّا باللهِ ﷻ؛ لِهَذَا يَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ عندَ دخولِ الجنةِ،

ورؤيةِ ما أَعدَّ اللهُ تعالَىٰ لَهُمْ مِنْ عظيمِ الكراماتِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[1].

قالَ ابْنُ القَيِّمِ: «فإنَّ العارِفِينَ كُلَّهِمْ مُجْمِعُونَ علىٰ أنَّ التوفيقَ أَنْ لَا يَكِلَكَ اللهُ تعالَىٰ إِلَىٰ نَفْسِكَ، والخِذْلانُ أَنْ يَكِلَكَ اللهُ تعالَىٰ إلىٰ نَفْسِكَ؛ فَمَنْ أرادَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بابَ الذُّلِّ والانكسارِ، ودَوَامَ اللُّجْأِ إِلَىٰ اللهِ تعالَىٰ والافتقارِ إِلَيْهِ، ورُؤْيَةِ عُيوبِ نَفْسِهِ وَجَهْلِهَا وعدوانِها، ومُشَاهَدَةِ فَضْلِ رَبِّهِ ﷻ وإِحْسانِهِ ورحمتِهِ وجُودِهِ وَبِرِّهِ وَغِنَاهُ وَحَمْدِهِ»[2]. «فَتَعْلَمُ أَنَّ الرَّبَّ رَبٌّ، وَالْعَبْدَ عَبْدٌ، وَيَتَبَيَّنُ لَكَ حَقِيقَةُ النَّفْسِ وَصِفَاتُهَا، وَعَظَمَةُ جَلَالِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَفَرُّدِ الرَّبِّ ﷻ بِالْكَمَالِ وَالْإِفْضَالِ، وَأَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ، وَكُلَّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ، وَأَنْتَ قَبْلَ هَذِهِ الْمُقَايَسَةِ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ نَفْسِكَ، وَبِرُبُوبِيَّةِ فَاطِرِهَا وَخَالِقِهَا؛ فَإِذَا قَايَسْتَ؛ ظَهَرَ لَكَ أَنَّ نَفْسَكَ مَنْبَعُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَسَاسُ كُلِّ نَقْصٍ، وَأَنَّ حَدَّهَا الْجَاهِلَةُ الظَّالِمَةُ، وَأَنَّهُ لَوْلَا فَضْلُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ بِتَزْكِيَتِهِ لَهَا مَا زَكَتْ أَبَدًا، وَلَوْلَا هُدَاهُ مَا اهْتَدَتْ، وَلَوْلَا

---

(1) الأعراف: 43.

(2) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية: 1/ 8.

إِرْشَادُهُ وَتَوْفِيقُهُ لَمَا كَانَ لَهَا وُصُولٌ إِلَىٰ خَيرٍ أَلْبَتَّةَ، وَأَنَّ حُصُولَ ذَلِكَ لَهَا مِنْ بَارِئِهَا وَفَاطِرِهَا، وَتَوَقُّفَهُ عَلَيْهِ كَتَوَقُّفِ وُجُودِهَا عَلَىٰ إِيجَادِهِ[1]؛ فَهُنَاكَ تَقُولُ حَقًّا: أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي[2]»[3].

وَلْتَسْتَغْفِرِ اللهَ تَعَالَىٰ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي العِبَادَةِ والطَّاعَةِ، وَإِيَّاكَ والإِعْجَابَ بِعَمَلِكَ، ورُؤْيَةَ نَفْسِكَ، والنَّظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الرِّضَا؛ فَإِنَّ المُعْجَبَ بعملِهِ ممقوتٌ[4] عِنْدَ اللهِ تعالَىٰ، مَرْدُودٌ عليه عَمَلُهُ، وَلَأَنْ تَبِيتَ نَائِمًا، وتُصْبِحَ نَادِمًا، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تبيتَ قَائِمًا عَابِدًا، وتُصْبِحَ مُعْجَبًا.

---

(1) يَعْنِي أَنَّ سَبَبَ وُجُودِ الهِدَايَةِ موقوفٌ عَلَىٰ الهَادِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كَمَا أَنَّ سَبَبَ وُجُودِ المَخْلُوقِ مَوْقُوفٌ عَلَىٰ الخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(2) أَيْ: أَعْتَرِفُ وَأُقِرُّ بِأَنَّ النِّعْمَةَ والفَضْلَ فِي جَمِيعِ نِعَمِكَ كُلُّه رَاجِعٌ إِلَيْكَ، أَعْتَرِفُ وَأُقِرُّ بِأَنَّ نَفْسِي مُقَصِّرَةٌ مُذْنِبَةٌ لَا تَسْتَحِقُّ تِلْكَ النِّعْمَةِ، وَلَكِنَّهُ فَضْلُ اللهِ تَعَالَىٰ وَعَظِيمُ مِنَّتِهِ.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 1/ 187.

(4) مَبْغُوضٌ مَكْرُوهٌ، والمَقْتُ: بُغْضٌ عن أمْرٍ قَبِيحٍ، انظرْ: المحيط في اللغة، للصاحب ابن عَبَّاد: 1/ 467.

وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ إلىٰ عملِكَ عَقِبَ كُلِّ عبادةٍ بِعَيْنِ النُّقْصَانِ والعَيْبِ، وإلىٰ نَفْسِكَ بِعَيْنِ التَّقْصِيرِ؛ فإنَّ حَقَّ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ عَظِيمٌ، ومَهْمَا بَلَغَ العَبْدُ مِنْ غايةِ الاجتهادِ في اللَّيْلِ والنَّهَارِ، يَبْقَىٰ مُقَصِّرًا، ولو أنَّ العبدَ أمضىٰ حياتَهُ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إلَىٰ أَنْ يتوفَّاهُ اللهُ ساجِدًا للهِ سجدةً واحدةً، لا يَرْفَعُ منها رأسَهُ؛ لَمَا أدَّىٰ شُكْرَ أَدْنَىٰ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ عليه، كَمَا قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ، إِلَىٰ أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي طَاعَةِ اللهِ، لَحَقَّرَهُ[1] ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوَدَّ أَنَّهُ رُدَّ إِلَىٰ الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ»[2]؛ فَبِأَيِّ شَيْءٍ يُعْجَبُ مَنْ هذهِ حالُهُ؟ وما أَجْمَلَ قَوْلَ القائِلِ:

وَلَـوْ أَنَّ لِـي بِكُلِّ مَنْبِتِ شَعْرَةٍ * لِسَانًا يَبُثُّ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقَصِّرا**[3]

---

(1) أي: لَرَأَىٰ عَمَلَهُ حَقِيرًا قَلِيلًا فِي مُقَابِلِ مَا يَجِدُ مِنْ عَظِيمِ كَرَامَةِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ فِي الجَنَّةِ.

(2) رواه أحمد في مسنده: 29/ 197، رقم: (17650)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(3) ديوان المعاني، للعسكري: 1/ 127.

فَإِنْ دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَىٰ تَرْكِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الأَوْرَادِ والأَذْكَارِ والعِبَادَاتِ؛ اسْتِثْقَالًا لذلكَ، فَاعْلَمْ أنَّ الشَّيْطَانَ اللَّعِينَ قَدْ دَسَّ في قلبِكَ الدَّاءَ الدَّفِينَ، وهو طُولُ الأَمَلِ، وَحُبُّ العَاجِل مِنَ الراحةِ، والمالِ، والجَاهِ؛ فإيَّاكَ أَنْ تغترَّ بِهِ، فتكُونَ ضِحْكَةً لَهُ، فَيُهْلِكَكَ، ثُمَّ يَسْخَرَ مِنْكَ.

خامسًا: لا تَسْتَكْثِرِ العِبَادَةَ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ ما ذكرنَاهُ ليسَ كثيرًا عَلَىٰ مَنْ عَزَمَ علَىٰ الطاعةِ وَأَخْلَصَ النيةَ، واسْتَعَانَ بِاللهِ تعالَىٰ، وَتَوَكَّلَ عليْهِ، فَإِنَّ المُعَوَّلَ علَىٰ ذلكَ لا علَىٰ الصُّوَرِ، وإنَّما يَتَفَاوَتُ العِبَادُ بِهِمَمِهِمْ لا بِصُوَرِهِمْ، وما أُتِيَ مَنْ أُتِيَ إلّا مِنْ قِبَلِ هِمَّتِهِ.

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ ❋❋❋ حَتَّىٰ إِذا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ القَدَرَا

ولقد بَلَغَنَا عن الضُّعَفاءِ والكبارِ والعَجَزَةِ وأَصْحَابِ الأَشْغَالِ مِمَّا وُفِّقُوا إِلَيْهِ مِنَ العباداتِ والأعمالِ ما عَجزَ عَنْهُ الشَّبَابُ الفَارِغُون؛ فَعَنْ عطاءِ بْنِ السَّائِبِ، قالَ: «كانَ مُرَّةُ بنُ شَراحِيلَ الهَمْدَانِيُّ يُصلِّي كلَّ يومٍ

وليلةٍ ألفَ ركعةٍ، فَلَمَّا ثَقُلَ وَبَدُنَ[1]؛ صَلَّىٰ أَرْبَعَمِائَةِ ركعةٍ، وكنتُ أنظرُ إلىٰ مَبَارِكِهِ[2] كأنها مَبَارِكُ الإِبِلِ»[3].

وَرُوِيَ عن عبدِ اللهِ بْنِ أحمدَ بنِ حنبلٍ، قالَ: «كان أَبِي يُصَلِّي في كُلِّ يومٍ وليلةٍ ثلاثَ مِائَةَ ركعةٍ، فَلَمَّا مَرِضَ مِنْ تلكَ الأسواطِ التي أَضْعَفَتْهُ؛ فَكانَ يُصَلِّي في كُلِّ يومٍ وليلةٍ مِائَةً وخمسينَ ركعةً، وقدْ كانَ قَرُبَ مِنَ الثمانِينَ، وكانَ يقرأُ في كُلِّ يومٍ سُبُعًا مِنْ كتابِ اللهِ تعالَىٰ، يَخْتِمُ القرآنَ في سبعةِ أيامٍ، وكانَتْ له ختمةٌ فِي كُلِّ سَبْعِ ليالٍ سِوَىٰ صَلَاةِ النَّهارِ، وَكَانَ سَاعَةَ يُصَلِّي عِشاءَ الآخِرَةِ يَنامُ نَوْمَةً خفيفةً، ثُمَّ يَقُومُ يُصَلِّي إِلَىٰ الصَّبَاحِ،

---

(1) بَدُنَ: سَمِنَ، والبَدِينُ السَّمِينُ، عَظِيمُ البَدَنِ، انظرْ: أساس البلاغة، للزمخشري: 1/ 51.

(2) أيْ: رُكْبَتَاهُ اللتانِ هُمَا مَحِلُّ الجُثُوِّ، مِنْ بَرَكَ البعيرُ يَبْرُكُ بُروكًا، أي: اسْتَنَاخَ، انظرْ: الصحاح تاج اللغة، للجوهري: 4/ 1575.

(3) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 2/ 20.

وَيَدْعُو. قالَ: وَحَجَّ أَبِي خَمْسَ حِجَّاتٍ: ثلاثٍ حِجَجٍ ماشيًا، وَاثْنَتَيْنِ راكبًا»[1].

وَرُوِيَ أَنَّ «أبا يُوسُفَ كانَ يُصَلِّي بَعْدَمَا وَلِيَ القضاءَ فِي كُلِّ يومٍ مِائَتَيْ ركعةٍ»[2].

«وَحَكَىٰ بعضُ أصحابِ هارونَ الرَّشِيدِ أَنَّهُ كانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ يومٍ مِائَةَ ركعةٍ -وَهُوَ خَلِيفَةُ المُسْلِمِينَ- إِلَىٰ أنْ فارَقَ الدُّنْيا، إِلَّا أَنْ يَعْرِضَ لَهُ عِلَّةٌ»[3].

فَلَا عَلَىٰ العَبْدِ إِلَّا أَنْ يَسْتَعِينَ باللهِ تَعالَىٰ، وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِي تَحْقِيقِ مَقْصُودِ العِبادَةِ؛ فَإِنَّ العَبْدَ لَنْ يَجِدَ ذَوْقَ التَّعَبُّدِ إِلَّا بِالاسْتِعانَةِ باللهِ تَعالَىٰ والتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، قال ابْنُ القَيِّمِ: «فَإِنَّ العِبادَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ التَّوْفِيقِ، بِحَسَبِ اسْتِعَانَتِهِمْ وَتَوَكُّلِهِمْ، وَلَهُمْ مِنَ الْخِذْلَانِ وَالضَّعْفِ وَالْمَهَانَةِ وَالْعَجْزِ

---

(1) انظرْ: تاريخ دمشق، لابن عساكر: 5/ 300، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 11/ 212.

(2) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: 16/ 372، وتذكرة الحفاظ، للذهبي: 1/ 214.

(3) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: 14/ 7.

بِحَسَبِ قِلَّةِ اسْتِعَانَتِهِمْ وَتَوَكُّلِهِمْ، وَلَوْ تَوَكَّلَ الْعَبْدُ عَلَىٰ اللهِ تعالىٰ حَقَّ تَوَكُّلِهِ فِي إِزَالَةِ جَبَلٍ عَنْ مَكَانِهِ، وَكَانَ مَأْمُورًا بِإِزَالَتِهِ؛ لَأَزَالَهُ»[1].

ثمَّ لا يَسْتَكْثِرَنَّ عَبْدٌ ما ذكرناهُ مِنْ عِبادةِ اللَّيْلِ والنَّهارِ؛ فإنَّ حَقَّ الرَّبِّ تعالَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ عظيمٌ، فَمَا خلَق الخَلْقَ: جِنَّهُمْ وإِنْسَهُمْ إِلَّا لِيَقُومُوا لَهُ بِحَقِّ العِبَادِةِ عَلَىٰ الوَجْهِ الذي يُحِبُّ، فقالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

ولو أَنْفَقَ العبدُ مالَه كلَّه للهِ تَعَالَىٰ، وأَتْلَفَ بَدَنَهُ لربِّهِ ﷻ وأَضْناهُ[3]، وقَامَ ما بَقِيَ منْ عُمُرِهِ في مِحْرابِ الصلاةِ؛ لَكَانَ هَذَا كُلُّهُ قَلِيلًا مُقَابِلَ مَا يَرْجُو منْ رِضْوانِ اللهِ عَنْهُ، ومَحَبَّتِهِ لَهُ، وبُلُوغِ منازلِ القُرْبِ مِنَ الفِرْدَوْسِ الأَعْلَىٰ.

---

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 1/ 103.

(2) الذاريات: 56.

(3) أَضْناهُ: أجهده، والضنىٰ شدة الجهد والتعب والمرض، انظر: لسان العرب، لابن منظور: 14/ 486.

۞ سادسًا: العَمَلُ عَلَى المَحَبَّةِ يُخَفِّفُ العِبَادَةَ[1]

وإنَّ ما يُخَفِّفُ العِبَادَةَ ويُسَهِّلُها العملُ علىٰ أَصْلِ المَحَبَّةِ؛ فإنَّ العملَ علىٰ المَحَبَّةِ أَسْرَعُ في بلوغِ المَقْصُودِ، وأَخَفُّ في تَحْصِيلِ العبادَةِ، فَمَنْ أَحَبَّ اللهَ تعالَىٰ خَفَّتْ عليهِ طاعةُ اللهِ تَعالَىٰ، وهانَتْ عليه مَشَقَّتُها، وأَحَبَّها واسْتَعْذَبَها؛ فإن مَحْبُوبَ المَحْبُوبِ مَحْبوبٌ؛ فلا شيءَ أَشْهَىٰ لمُحِبِّ اللهِ تعالىٰ مِنَ التَّعَبِ والنَّصَبِ له، وَإِنَّهُ مَا خَفَّتِ الصَّلاةُ عَلَىٰ مَنْ خَفَّتْ عَلَيْهِمْ، إِلَّا بِمَا وَجَدُوهُ مِنْ لَذَّةِ الخُشُوعِ؛ ولِمَا وَجَدُوا مِنْ عُذُوبَةِ مَا فِيهَا مِنْ مَعَانِي التَّعَبُّدِ والتَّحَبُّبِ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ، قَالَ ضَيْغَمٌ: «قَوُوا عَلَىٰ الاجْتِهَادِ بِمَا يَدْخُلُ قُلُوبَهُم مِنْ حَلَاوَةِ العِبَادَةِ»[2].

وَفِي هَذَا قالَ ابْنُ القَيِّمِ: «فإنَّ المُحِبَّ يَتَلَذَّذُ بِخِدْمَةِ مَحْبُوبِه وتَصَرُّفِهِ في طاعَتِهِ، وكُلَّمَا كانتِ المحبةُ أَقْوَىٰ؛ كانَتْ لَذَّةُ الطاعةِ والخِدْمَةِ

---

(1) لنا كتاب بعنوان: (محبة رب العالمين منتهىٰ غايات المقربين)، تَحَدَّثْنَا فيه باستفاضةِ عن المَحَبَّةِ، وتَعْرِيفِها، ودلائِلِها، وثمرَاتِها، وأحوالِ المُحِبِّينَ، وأسبابِ بلوغِ العبدِ محبَّةَ الرَّبِّ تعالَىٰ، وأسبابِ محبَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ للعَبْدِ، نسأل الله تعالَىٰ أنْ يُيَسِّرَ إخراجَهُ، فهو لمَّا يُنْشَرْ بعدُ بِسَبَبِ عَدَمِ تَيَسُّرِ النَّفَقَةِ عَلَىٰ طِبَاعَتِهِ.

(2) سير أعلام النبلاء، للذهبي: 8/ 421.

أَكْمَلَ»[1]، فَلَيْسَ لِلْمُحِبِّ غايةٌ يَبْلُغُهَا، ولا نِهايةٌ يَسْكُنُ إليها دونَ رضا مَحْبُوبِه، وبلوغِ مَحَبَّتِه؛ فهو فِي طَلَبِ المَحَبَّةِ علىٰ الدوامِ، لا تَفْتُرُ لَهُ هِمَّةٌ، ولا تَنِي له عَزْمَةٌ، فإنْ لاحَتْ له أَعْلامُها، وتَرَاءَتْ لهُ مَنَارَاتُها؛ جَدَّ السَّيْرَ إليها، واشْتَدَّ سَعْيُهُ نَحْوَهَا؛ فإذا بَلَغَها، ونَزَلَ مَنَازِلها، ورَأَىٰ تفَاوُتَ مَراتِبِها؛ أَخذَ يَرْقَىٰ مَصاعِدَهَا دَرَجَةً فَدَرَجَةً، وَهَكَذَا دَأْبُهُ، فَلَا هُوَ يَكلُّ مِنْ طُول المَسِيرِ، ولا سَيْرُه يَنْتَهِي مَعَ تَطَاوُلِ الدُّهُورِ، فَعَنْ محمدِ بْنِ النَّضْرِ الحارثِيِّ، قالَ: «لا يكاد يملُّ القُرْبَىٰ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مُحِبٌّ للهِ تَعَالَىٰ، ولا يَكادُ يَسْأَمُ مِنْ ذَلِكَ»[2]. وقال محمدُ بْنُ نَعيمٍ المَوْصِلِيُّ: «إنَّ القَلْبَ الذي يُحِبُّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، يُحِبُّ النَّصَبَ والتَّعَبَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، إنَّه لنْ ينالَ حُبَّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بالراحةِ»[3].

والمُوَفَّقُ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِمِثْلِ هذا، والمَخْذُولُ من خَذَّلَه الشيطانُ، وأَقْعَدَه؛ فاستَكْثَر لِرَبِّه ساعاتٍ قليلةً ممَّا بَقِيَ من عُمُرِهِ القَصِيرِ، وغَرَّه اللَّعِينُ بِطُولِ الأَمَلِ، وسَعَةِ مغفرةِ الله تعالىٰ، وعُمومِ كَرَمِهِ، مَعَ التَّقْصيرِ

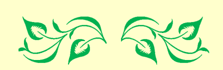
---

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية: 1/ 321.

(2) صلاح الأمة في علو الهمة، لسيد العفاني: 5/ 735.

(3) صلاح الأمة في علو الهمة، لسيد العفاني: 5/ 735.

فِي العَمَلِ، فَعَنِ الْحَسَنِ: «إِنَّ قَوْمًا أَلْهَتْهُمْ أَمَانِيُّ المَغْفِرَةِ؛ حَتَّىٰ خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا حَسَنَةَ لَهُمْ، وَقَالُوا: نُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ، وَكَذَبُوا، لَوْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ بِهِ لَأَحْسَنُوا الْعَمَلَ»[1].



(1) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي: 4/ 75.

الفَصْلُ الحَادِي عَشَرَ: نَمَاذِجُ العُبَّادِ

۞ أولًا: نَمَاذِجُ مِنَ العُبَّادِ المُجْتَهِدِينَ فِي الطَّاعَةِ

لَقَدْ عَلِمَ العُبَّادُ ما لِأَهْلِ العبادةِ والطاعةِ مِنْ كرامةٍ سَاعَةَ الوُفُودِ علَىٰ اللهِ ﷻ، فاجْتَهَدُوا فِي طَاعَتِهِ اجْتِهَادًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ مِثْلِهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللهِ تعالَىٰ لَهُمْ، وبِشِدَّةِ حُبِّهِمْ لَهُ، فَإِنَّ المُحِبَّ يَبْذُلُ مِنَ الجَهْدِ ما لا يَقْدِرُ عَلَىٰ مِثْلِهِ فِي غَيْرِ مَحْبوبِهِ، فإِنَّ لِلْمَحبةِ سِرًّا عجيبًا، وَهُوَ سِرُّ العُبَّاد المُحِبِّينَ، فَهِيَ تُخَفِّفُ الثَّقيلَ، وَتُقَرِّبُ البَعيدَ، وتُسَهِّلُ العَسيرَ، وتُقَوِّي الضعيفَ، وتُفْسِحُ الوَقْتَ القَصِيرَ، وَرَأَيْنا أَنْ نَضَعَ بين أَيْدِي عُبَّادِ الزَّمانِ نماذِجَ فَرِيدةً مِنَ العُبَّادِ الأَوَائِلِ، مِمَّنْ فاقُوا الناسَ فِي الاجْتِهَادِ فِي العِبَادَةِ والمَحَبَّةِ.

۞ النَّمُوذَجُ الأَوَّلُ: ثابتُ بنُ مسلمٍ البُنَانيُّ

وهَذَا العَبْدَ المُحِبَّ للهِ تعالَىٰ، «الْمُتَعَبِّدُ، النَّاحِلُ، الْمُتَهَجِّدُ، الذَّابِلُ، أَبُو مُحَمَّدٍ، ثَابِتُ بْنُ أَسْلَمَ الْبُنَانِيُّ»[1]؛ التَّابِعِيُّ الجليلُ، العَابِدُ الوَرِعُ، المُدْمِنُ للصلاةِ، ثابِتُ البُناني رضي الله عنه؛ «فعَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ أَعْبَدِ رَجُلٍ أَدْرَكْنَاهُ في زمانِهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ ثابتٍ البُنَانِيِّ، فَمَا أَدْرَكْنَا

---

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 2/ 318.

الذي هُوَ أَعْبَدُ مِنْهُ، تَرَاهُ فِي يَوْمٍ مَعْمَعَانِيٍّ[1] بَعِيدَ ما بينَ الطَّرَفَيْنِ يَظَلُّ صَائِمًا، وَيُرَاوِحُ ما بينَ جَبِينِهِ وَقَدَمِهِ.

وعَنْ ثابتٍ البُنَانِيِّ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ العُبَّادِ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِإِخْوانِهِ: إِنِّي لَأَعْلَمُ مَتَىٰ يَذْكُرُنِي رَبِّي عز وجل، قالَ: فَفَزِعُوا مِنْ ذلكَ، فَقَالُوا: تَعْلَمُ حينَ يَذْكُرُكَ رَبُّكَ؟ قالَ: نَعَمْ. قَالُوا: مَتَىٰ؟ قَالَ: إذا ذَكَرْتُهُ ذَكَرَنِي، قال: وإني لَأَعْلَمُ حينَ يَسْتَجِيبُ لِي رَبِّي عز وجل، قال: فَعَجِبُوا مِنْ قَوْلِهِ، قالوا: تَعْلَمُ حَينَ يَسْتَجِيبُ لَكَ رَبُّكَ؟ قال: نَعَمْ. قالوا: وكيفَ تَعْلَمُ ذلكَ؟ قال: إِذَا وَجِلَ قلبي، واقْشَعَرَّ جِلْدِي، وفاضَتْ عَيْنِي، وَفُتِحَ لِي في الدعاءِ؛ فَثَمَّ أَعْلَمُ أَنْ قَدِ اسْتُجِيبَ لِي.

وقالَ سَهْلُ بْنُ أَسْلَمَ: كانَ ثابتٌ البُنَانِيُّ يُصَلِّي كُلَّ ليلةٍ ثلاثَ مِائَةِ ركعةٍ، فَإِذَا أَصْبَحَ ضَمرَتْ قَدَمَاهُ، فَيَأْخُذُهُمَا بِيَدِهِ فَيَعْصِرُهُمَا، ثُمَّ يقولُ: مَضَىٰ العابِدُونَ؛ وَقُطِعَ بِي، وَالَهْفَاهُ[2].

---

(1) مَعْمَعَانِيٍّ: المَعْمَعَة: أصوات المقاتِلة عند اشتداد الحرب، وَتَأَجُّجُ نارها، انظرْ: تهذيب اللغة، للأزهري: 1/ 90.

(2) وَالَهْفَاهْ: اللَّهْفُ: الاسْتِغَاثَةُ، فهو يتوجع ويستغيث من تقصيره علىٰ ما به من اجتهاد، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 6/ 161.

وَقَالَ ثابتٌ البُنَانِيُّ: كانَ رَجُلٌ مِنَ العُبَّاد يقولُ: إِذَا أَنَا نِمْتُ، ثُمَّ استيقظْتُ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَعُودَ إِلَىٰ النومِ؛ فَلَا أنامَ اللهُ عَيْنِي إذًا، قال جعفرُ بنُ سُلَيْمانَ: كُنَّا نَرَاهُ يَعْنِي نَفْسَهُ.

وعَنْ جَعْفَرِ بنِ سُلَيْمانَ، قَالَ: اشْتَكَىٰ ثابتٌ البُنَانِيُّ عَيْنَهُ، فَقَالَ لَهُ الطبيبُ: اضْمَنْ لِي خَصْلَةً؛ تَبْرَأْ عَيْنُكَ، قالَ: وما هِيَ؟ قال: لا تَبْكِ، قالَ: وما خَيْرٌ في عَيْنٍ لا تَبْكِي؟

وقالَ جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمانَ: سَمِعْتُ ثابتًا يقولُ: ما تَرَكْتُ في المسجدِ الجامِعِ سارِيَةً إلَّا وَقَدْ خَتَمْتُ القرآنَ عِنْدَها، وَبَكَيْتُ عِنْدَها.

وعَنْ حُمَيْدٍ، قالَ: كُنَّا نأتِي أَنَسَ بْنَ مالِكٍ وَمَعَنا ثابتٌ، فَكُلَّمَا مَرَّ بِمَسْجِدٍ صَلَّىٰ فيه، فَكُنَّا نأتِي أَنَسًا، فيقولُ: أَيْنَ ثَابِتٌ؟ أَيْنَ ثَابِتٌ؟ إِنَّ ثابِتًا دُوَيْبَةٌ[1] أُحِبُّهَا.

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﵁ لِثَابِتٍ يَوْمًا: ما أَشْبَهَ عَيْنَيْكَ بِعَيْنَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا زالَ يَبْكِي حَتَّىٰ عَمَشَتْ[1] عَيْنَاهُ.

---

(1) دُوَيْبَةٌ: تَصْغِيرُ كلمة دَابَّةٍ، وَكُلُّ ماشٍ عَلَىٰ الأَرْضِ دَابَّةٌ، انظرْ: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي: 1/ 124.

وقال حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ: رأيتُ ثابتًا البُنَانِيَّ يَبْكِي حتىٰ تَخْتَلِفَ أَضْلاعُهُ.

قال هشامُ بنُ حَسَّانٍ: ما رأيتُ قَطُّ أصبرَ علَىٰ طولِ المقامِ والسهرِ مِنْ ثابتٍ البُنَانِيِّ، صَحِبْنَاهُ مَرَّةً إِلَىٰ مكةَ، فَكُنَّا إِنْ نَزَلْنَا لَيْلًا، فَهُوَ قائمٌ يُصَلِّي، وَإِلَّا فَمَتَىٰ شِئْتَ أَنْ تَرَاهُ أَوْ تَحِسَّ به إلا مُسْتَيْقِظًا، ونحنُ نسيرُ: إِمَّا باكيًا وإمَّا تاليًا.

قال مُبارَكُ بْنُ فَضَالَةَ: كانَ ثابتٌ البُنَانِيُّ يقومُ الليلَ، ويصومُ النهارَ. وكانَ يقولُ: ما شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي قلبي أَلَذَّ عِنْدِي مِنْ قيامِ الليلِ.

وَعَنْ محمدِ بْنِ ثابتٍ البُنَانِيِّ، قال: ذَهَبْتُ أُلَقِّنُ أَبِي وهو في المَوْتِ، فقلتُ: يا أَبَتِ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فقالَ: يا بُنَيَّ، خَلِّ عَنِّي؛ فَإِنِّي فِي وِرْدِي السادِسِ أَوِ السابعِ.

وقالتِ ابْنَةُ ثَابِتٍ: كانَ يقومُ الليلَ خمسينَ سنةً، فإذا كانَ السَّحَرُ قالَ في دعائِهِ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ الصلاةَ فِي قَبْرِهِ فَأَعْطِنِيهَا»[2].

---

(1) العَمَشُ: ضَعْفُ البَصَرِ، وضَعْفُ الرُّؤْيَةِ مَعَ سَيَلانِ الدَّمْعِ فِي أَكْثَرِ الأَوْقَاتِ، انظرْ: تاج العروس، للزبيدي: 17/ 277.

(2) انظر ما سبق: صفة الصفوة، لابن الجوزي: 2/ 154.

۞ النَّمُوذَجُ الثانِي: عامِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ

وَهَذَا عَامِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ، العابِدُ القَائِمُ للهِ تعالَىٰ، يَحْمِلُ نَفْسَهُ علىٰ قيامِ اللَّيْلَ حتَّىٰ تَنْتَفِخَ ساقَاهُ؛ قالَ المُعَلَّىٰ بْنُ زِيادٍ: كانَ عامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُصلِّي كلَّ يَوْمٍ ألفَ ركعةٍ، وكانَ إِذَا صلَّىٰ العَصْرَ جَلَسَ، وَقَدِ انْتَفَخَتْ ساقاهُ مِنْ طُولِ القِيَامِ، فيقولُ: يا نَفْسُ، بِهَذَا أُمِرْتِ، وَلِهَذَا خُلِقْتِ، يُوشَكُ أَنْ يذهبَ العَنَاءَ. وكانَ يقولُ لنفسِهِ: قُومِي يا مَأْوَىٰ كُلِّ سُوءٍ، فَوَعِزَّةِ رَبِّكِ لَأَزْحَفَنَّ بِكِ زحُوفَ البَعِيرِ، وَلَئِنِ اسْتَطَعْتُ أَنْ لا يَمَسَّ الأَرْضَ مِنْ زَهَمِكِ[1] لَأَفْعَلَنَّ؛ فَيَتَقَلَّىٰ كَمَا تَتَقَلَّىٰ الْحَبَّةُ عَلَىٰ الْمِقْلَىٰ، ثُمَّ يقومُ فينادِي: اللهمَّ إِنَّ النارَ قَدْ مَنَعَتْنِي مِنَ النومِ؛ فَاغْفِرْ لِي.

ورَوَىٰ ابْنُ وَهْبٍ، أَنَّ عامِرَ بنَ عَبْدِ قَيْسٍ كانَ مِنْ أفضلِ العابِدِينَ، ففرضَ علىٰ نَفْسِهِ كُلَّ يومٍ ألفَ ركعةٍ، يقومُ عندَ طلوعِ الشمسِ، فلا يزالُ قائمًا إلىٰ العصرِ، ثم ينصرفُ، وَقَدِ انْتَفَخَتْ ساقاهُ وَقَدَمَاهُ، فيقولُ: يا نَفْسُ، إنما خُلِقْتِ للعبادةِ، يا أَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، وَاللهِ لَأَعْمَلَنَّ بِكِ عَمَلًا؛ لا يَأْخُذُ الفِرَاشُ مِنْكِ نَصِيبًا.

---

(1) الزَّهَم: ريح لحم سمين منتن، انظرْ: لسان العرب، لابن منظور: 12/ 277.

وَقَال محمدُ بْنُ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ: أَنْبَأَ أَبِي، قال: كانَ عامِرُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ يقولُ: ما رأيتُ مِثْلَ الجنةِ: نام طالِبُها! وما رأيتُ مِثْلَ النارِ: نامَ هارِبُها! وكان إذا جاء النهارُ قال: أَذْهَبَ حَرُّ النارِ النومَ، فما ينامُ حتىٰ يُمْسِي، وإذا جاءَ الليلُ، قالَ: مَنْ خافَ أَدْلَجَ، وعندَ الصباحِ يَحْمَدُ القومَ السُّرَىٰ[1].

وَقَالَ مالِكُ بْنُ دِينارٍ: بَلَغَنا أَنَّ كَعْبَ الأَحْبَارَ رَأَىٰ عامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ، فقالَ: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا عَامِرٌ، فقالَ: هذا راهِبُ هذهِ الأُمَّةِ، وكانَ لَيُصَلِّي فَيَتَمَثَّلُ إبليسُ في صورةِ حَيَّةٍ، فَيَدْخُلُ تَحْتَ قَمِيصِهِ، حتىٰ يَخْرُجَ مِنْ جَيْبِهِ فما يَمَسُّهُ؛ قِيلَ لَهُ: أَلَا تُنَحِّي الحَيَّةَ عَنْكَ؟ فقالَ: إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَخَافَ سِوَاهُ؛ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ الجنةَ لَتُدْرَكُ بِدُونِ ما تَصْنَعُ، وَإِنَّ النارَ لَتُتَّقَىٰ بِدُونِ ما تَصْنَعُ، فقالَ: وَاللهِ لَأَجْتَهِدَنَّ، ثُمَّ وَاللهِ لَأَجْتَهِدَنَّ، فَإِنْ نَجَوْتُ فَبِرَحْمَةِ اللهِ، وَإِنْ دَخَلْتُ النارَ فَبَعْدَ جهْدِي.

---

(1) السُّرَىٰ: السير ليلًا، والمعنىٰ: أن الناس يحمدون من سار في الليل، ووصل عند الصباح مبكرًا، انظرْ: معجم العين، للخليل: 7/ 291.

وقال مالكُ بْنُ دِينارٍ: قالتِ المرأةُ التي نَزَلَ عليها عامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: ما لي أَرَىٰ الناسَ ينامونَ ولا أراكَ تنامُ؟ قال: إنَّ ذِكْرَ جَهَنَّمَ لا يَدَعُنِي أَنْ أنامَ.

وَقَالَ سُهَيْلُ أَخُو حَزْمٍ: كانَ عامِرُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ يقولُ: أَحْبَبْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حُبًّا سَهَّلَ عَلَيَّ كُلَّ مُصيبةٍ، وَرَضَّاني كُلَّ قضيةٍ، فَمَا أُبَالِي مَعَ حُبِّي إياهُ ما أَصْبَحْتُ عليهِ، وَمَا أَمْسَيْتُ.

وقِيلَ لِخادِمَةِ عامرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ، كيفَ كانَتْ عبادةُ عامِرٍ؟ قالتْ: ما صَنَعْتُ له طعامًا قَطُّ بالنهارِ، فَأَكَلَهُ إلَّا بالليلِ، ولا فَرَشْتُ له فراشًا باللَّيْلِ فاضْطَجَعَ عليه إلا بالنهارِ.

وعَنِ العَلَاءِ بْنِ سالِمٍ، قالَ: حَدَّثَنِي مَنْ صَحِبَ عامرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ أربعةَ أشهرٍ، قالَ: فَمَا رأيتُهُ نامَ بِلَيْلٍ، ولا نَهارٍ حتىٰ فارَقْتُهُ[1]، وكانَ له رغيفانِ قَدْ جعلَ عليهما وَدَكًا[2]، فيَتَسَحَّرُ بواحدٍ، ويُفْطِرُ بِآخَرَ.

---

(1) يَعْنِي ما كانَ ينامُ نَوْمًا طَويلًا كَمَا يَنَامُ النَّاسُ، وَإِلَّا فَلا يَصْبِرُ أَحَدٌ مَهْمَا بَلَغَتْ دَرَجَتُهُ وعَلَا كَعْبُهُ فِي الاجْتِهَادِ أَنْ يَتْرُكَ النَّوْمَ هَذَا القَدْرَ، والأَثَرُ بَعْدَهُ يُبَيِّنُ قَدْرَ نَوْمِهِ مِنَ اللَّيْلِ والنَّهارِ.

(2) الوَدَكُ: دَسَمُ اللَّحْمِ والشَّحْمِ، انظرْ: معجم العين، للخليل: 7/ 233.

عَنِ الحَسَنِ، قالَ: كانَ عامِرُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ إذا صلَّىٰ الصبحَ تنحَّىٰ في ناحِيَةِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: مَنْ أُقْرِئُهُ؟ قال: فيأتِيهِ قومٌ فيُقْرِئُهُمْ، حتىٰ إذا طَلَعَتِ الشمسُ، وأَمْكَنَتْهُ الصلاةُ[1]، قامَ يُصَلِّي إِلَىٰ أن ينتصفَ النهارُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلىٰ منزلِهِ فيَقِيلُ، ثم يَرْجِعُ إِلَىٰ المسجدِ إذا زالَتِ الشمسُ، فيُصَلِّي حتىٰ يُصَلِّيَ الظُّهْرَ، ثم يُصَلِّي إِلَىٰ العَصْرِ، فَإِذَا صَلَّىٰ العَصْرَ تَنَحَّىٰ فِي ناحِيَةِ المَسْجِدِ ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ أُقْرِئُهُ؟ قال: فَيَأْتِيهِ قومٌ فَيُقْرِئُهُمْ، حتَّىٰ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ صَلَّىٰ المَغْرِبَ، ثُمَّ يُصَلِّي حتَّىٰ يُصَلِّيَ العِشاءَ الآخِرَةَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ، فيتناولُ أَحَدَ رَغِيفَيْهِ، فيأكلُ ثُمَّ يَهْجَعُ هَجْعَةً خفيفةً، ثُمَّ يقومُ. فإذا أَسْحَرَ تناوَلَ رغيفَهُ الآخَرَ، فَأَكَلَهُ ثم شَرِبَ عليه شَرْبَةً مِنْ ماءٍ، ثُمَّ يخرجُ إِلَىٰ المَسْجِدِ.

---

(1) أَيْ: إِلَىٰ أَنْ تَتَيَسَّرَ لَهُ صَلَاةُ الضُّحَىٰ وَتَصِيرَ مُمْكِنَةً؛ فَقَدْ جَاءَ مَوْعِدُهَا وَيَسْتَطِيعُ الإِتْيَانَ بِهَا.

وَعَنْ عبدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، قال: كُنَّا نأتي عامِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، وهُوَ يُصَلِّي فِي مَسْجِدِهِ، فَإِذا رَآنَا تَجَوَّزَ[1] فِي صَلاتِهِ، ثُمَّ انْصَرفَ، فَقَالَ لَنَا: مَا تُرِيدُونَ؟ وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرَوْنَهُ يُصَلِّي.

عَنْ سُحَيْمٍ مَوْلَىٰ بَنِي تَمِيمٍ، قالَ: جلستُ إِلَىٰ عامِرِ بْنِ عبدِ اللهِ، وَهُوَ يُصَلِّي، فَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فقالَ: أَرِحْنِي بحاجَتِكَ، فإنِّي أُبَادِرُ؟ قلتُ: وما تُبادِرُ؟ قال: مَلَكُ المَوْتِ رَحِمَكَ اللهُ؟ قال: فَقُمْتُ عنهُ وَقامَ إِلَىٰ صلاتِهِ.

وَعَنْ عَلَقْمَةَ بنِ مرثِدٍ، قَالَ: لَمَّا احْتُضِرَ عامِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بَكَىٰ، فقيلَ لَهُ: أَتَجْزَعُ مِنَ الموتِ وَتَبْكِي؟ فقالَ: ما لي لا أَبْكِي؟ وَمَنْ أَحَقُّ بِذلك مِنِّي؟ واللهِ ما أَبْكِي جَزَعًا مِنَ المَوْتِ، ولا حَرْصًا علَىٰ دُنياكُمْ، وَلَكني أَبْكِي علَىٰ ظَمَأِ الهَوَاجِرِ[2]، وَقِيامِ لَيْلِ الشتاءِ[3].

---

(1) خَفَّفَها وَقَلَّلَها وأَسْرَعَ بها. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 1/ 315.

(2) الهَواجِرِ: جمع هاجِرَةٍ، والهاجِرَةُ: وقتُ شِدَّةِ الحَرِّ، والمَعْنَىٰ أنَّه يَبْكِي لِأَنَّهُ أَصْبَحَ غَيْرَ مُسْتَطِيعٍ لِصِيامِ الأَيَّامِ الحَارَّةِ، انظرْ: لسان العرب، لابن منظور: 5/ 254.

(3) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 2/ 119.

النَّمُوذَجُ الثالِثُ: عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَوْنِ بْنِ أَرْطَبَانَ

وهذا عَبْدُ اللهِ بنُ عَوْنٍ ﵁ العَابِدُ الزَّاهِدُ، المُحِبُّ لِرَبِّهِ ﷻ، الْحَافِظُ لِلِسَانِهِ، الضَّابِطُ لِأَرْكَانِهِ، ذُو الْقَلْبِ السَّلِيمِ، وَالطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، عَبْدُ اللهِ بْنُ عَوْنٍ، كَانَ لِلْقُرْآنِ تَالِيًا، وَلِلْجَمَاعَةِ مُوَالِيًا، وَعَنْ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ عَافِيًا[1].

قال بَكَّارُ بْنُ محمدٍ: ما رأيتُ ابْنَ عَوْنٍ يُمازِحُ أحدًا، ولا يُمَارِي أَحَدًا، وكانَ مَشْغُولًا بنفسِهِ، وكان إذا صلَّىٰ الغداةَ (الصُّبْحَ) مَكَثَ مُسْتَقْبِلًا القِبْلَةَ فِي مَجْلِسِهِ، يذكرُ اللهَ ﷻ، فإذا طلعتِ الشمسُ؛ صلَّىٰ، ثُمَّ أَقبلَ علَىٰ أَصْحَابِهِ، ومَا رأيتُهُ شَاتِمًا أَحَدًا قَطُّ: عَبْدًا، ولا أَمَةً، ولا دَجَاجَةً، ولا شَاةً، وَلَا رأيتُ أحدًا أَمْلَكَ لِلِسَانِهِ مِنْهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيفطِرُ يومًا حتَّىٰ ماتَ. وكانَ إذا خَلَا فِي منزلِهِ إنما هو صامِتٌ، لا يَزِيدُ علَىٰ: الحمدُ للهِ ربِّنا. وكانَ إِنْ وَصَلَ إنسانًا بِشَيْءٍ، وَصَلَهُ سِرًّا، وَإِنْ صنعَ شيئًا، صنعَهُ سِرًّا؛ يَكْرَهُ أَنْ يطَّلِعَ عليه أحدٌ. وكان له سُبُعٌ يَقْرَأُهُ كُلَّ ليلةٍ، فإذا لَمْ يَقْرَأْهُ بالليلةِ أَتَمَّهُ بالنهارِ.

---

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 3/ 37.

وقال بَكَّارٌ: صَحِبْتُ ابْنَ عَوْنٍ دَهْرًا مِنَ الدَّهْرِ حتىٰ ماتَ، فَمَا سَمِعْتُهُ حَالِفًا علَىٰ يمينٍ بَرَّةٍ ولا فاجِرَةٍ حتىٰ فَرَّقَ بَيْنَنَا الموتُ.

وقال بَكَّارٌ: كانَ ابْنُ عَوْنٍ لا يَغْضَبُ، وإذا أَغْضَبَهُ الرَّجُلُ؛ قالَ: بارَكَ اللهُ فِيكَ.

وقالَ يَحْيَىٰ القَطَّانُ: ما سادَ ابْنُ عَوْنٍ الناسَ أَنْ كانَ أَتْرَكَهُمْ للدُّنْيَا، ولكنَّ ابْنَ عَوْنٍ إِنَّما سَادَ الناسَ بِحِفْظِ لِسَانِهِ.

وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ، بِشْرُ بْنُ الحَسَنِ: نازَعَ ابْنَ عَوْنٍ رَجُلٌ، فقالَ: لولا أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ لَقُلْتُ.

وعَنْ خَارِجَةَ بنِ مُصْعَبٍ، قال: صَحِبْتُ عبدَ اللهِ يعني ابْنَ عَوْنٍ أربعًا وَعِشْرينَ سَنَةً؛ فما أَعْلَمُ أَنَّ الملائكةَ كَتَبَتْ عليهِ خطيئةً.

وَقَالَ محمدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ حَرْبٍ: قال لنا بعضُ أصحابِنَا: عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، أنْ نادَتْهُ أُمُّهُ؛ فأجابها، فَعَلَا صَوْتُهُ صَوْتَها؛ فَأَعْتَقَ رَقَبَتَيْنِ.

وقالَ مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ: حدثني غَيْرُ واحدٍ مِنْ أصحابِ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، قال: إني لَأَعْرِفُ رَجُلًا مُنْذُ عشرينَ سنةً يَتَمَنَّىٰ أَنْ يَسْلَمَ له يومٌ مِنْ أيامِ ابْنِ عَوْنٍ.

وَقَالَ محمدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ المُنَادِي: سَمِعْتُ روحَ بْنَ عُبادَةَ يقولُ: ما رأيتُ رَجُلًا أَعْبَدَ مِنِ ابْنِ عَوْنٍ. الىٰ هنا

وَقَالَ محمدُ بْنُ عِيسَىٰ: قَدِمَ ابْنُ المبارَكِ قِدْمَةً فَقِيلَ لَهُ: إِلَىٰ أينَ تُرِيدُ؟ قالَ: إلىٰ البصرةِ. قِيلَ لَهُ: مَنْ بَقِيَ؟ قال: ابْنُ عَوْنٍ آخُذُ مِنْ أخلاقِهِ، آخُذُ مِنْ آدابِهِ».

وَقَالَ أبو بَكْرِ بْنُ أَصْرَمَ: قِيلَ لابنِ المبارَكِ: ابْنُ عَوْنٍ بِمَ ارتفعَ؟ قالَ: بِالاستقامَةِ.

قالَ سعيدُ بْنُ عامرٍ: لَمْ تَرَ بِعَيْنَيْكَ كُوفِيًّا ولا بَصْرِيًّا مِثْلَ ابْنِ عَوْنٍ! [1]

---

(1) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 2/ 182.

۞ ثانيًا: نَمَاذِجُ مِنَ العَابِدَاتِ المُجْتَهِدَاتِ فِي الطَّاعَةِ

وَلَقَدْ زاحَمَتِ النِّسَاءُ الرجالَ فِي شِدَّةِ الاجْتِهَادِ في الطَّاعةِ، والمُسَارَعَةِ فِي الخَيْراتِ ونافَسْنَهُم، حتىٰ كِدْنَ يَفُقْنَهُمْ ويَفُتْنَهُمْ، مِنْهُنَّ:

۞ النَّمُوذَجُ الأَوَّلُ: جَارِيَةُ خَالِدٍ الوَرَّاقِ

وَهَذِهِ العَابِدَةُ المُجْتَهِدَةُ جَارِيَةُ خَالِدٍ الوَرَّاقِ، شَدِيدَةُ الاجْتِهَادِ، فَاقَتِ الرِّجَالَ فِي الاجْتِهَادَ فِي العِبَادَةِ، والتَّهَيُّؤِ لِلِّقَاءِ، وَسُرْعَةِ السِّبَاقِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ قالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ: «بلغَنَا عنْ خالدٍ الوَرَّاقِ أَنَّهُ قالَ: كانتْ لِي جاريةٌ شَدِيدةُ الاجْتِهادِ، فدخَلْتُ عليها يومًا، فأخبرْتُها بِرِفْقِ اللهِ تَعَالَىٰ، وقَبُولِهِ يَسيرَ العَمَلِ؛ فَبَكَتْ، ثمَّ قالتْ: يَا خَالِدُ، إِنِّي لَأُؤَمِّلُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ آمالًا، لَوْ حَمَلَتْها الجبالُ لأَشْفَقَتْ مِنْ حَمْلِها، كما ضَعُفَتْ عَنْ حَمْلِ الأمانةِ. وإنِّي لأَعْلَمُ أنَّ فِي كَرَمِ اللهِ مُسْتَغاثًا لِكُلِّ مُذْنِبٍ، ولكنْ كيفَ لِي بِحَسْرةِ السِّبَاقِ؟ قالَ: قُلْتُ: وما حَسْرَةُ السِّباقِ؟ قالَتْ: غَداةَ الحَشْرِ، إذا بُعْثِرَ مَا فِي القُبُورِ، وَرَكِبَ الأبرارُ نجائِبَ الأَعْمالِ؛ فَاسْتَبَقُوا إِلَىٰ الصِّراطِ، وَعِزَّةِ

سَيِّدِي[1]، لا يَسْبِقُ مُقَصِّرٌ مجتهدًا أبدًا، أَمْ كيفَ لِي بِمَوْتِ الحُزْنِ والكَمَدِ؟ إذا رأيتُ القومَ يتراكَضُونَ، وقدْ رُفِعَتْ أعلامُ المُحْسنينَ، وجازَ الصِّراطَ المُشْتَاقُونَ، وَوَصَلَ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ المُحِبُّونَ، وخُلِّفْتُ مَعَ المُسِيئِينَ المُذْنِبينَ، ثمَّ بَكَتْ، وقالتْ: يا خالدُ، انظرْ لا يَقْطَعْكَ قاطِعٌ عنْ سُرْعَةِ المُبادَرَةِ بالأعمالِ؛ فإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الدارَيْنِ دارٌ، يُدْرِكُ فيها الخُدَّامُ ما فاتَهُمْ مِنَ الخِدْمَةِ؛ فويلٌ لِمَنْ قَصَّرَ عنْ خِدْمَةِ سَيِّدِهِ، ومَعَهُ الآمَالُ؛ فَهَلَّا كانَتِ الأعمالُ تُوقِظُهُ إذا نامَ البَطَّالونَ[2]؟!»[3].

۞ النَّمُوذَجُ الثانِي: أُمُّ حَسَّانٍ الكُوفِيَّةُ

وَهَذِهِ العَابِدَةُ المُجْتَهِدَةُ الزَّاهِدَةُ، مُعَلِّمَةُ العُلَمَاءِ وَالعُبَّادِ، أُمُّ حَسَانٍ الكُوفِيَّةُ؛ فعنْ عبدِ اللهِ بنِ المُبارَكِ، قالَ: ذَكَرَ سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ امرأةً بالكوفةِ،

(1) تَقْصِدُ بـ(سَيِّدِي) سَيِّدَها الأَعْظَم، وهو اللهُ تعالَىٰ، فَقَدْ أثبتَ العلماءُ اسْمَ (السَّيِّد) اسمًا مِنْ أسماءِ اللهِ الحُسْنَىٰ، وفي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

(2) البَطَّالونَ: جمع بَطَّال، والبطَّالُ: اللَّعّابُ، كثير اللعب واللهو، انظرْ: جمهرة اللغة، لابن دريد: 2/ 928.

(3) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 2/ 257.

يُقالُ لَها: أمُّ حَسَّانٍ، ذاتُ اجتهادٍ وعِبادةٍ، فَدَخَلْنا بَيْتَها، فلمْ نَرَ فيهِ شيئًا غَيْرَ قِطْعَةِ حَصيرٍ خَلَقٍ، فقالَ لها الثوريُّ: لوْ كَتَبْتِ رِقْعَةً إلىٰ بَعْضِ بني أَعْمَامِكِ لَغَيَّرُوا مِنْ سوءِ حالِكِ؛ فقالتْ: يا سفيانُ، قدْ كُنْتَ فِي عَيْنِي أعظمَ، وفِي قَلْبِي أكبرَ مُذْ ساعَتِكَ هذهِ، إنِّي ما أَسْأَلُ الدنيا مَنْ يَقْدِرُ عليها، ويَمْلِكُها، ويحْكُمُ فِيها، فكيفَ أسألُ مَنْ لا يقدِرُ عليها، ولا يَقْضِي ولا يَحْكُمُ فيها؟! يا سفيانُ، وَاللهِ ما أُحِبُّ أنْ يأتِيَ عليَّ وَقْتٌ وأنا مُتشاغِلَةٌ فيهِ عنِ اللهِ تعالَىٰ بغيرِ اللهِ ﷿؛ فأبْكَتْ سفيانَ، قال عبدُ اللهِ: فبلغَنِي أنَّ سفيانَ تَـزَوَّجَ بها»[1].

۞ النَّمُوذَجُ الثالِثُ: مُنِيبَةُ البَصْرِية وابْنَتُها

وهاتانِ العَابِدَتانِ المُجْتَهِدَتَانِ الزَّاهِدَتانِ الخَاشِيَتَانِ، مُنِيبَةُ البَصْرِيَّةُ وابْنَتُهَا، فعنْ عَيَّاشٍ القَطَّانِ، قالَ: كانتِ امرأةٌ بالبَصْرَةِ مُتَعَبِّدَةً، يُقالُ لها: مُنِيبةُ، وكانَتْ لها ابنةٌ أشدَّ عِبادةً مِنْها، فكانَ الحَسَنُ رُبَّما رآها، وتَعَجَّبَ مِنْ عِبَادتِها علىٰ حَدَاثَتِها، فبينا الحَسَنُ ذاتَ يومٍ جالسٌ، إذْ أتاهُ آتٍ، فقالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّ الجاريةَ قدْ نَزَلَ بها الموتُ؛ فَوَثَبَ الحَسَنُ، فدَخَلَ عليها، فَلَمَّا نظرتِ الجاريةُ إليهِ بَكَتْ؛ فقالَ: لها ما يُبْكِيكِ؟ قالتْ لهُ: يَا أَبَا

(1) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 2/ 110 .

سَعِيدٍ، الترابُ يُحْثَىٰ عَلَىٰ شَبابِي، ولَمْ أَشْبَعْ مِنْ طاعةِ ربِّي، يا أبا سعيدٍ، انظرْ إلَىٰ والِدَتِي، وهيَ تقولُ لِوالِدِي: احْفُرْ لابْنَتِي قَبْرًا واسِعًا، وَكَفِّنْها بِكَفَنٍ حَسَنٍ، واللهِ لوْ كنتُ أُجَهَّزُ إلَىٰ مَكَّةَ؛ لَطَالَ بُكَائِي، كيفَ وأنا أُجَهَّزُ إلىٰ ظُلْمةِ القُبُورِ وَوَحْشَتِها وَبَيْتِ الظُّلْمَةِ والدودِ؟»[1].

۞ ثالثًا: حَذَرٌ واحْتِرَاسٌ

وَمِمَّا يَجْمُلُ الوُقُوفُ عِنْدَهُ، والتَّحْذِيرُ مِنْهُ اسْتِكْثَارُ مَا سَبَقَ مِنْ أَخْبَارِ العُبَّادِ، وتَرْكِ التَّشَبُّهِ بِهِمْ، وإِيَّاكَ أَنْ تُحَدِّثَكَ نَفْسُكَ، فتقولَ: وَمَنْ يُطِيقُ هَذَا فِي هَذَا الزَّمَانِ؟ وإنَّ زمانَهُمْ ليسَ كَزَمَانِنَا، فَإِنَّ الخيرَ باقٍ فِي الأمةِ، وَفِي الحَدِيثِ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ: «فِي كُلِّ قَرْنٍ مِنْ أُمَّتِي سَابِقُونَ»[2]؛ فَفِيهِ بِشارَةٌ عظيمةٌ لهذهِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ باستمرارِ العامِلِينَ بأحكامِ اللهِ في كُلِّ قَرْنٍ. فَاجْتَهِدْ؛ لَعَلَّكَ تَكُونُ مِنْهُمْ، «ولا يُؤْيِسْكَ مِنَ الخيرِ ما مَضَىٰ مِنَ التفريطِ، فإنَّهُ قَدِ انْتَبَهَ خَلْقٌ كثيرٌ بَعْدَ الغَفْلَةِ والرُّقَادِ الطويلِ»[3]، واجْتَهَدُوا

---

(1) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 2/ 243.

(2) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ: 1/ 369، وأبو نُعَيم في حِلْيَة الأولياء وطبقات الأصفياء: 1/ 8، وحسَّنه الألباني.

(3) لَفْتَة الكَبِد في نصيحة الوَلَد، لابن الجوزي: 1/ 7.

فِي العِبَادَةِ حَتَّىٰ أَصْبَحُوا أَعْلَامَ الهُدَىٰ، وَمنَاراتِ الأرضِ، أمثالُ: مالِكِ بْنِ دِينارٍ، والفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَبِشْرٍ الحَافِيِّ، وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٌ؛ فَالجِدَّ الجِدَّ، والبِدَارَ البِدَارَ، وإِيَّاكُمْ والتباطُؤَ والتسويفَ، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «التُّؤَدَةُ[1] فِي كُلِّ شَيْءٍ خيرٌ، إِلا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ»[2].

خُذْ نَفْسَكَ بِالْجِدِّ والعزيمةِ، وَاحْمِلْهَا علَىٰ العِبَادةِ حَمْلًا ولا تُقِرَّها علَىٰ الرَّاحَةِ وَطُولِ البِطَالَةِ[3]، فَإِنَّ النَّفْسَ كَالدَّابَّةِ إِذَا ارْتَاضَتْ، وَحُثَّتْ سَارَتْ، وَأَسْرَعَتْ، وإذا تُرِكَتْ، وأُهْمِلَتْ؛ تَبَلَّدَتْ وَقَعَدَتْ، قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: «إِنَّ الصَّالِحِينَ فِيمَا مَضَىٰ كَانَتْ أَنْفُسُهْم تُؤَاتِيهِمْ عَلَىٰ الْخَيْرِ عَفْوًا، وَإِنَّ أَنْفُسَنَا لا تَكَادُ تُؤَاتِينَا إِلا عَلَىٰ كَرْهٍ، فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُكْرِهَهَا»[4]؛ فَسَارِعُوا وَ«أَدُّوا إِلَىٰ اللهِ مِنْ أعمالِكُمْ خيرًا في هذا الليلِ والنَّهارِ؛ فإنَّهما

---

(1) التُّؤَدَةُ: التَّأَنِّي وَالتَّمَهُّلُ، انظرْ: مختار الصحاح، للرازي: 1/ 331.

(2) حِفْظ العمر، لابن الجوزي: 1/ 35.

(3) البِطَالَةُ: بكسر الباء: التَّعَطُّلُ والفَرَاغُ مع اللهو واللعب، انظرْ: مقاييس اللغة، لابن فارس: 1/ 258-259.

(4) حِفْظ العمر، لابن الجوزي: 1/ 60.

مَطِيَّتانِ تُقْحِمانِ الناسَ إلىٰ آجالِهِم، يُقَرِّبانِ كُلَّ بعيدٍ، ويُبْلِيَانِ كُلَّ جديدٍ، وَيَجِيئَانِ بِكُلِّ مَوْعُودٍ، إِلَىٰ يوم القيامةِ»[1].

۞ رابعًا: الأَئِمَّةُ يَشْهَدُونَ

ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَسْتَغْرِبَ هذهِ الأخبارَ، وَتَرُدَّها؛ لِأَجْلِ ما فيها مِنْ غَرَابَةٍ فِي اجْتِهادِ العُبَّادِ، فَإِنَّ هذهِ الأَخْبارِ وأَمْثَالَها، ذَكَرَها الأَئِمَّةُ الحُفَّاظُ النُّقَّادُ، كَأَمْثالِ الذَّهَبِيِّ، وابْنِ رَجَبٍ، وَأَقَرُّوهَا فِي كُتُبِهِمْ، وَقَدْ حَمَلَها العلماءُ علَىٰ ما أَكْرَمَ اللهُ تَعَالَىٰ عِبادَهُ الصَّالِحِينَ المُخْلِصِينَ مِنْ بَرَكَةِ الأوقاتِ ما لا يَكُونُ لِغَيْرِهِمْ، فَيَقُومُونَ بالأعمالِ التي تَحتاجُ إِلَىٰ الزَّمَنِ الطويلِ فِي الزمانِ القصيرِ، وما ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ بِعَزِيزٍ؛ فَإِنَّ كَرَامَةَ الأَوْلِياءِ ثَابِتَةٌ بِالكِتَابِ والسُّنَّةِ وإِجْمَاعِ الأُمَّةِ.

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: «البَرَكَةُ قَدْ تَقَعُ فِي الزَّمَنِ اليَسِيرِ؛ حَتَّىٰ يَقَعَ فيهِ العَمَلُ الكثيرُ، قالَ النَّوَوِيُّ: أَكْثَرُ مَا بَلَغَنَا مِنْ ذَلِكَ مَنْ كانَ يَقْرَأُ أَرْبَعَ خَتْمَاتٍ بِالليلِ، وَأَرْبَعًا بالنهارِ»[2].

---

(1) الأَثَرُ مَرْوِيٌّ عَنْ قَتَادَةَ، انظرْ: تفسير ابن رجب: 1/ 535.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني: 6/ 455.

وقالَ بَدْرُ الدِّينِ العَيْنِيُّ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَطْوِي الزَّمَانَ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عبادِهِ كَمَا يَطْوِي الْمَكَانَ»[1].

وقالَ الإِمَامُ القَسْطَلَّانِيُّ: «البَرَكَةُ قَدْ تَقَعُ فِي الزَّمَنِ اليَسيرِ، حتىٰ يَقَعَ فيهِ العَمَلُ الكثيرُ، فَمِنْ ذلكَ أَنَّ بَعْضَهُمْ كانَ يَقْرَأُ أَرْبَعَ خَتَمَاتٍ بالليلِ وأَرْبَعًا بالنهارِ، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنِ الشيخِ أَبِي الطَّاهِرِ المَقْدِسِيِّ أَنَّهُ يَقْرَأُ فِي اليومِ واللَّيْلَةِ أَكْثَرَ مِنْ خَتْمَةٍ، وهذا الرَّجُلُ قَدْ رَأَيْتُهُ بِحَانُوتِهِ[2] بِسُوقِ القِمَاشِ في الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَمَانِمِائَةٍ، وَقَرَأْتُ فِي الإِرشادِ أَنَّ الشيخَ نَجْمَ الدِّينِ الأَصْبَهَانِيَّ رَأَىٰ رَجُلًا مِنَ اليَمَنِ بِالطَّوَافِ خَتَمَ (يَعْنِي القُرْآنَ) فِي شَوْطٍ، وهذا لا سبيلَ إِلَىٰ إِدْرَاكِهِ إِلَّا بِالْفَيْضِ الرَّبَّانِيِّ وَالمَدَدِ الرَّحْمَانِيِّ»[3].

وَلَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ مِمَّا أَكْرَمَ اللهُ تعالَىٰ بِهِ شَيْخَ الإسلامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ مِنْ بركةِ الوقتِ، فَقَالَ: «وَقَدْ شاهَدْتَ مِنْ قوةِ شيخِ الإسلامِ ابْنِ

---

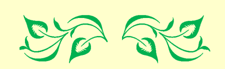
(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني: 19/ 28.

(2) الحَانُوتُ: مَحِلُّ البَيْعِ، كالدُّكَانِ اليَوْمِ، وقَدْ كانَ يُطْلَقُ علَىٰ مَحِلِّ الخَمْرِ، ثُمَّ غَلَبَ؛ حتَّىٰ عَمَّ كُلَّ مَحِلٍّ للبَيْعِ، انظر: لسان العرب، لابن منظور: 2/ 26.

(3) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للإمام القَسْطَلَّانِي: 7/ 207.

تَيْمِيَّةَ فِي سُنَنِهِ وكلامِهِ وإِقْدَامِهِ وكِتابِهِ أَمْرًا عَجِيبًا، فكانَ يكتبُ فِي اليومِ مِنَ التصنيفِ ما يكتبُهُ الناسِخُ فِي جُمُعةٍ وَأَكْثَرَ»[1].

فَمَا عليكَ بَعْدَ هذا إلَّا أَنْ تُخْلِصَ نِيَّتَكَ، وَتَجْمَعَ هَمَّكَ عَلَىٰ رَبِّكَ، وَتَسْتَعِينَ بِهِ، وَتَتَوَكَّلَ عليهِ، ثُمَّ ضَعْ قَدَمَكَ أَوَّلَ الطريقِ علَىٰ عَتَبَةِ العبوديةِ، وَمُدَّ يَدَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ، وَقُل: (يا اللهُ...)؛ فَسَتَجِدُ مِنْ توفيقِ اللهِ تعالَىٰ لَكَ ما لَمْ يَكُنْ بِحُسْبَانِكَ، وما لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ لَكَ علَىٰ بالٍ، وَسَيَنْقُلُكَ مِنْ عبادةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ، وَمِنْ مَنْزِلٍ إِلَىٰ مَنْزِلٍ، وَمِنْ مَقَامٍ إِلَىٰ مَقَامٍ، مِنْ حيثُ لا تَحْتَسِبُ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.



(1) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية: 1/ 77.



هَذَا مَا وَفَّقَ اللهُ تعالَىٰ إلَىٰ جَمْعِهِ وَنَقْلِهِ مِنَ العلماءِ العابِدِينَ، وَمِمَّا فَتَحَ اللهُ بِهِ علينا مِنْ فُيُوضِ فَضْلِهِ وَبِرِّهِ وإحسانِهِ، فَهُوَ بَرْنَامَجٌ مُقْتَرَحٌ، يَشْغَلُ العَبْدُ فِيهِ وَقْتَهُ كُلَّهُ، فَلَا يَفُوتُ نَفَسٌ مِنْ أنفاسِهِ إلَّا وَهُوَ مُتَلَبِّسٌ بِطاعةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلْيَأْخُذْ مِنْهُ كُلُّ عَبْدٍ ما استطاعَ؛ فَإِنَّ الناسَ لَيْسُوا سَوَاءً، فَالعِبَادُ مُتفاوِتُونَ في أشغالِهِمْ، مُتفاوِتُونَ في تَفَرُّغِهِمْ لِعبادَتِهِمْ، مُتفاوِتُونَ في قُوَّتِهِمْ وجَلَدِهِمْ، مُتفاوِتُونَ في هِمَمِهِمْ. وَاللهُ تَعَالَىٰ لا يَطْلُبُ مِنْ عبادِهِ إلَّا المُسْتَطَاعَ المَقْدُورَ، فَهُوَ القائِلُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1]، وَرَسُولُهُ ﷺ يَقُولُ: «فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيءٍ فَدَعُوهُ»[2]. فلم يُرِدْ سبحانَهُ أنْ يُحْرِجَ عبادَهُ، فَهُوَ يقولُ: ﴿وَمَا

---

(1) التَّغَابُن: 16.

(2) رواه مسلم: 2/ 975، حديث رقم: (1337).

جعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1]. ولم يُرِدْ أنْ يُشَدِّدَ عليهم، فهو يقولُ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2]. ولَمْ يُرِدْ أَنْ يُتْعِبَهُمْ وَيُشْقِيَهُمْ، فهو يقولُ: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[3]. وَلَكِنْ ليسَ مَنْ جدَّ وتَعِبَ وَسَهِرَ عندَ اللهِ تَعَالَىٰ كَمَنْ نامَ وَلَهَا وَلَعِبَ، وَاللهُ تعالَىٰ يقولُ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[4].

فَشَمِّرْ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ، وَشُدَّ مِئْزَرَكَ، وانْزِلْ مَيْدَانَ العِبَادَةِ؛ فَلَعَلَّكَ تَكُوْنَ مِنَ السَّابِقِينَ الفَائِزِينَ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ!!!

سَائِلًا رَبًّا كَرِيمًا، بَرًّا رَحِيمًا أَنْ يَتَقَبَّلَهَا مِنَّا، ويُعْظِمَ لَنَا الأَجْرَ، ولِكلِّ مَنْ أَعَانَ عَلَيْهَا، وأَنْ يَنْفَعَ بِهَا عَامَّةَ المُسْلمينَ وخَاصَّتَهُمْ فِي الدُّنْيا

---

(1) الحج: 78.

(2) البقرة: 18.

(3) طه: 2.

(4) الأنعام: 132.

والآخِرَةِ، وأنْ يَشْرُكَنَا فِي أَجْرِهِمْ وخَيْرِهِمْ؛ إِنَّهُ أَهْلُ ذَلِكَ وصاحِبُهُ، وهُوَ سُبْحانَهُ صاحِبُ كُلِّ خَيْرٍ وفَضْلٍ وبِرٍّ وإِحْسانٍ.

والحَمْدُ للهِ الذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

وصلَّىٰ اللهُ وسلّم وبارك علَىٰ سيدِنا محمدٍ، وعلَىٰ سائرِ النبيين، وآلِهِ، وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ إلىٰ يومِ القيامةِ.

وكتبه

زكريا بن طه شحادة

الثلاثاء: 8 ربيع الأول/ عام 1436هـ



مُحْتَوَيَاتُ الكِتَابِ


تم بحمد الله

